

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية

جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية

٧٥٥ - ٨٥٧هـ / ١٣٥٤ - ١٤٥٣م

رسالة مقدمة
لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي



بإشراف
الأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع

رسالة الطالب
المعتصم بالله إبراهيم شعوط

عام ١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ
١٩٧٩ - ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

اعتاد كثير من الباحثين فى الدراسات التاريخية أن يطمسوا صفحة الدولة العثمانية التى أعتز حكامها بالاسلام فأعزهم ورفع من شأنهم بمقدار ما بذلـــوا فيه من جهود وتضحيات لينشروه بين الناس •

وجهاد العثمانيين ضد البيزنطيين من الصفحات المشرقة فى التاريـــخ الاسلامى التى خلدها العثمانيون الاوائل على صفحات الزمن جيلا بعد جيل • فقد كان القرآن الكريم فى يمينهم والسيف فى شمالهم حتى بلغوا بالاســـلام حدودا ومناطق لم يكن ليصل اليها لولا جهود السلاطين الأول من بـــنى عثمـــان •

فهؤلاء الأبطال الذين عاشوا للاسلام ، وباسم الاسلام قد حققـــوا بجهودهم وايمانهم وتضحياتهم ماكان أملا قائما فى أذهان المسلمين السابقين وهو القضاء على دولة الروم وفتح القسطنطينية •

ولاشك أن العثمانيين أحيوا فرض الجهاد الدينى بعدما كاد المسلمو ن أن ينسوه فى فترات الضعف والخلافات التى مزقت وحدة الدولة الاسلاميـــة ، وبقى فرض الجهاد مطمورا فى صفحات الكتب ، يمر به المسلمون دون أن يعرفـــوا أنه كان حقيقة واقعة فى كيان المسلمين • ولما أراد الله للاسلام أن ينتصـــر ، ولرايته أن تعلو ، ظهر العثمانيون ليعيدوا للاسلام عزته وكرامته ، فوهبـــوا أنفسهم للقتال فى سبيله ، وعاشوا من أجله ، آخذين على أنفسهم أن يحيـــوا

مجده الغابر ، ويعلنوا للأجيال المتعاقبة انهم فتية آمنوا بربهم ، وأن الدين الاسلامى ليس سطورا طويت فى بطون الكتب ، وانما هو دين ودولة .

ومازال العثمانيون يصرون على النصر ضد أعداء الدين حتى حققوا الحلم الذى راود المسلمين الأول ، وحاولوا تحقيقه مرارا ، حتى أراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر بطولات عثمانية ، مازالت تدق أبواب القسطنطينية حتى ركعت خاشعة ، تحت أقدام المسلمين ، وفتحت أبوابها للغزاة الفاتحين، وكان لابد من البحث فى مقومات هذه الدولة العثمانية ، وما ملكته من قدرات وما انطوت عليه قلوب قادتها من حوافز ، حتى تم القضاء على الدولة البيزنطية أو دولة الروم .

ومن المشكلات التى واجهت البحث فى موضوع جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين قلة المصادر والمراجع حتى أخذت طريقى الى استانبول للبحث فى مكتباتها عن مصادر توضح حقيقة هؤلاء القوم ، وتكشف الغطاء عن تاريخهم . وكان من توفيق الله سبحانه وتعالى أن عثرت على كثير من المصادر والمراجع التاريخية التى استخلصت منها المادة العلمية لموضوع البحث .

وتحتوى الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، وقد درست المقدمة مقومات حركة الجهاد العثمانى ضد البيزنطيين خاصة الطبيعة العسكرية الصارمة التى طبع عليها العنصر التركى وأثره فى حركة الجهاد العثمانى ، والدوافع الدينية التى دفعت العثمانيين لاقتحام أوربا ، والجهاد فى سبيل الله

وفتحهم القسطنطينية معقل المسيحية الأرثوذكسية .

أما الفصل الأول وعنوانه استيلاء العثمانيين على غاليبولى وبداية التوسع العثمانى فى البلقان فقد ناقش عوامل اضمحلال الدولة البيزنطية عند منتصف القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، ودور مدينة غاليبولى فى جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين ، واستعانة الامبراطور البيزنطى حنا الخامس بالغرب الأوربى ضد الدولة العثمانية .

وبحث الفصل الثانى وعنوانه (العثمانيون وحركة الالتفاف حول القسطنطينية) عملية الالتفاف العثمانى التى بدأت باستيلاء العثمانيين على أدرنة ، واتخاذها عاصمة للدولة العثمانية فى أوربا سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٥م ، وتلا ذلك فتح العثمانيين لمقدونية سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م وانتصارهم فى معركة قوصوه (كوسوفا) .

وناقش الفصل الثانى أيضا أثر معركة قوصوه فى تاريخ الجهاد العثمانى ضد البيزنطيين ، اذ أدت هذه المعركة الى تكوين حلف صليبى أوربى ضد الدولة العثمانية . وانتصر العثمانيون على التحالف البيزنطى الأوربى فى موقعة نيقوبوليس سنة ٧٩٨ هـ / سنة ١٣٩٦ م .

وعالج الفصل الثالث موضوع جهاد السلطان مراد الثانى ضد البيزنطيين

حيث قام العثمانيون فيه بحصار القسطنطينية سنة ٨٢٥ هـ / سنة ١٤٢٢ م • واستعانة الامبراطور البيزنطى حنا الثامن بالقوى الأوربية ضد العثمانيين • وبحث الفصل الثالث أيضا مقدمات وأسباب ونتائج هزيمة حملة صليبية أوربية فى موقعة وارنة (فارنا) سنة ٨٤٨ هـ / سنة ١٤٤٤ م •

وناقش الفصل الرابع وعنوانه السلطان محمد الفاتح وفتح القسطنطينية ـ أحوال الدولة البيزنطية قبيل حصار العثمانيين للقسطنطينية ، وما أعده السلطان محمد الثانى من استعدادات لفتحها ، وموقف القوى الأوربية من الفتح العثمانى الاسلامى للقسطنطينية ، وأخيرا انتصار الاسلام وسقوط القسطنطينية •

وفى نهاية الرسالة جاءت الخاتمة التى ذكر فيها أهم نتائج البحث •

ولا يسعنى الا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذى الأستاذ الدكتور **حسنين محمد ربيع** فهو المشرف على هذه الرسالة ، وهو لم يدخر وسعا فى مساعدتى ولم يبخل علىّ بنصائحه وارشاداته وتوجيهاته طيلة البحث فجزاه الله عنى بما يجزى به عباده المخلصين •

وانى فى هذه المناسبة أستمطر رحمات الله وأسأله رضوانه للمرحوم الأستاذ الدكتور **محمد كمال الدسوقى** الذى كان له الفضل فى توجيهى لهذا الموضوع •

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور **محمد حمدى المناوى** لمساعدتـــــه القيمـة لى ٠

كما أتوجه بالشكر للقائمين على كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، فـى شخص عميدها السابق سعادة الدكتور **محمد بن سعد الرشيد** ، وعميدهـــا الحالى سعادة الدكتور **عليان محمد الحارس** ، لاتاحتهما الفرصة لــــــى ولأمثالى من طلاب العلم لمتابعة الدراسات العليا ٠

والله أسأل السداد والرشاد ٠٠

الطالب

المعتصم بالله ابراهيم شحوط

المقدمة

مقومات حركة الجهاد العثمانى ضد البيزنطيين

- أثر الموقع الجغرافى للعثمانيين بالنسبة لموقع الدولة البيزنطية .
- الطبيعة العسكرية الصارمة التى طبع عليها العنصر التركى .
- الدوافع الدينية .

كلمة الجهاد اصطلاح اسلامي له معنى خاص لا ينطبق على الحـــروب وأنواع القتال الذى يدور بين دولتين أو جيشين ، يريد أحدهما التغلـــب على الآخر ، وانما مفهوم الجهاد فى الاسلام أنه دعوة الى عقيدة ، والى دين سماوى يراد نشره على الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور ، وليـــس المقصود منه الغلبة أو السيطرة بالقوة وانما تنتهى مهمة المجاهد فـــى الاسلام بدخول من يحاربهم فى الدين الجديد أو خضوعهم للداعـــين لهذا الدين .

والجهاد العثمانى ضد البيزنطيين قائم على مبدأ نشر الاسلام ، والدعوة اليه . (١) ونجح العثمانيون فى كل حملاتهم لنشر الاسلام لتوفر عدة عوامـل مكنتهم من نشر دعوة الاسلام على مساحات واسعة فى أوربا . وهذه العوامـــل هى مقومات الجهاد الذى عرف به العثمانيون .

ويذكر المؤرخون أن العثمانيين من الجنس التورانى ، ينسبون الى عشيرة قابى من قبائل الغز التركمانية ، وكان أقدم زعيم معروف لهذه العشـــيرة

---

(١) على سفيم ، الأتراك والاسلام ، ص ٧ ، عبدالعزيز الشناوى ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٥٤٣ .

هو سليمان شاه[١] . وخرجت هذه القبيلة هاربة من وجه الخطر المغولى تحت رئاسة زعيمها سليمان شاه للبحث عن مواطن العشب ، والمأوى حتى استقروا أخيرا بجهات أذربيجان ، غربى بحر الخزر (قزوين) حيث مكثوا بضع سنين .

ثم خرج سليمان بقومه فى طريق العودة الى موطنه الأصلى ، بعد هدوء العاصفة المغولية ، ولكن سليمان شاه غرق أثناء عبوره نهر الفرات ، واختلف أبناؤه من بعده ، وتفرقوا فى البلاد ، بعد أن انقسموا الى طائفتين فذهبت الطائفة الأولى ، وهى الأكثر عددا مواصلة سيرها نحو خراسان بقيادة سليمان وسنقور وتكين ، وهذه لم يذكر التاريخ شيئا عنها .

وسار أحد أبناء سليمان شاه واسمه أرطغرل ، ومعه عشيرته فى الطائفة الثانية باتجاه الغرب الى الأناضول . وكانت قوات أرطغرل تشمل أربعمائة

---

(١) محمد بن أبى السرور البكرى : المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، مخطوط ، ورقة ٢ .
زين الدين مرعى بن يوسف المقدسى الحنبلى : قلائد العقيان فى فضائل آل عثمان ، مخطوط ، ورقة ٤ .
اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .
محمد كمال الدسوقى : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ١١ .
The Cambridge Mediveal History, Vol. 4, p. 654.

بيت من قومه ، بينهم نحو ٤٤٠ فارسا ، واجتهد أرطغرل فى مواصلة السير حتى انتهى به المطاف على هضاب آسيا الصغرى . (١)

ساعد أرطغرل وعشيرته السلطان علاء الدين السلجوقى سلطان سلاجقة الروم ضد المغول حتى تم لهما النصر ، وكافأه السلطان علاء الدين السلجوقى بأن منحه وعشيرته اقليم اسكى شهر على حدود الدولة البيزنطية . ولعل فى اختيار هذا المكان على تخوم أملاك الأعداء البيزنطيين ما دعا السلطان علاء الدين لاستغلال شجاعة هذه القبيلة التركية فى رد اغارات الدولة البيزنطية ضد السلطنة السلجوقية . ومنذ ذلك العهد اتجهت أطماع الدولة الجديدة الى اتخاذ هذا الموقع منطلقا للغزو ، والفتح ، والتوسع فى أملاك البيزنطيين . (٢)

ثم جاء من بعده ابنه عثمان فنقل مقر ملكه عام ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م من

---

(١) البكرى ، المنح ، ورقه ٢ ، سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص٤١٣ ، سير توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٧٠ ،
Cam. Med. Hist. Vol.4, p.655.
(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٣ ص ١٣ .

سكود [١] الى ملانجتون التى تقع الى جنوب سكود بعد أن فتحها وجعل اسمها (قره حصار) . [٢]

ومنذ ذلك العهد احتلت امارة عثمان مركزا استراتيجيا يتحكم فى الطرق القادمة من القسطنطينية الى آسيا ، ولهذا السبب ، ومن الموقع الممتاز ، استطاع العثمانيون أن ينجحوا فى غزواتهم لأوربا [٣] . ثم جاء عهد أورخان ابن عثمان ، ففتح مدينة بروسا [٤] التى لا تبعد عن شاطئ بحر مرمرة أكثر من ثلاثة عشر ميلا ، حيث يطلون منها على الدولة البيزنطية ، ويعرفون عوامل ضعفها ، والاضطرابات التى تحدث فيها ، وظلت بروسا عاصمة الدولة العثمانية طوال أربعين سنة ابتداء من عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م فكان انطلاقهم منها الى أوربا دون التحرش بالقسطنطينية [٤] .

---

(١) سكود : بلدة صغيرة ، وقصبة قضاء يحمل الاسم نفسه فى سنجق أرطغرل من أعمال ولاية خداوندكار فى آسيا الصغرى ، وهى الى الجنوب من سقاريا بين لفكه واسكى شهر ، وعلى مسيرة يوم من كل من هذين الموضعين . وتقوم سوكود عند مدخل ممر جبلى ، غاية فى العمق والضيق ، وقد شيدت على مدرج ، والمنطقة التى تحيط بالمدينة جزء من الاقليم الخصب الذى هو مرحلة انتقال بين سهل الأناضول الاوسط فى الجنوب والاراضى التى على جانب المجرى الاسفل لنهر سقاريا فى الشمال ، وهى مشهورة فى التاريخ العثمانى بأنها كانت مهد سلطان آل عثمان . (دائرة المعارف الاسلامية المجلد ١٢ ، ص ٣٨٩) .

(٢) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤٠ .

(٣) هسى العالم البيزنطى ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ .

(٤) فيليب حتى ، خمسة آلاف سنة فى تاريخ الشرق الأدنى ، المجلد الثانى ، ص ١١ .

وكانت الطبيعة العسكرية التى طبع عليها العنصر التركى ، هى موضع اتفاق المصادر التاريخية التى تذكر أن العنصر التركى كانت سمته الشدة ، والصبر على تحمل المشاق ، لمراقتهم فى البداوة ، وتشعث مواطنهم ، ووعورة المسالك فيها ، ثم ازدادوا بأسا باستسلامهم لحياة الجندية ، وعشقهم لها حتى صارت القوة هى المثل الأعلى لهم . (١) وقد انفرد الشعب التركى بمزايا اختص بها من بين الشعوب ، حيث كان شعبا ناهضا ، متحمسا ، طموحا ، تبدو فيه روح الجهاد لقرب عهده بالفطرة والبساطة فى الحياة. (٢) كما أنهم استمدوا هذه الروح العسكرية من بيئتهم الأصلية فى سهول آسيا الصغرى . ثم بعد ذلك عمل السلاطين العثمانيون على تعميقها فى نفوسهم ، فلازمتهم طوال تاريخهم الحافل عبر القرون التى حملوا فيها السلاح . (٣)

ولقد ذكر المؤرخون الأوربيون أن أول ما يلفت الأنظار فى الأتراك العثمانيين هو روح الانتظام ، والتربية العسكرية الصارمة ، ولقد حرصوا على على ذلك كل الحرص حتى جعلوا عقوبة الاعدام جزاء من تسول له نفسه ارتكاب جريمة التأخر ، أو العصيان . وقد صارت القوة عندهم هى المعيار

---

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثمانى ، ج ٢ ص ١٤٠.
(٢) أبو الحسن الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ١٦٠ — ١٦١.
(٣) الشناوى ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ص ٥٢١ .

الأول لتقويم الفرد ، فبحسب قوته ما ينال من نفوذ ومكانه ، ولا أهمية لسن ، ولا نسب ، والفخار كل الفخار لمن يموت فى ساحة القتال . (١)

كانت هذه هى صفات العنصر التركى المنتزعة من البيئة الأولى لهم ، وقبل أن يكون العثمانيون جيشهم من تلك العناصر وغيرها .

ومما أضاف للدولة العثمانية قوة وزادها هيبة ، النظام الجديد الذى وضعه أورخان لتكوين جيش جديد على نظام جديد ، هو نظام الانكشارية الذى فى ظله أنشئت فرقة قوية من فرق المشاة قامت على عدد من الأطفال الصغار من الرعايا المسيحيين . فكان هؤلاء الأولاد الذكور يوضعون فى ثكنات ويربون تربية اسلامية ، ويدربون تدريبا عسكريا جيدا على الحرب مشاة ويجيدون استعمال السيف ، والقوس ، ويتحركون فى مجموعات متراصة لم يستطع أى عدو أن يمزقها ، أو يشتتها ، دهورا طويلة ، كما كان النظام البدنى ، والخلقى الذى وضع للانكشارية متينا جدا ، حتى انه لم يعرف عن أحد منهم أنه اعتزل ، أو تخلى عن منصبه . (٢)

---

(1) Cohun: L'introduction a l'historie de l'Asie, pp. 19 - 20.

(٢) أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٤٨.

ومع هذه القوة البشرية ، والروحية التى امتاز بها (الينى شريه) الانكشارية ، فان الدولة كانت تعلم تماما أن القوة الحربية لا تستطيع بسط سيطرة الاسلام روحيا ، وماديا ، الا اذا كان لديها من الأسلحة ما تقهر به خصوم الاسلام . ومن أجل ذلك بادر العثمانيون فى صدر دولتهم الى استعمال المعدات الحربية الحديثة مثل استعمال النار ، والبارود ، والعناية بالمدافع ، فأصبح فى أيديهم أحدث آلات الحرب .(١)

والواقع أن العثمانيين قد نجحوا فى بناء هذه القوة العسكرية (الانكشارية) حين أقاموها على أساس نظام الاسلام فى التربية العسكرية وفق منهج مدروس من الاسلام فصارت نموذجا غريبا ، حيث أصبح الجندى من هذه الجنود الذين جلبوا من غلمان النصارى لا يعرف له أبا الا السلطان ، ولا دينا الا الاسلام ، ولا كتابا الا القرآن ، ولا عملا الا الجهاد ، واعلاء كلمة الاسلام ، وقد استمر نظامها على جانب كبير من الكفاية ثلاثة قرون قبل أن يتسرب الضعف للدولة العثمانية .(٢) ويرجع الفضل فى تكوين هذه الفرق الى السلطان أورخان — كما سبق القول — حيث وضع خطة جديدة لتكوين جيش جديد فأعلن أن للمسيحيين الذين خضعوا للحكم التركى حرية

---

(١) أبو الحسن الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٦٠ — ١٦١.

(٢) أنور الجندى : الاسلام وحركة التاريخ ، ص٣١٢ ، ٣١٥ ، عبد العزيز سليمان نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص٣٢ ، ٣٣ ، فيشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٤٧ — ٤٤٨ .

العبادة فى نظير أن تكون الجزية التى يقدمونها للدولة مجموعة من الأطفال ينشأون تنشئة اسلامية ، ويربون تربية دينية ، يذوقون فيها حلاوة الاسلام ، ويؤمنون به ، ثم ينضمون بعد ذلك الى الحرس الامبراطورى (الينى شريسة) المشهورة ، أو يلتحقون بالخدمة المدنية . (١)

ولما كانت فرق الانكشارية هى فرق النصر والمجد للدولة العثمانية فقد لفتت أنظار المؤرخين ، والباحثين من الأوربيين ، وجعلوها موضوع بحوثهم ، واهتمامهم ، فأصدروا عليها أحكاما مختلفة ، منها ما يبدو فيها الاعجاب بشجاعتهم ، وحسن نظامهم ، وطريقة تربيتهم ، ومنها ما يظهر فيه التحامل على هذه الفرق ، ووصفها بالقسوة ، والغلظة ، والبطش بخصوم الدولة فى ميادين القتال .

ونذكر على سبيل المثال آراء بعض المؤرخين الأوربيين فى تقويم الوسيلة التى اتبعت فى تنشئة تلك الفرق ، فيرى المؤرخ الألمانى بروكلمان أن تدريبهم كان يلتزم المبادىء الانسانية الى أبعد الحدود على الرغم من صرامته ، ولا غرابة فى ذلك فقد كانت الدولة تقصد أن تخلق منهم رجالا شجعانا لا جبناء . (٢)

---

(١) جون هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد الخامس ، الخبر ١٢ ، ص ٠ ٤١٠ .

(٢) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ص ٨٣ .

ولكن المؤرخ الانجليزى فيشر ذكر أن (الينى شرية) الانكشارية نشأوا أرقاء ، أو أشباه أرقاء ، متجردين من جميع المؤثرات السلمية الانسانية ، التى تهذب الطباع ، محرومين من جميع الصفات المكتسبة التى تفتح العقول بعيدين عن جميع المثل العليا التى تحرك الارادة ، ذلك أن الينى شرية تعلم أن ينسى أباه ، وأمه ، واخوته ، وأقاربه ، وأن يعيش دون أمل ، فالثكنة العسكرية مأواه ، والحرب مهنته ، والقرآن عقيدته وما عليه الا أن يمضى فى قتال الأعداء ، أعداء السلطان ، وأعداء الله بروح رهبانية ملؤها حماسة متأججة وتعصب ركيز . (١)

واننا اذا دققنا النظر فى هذه الآراء نجد أنها كلها تلتقى عند وصفهم بالبطولة والشجاعة النادرة ، وأن أول ما يلفت الأنظار فى الأتراك روح الانتظام ، والتربية العسكرية الصارمة ، وقد حرصوا على ذلك كل الحرص. (٢) وكانت الصفات الخلقية للشخص التركى تضاف الى قوة الجيش العثمانى كمجموع ، فقد كان ممنوعا فى المعسكرات العثمانية الخمر ، والنساء ، والمقامرة ، وغالبا ما يقضى الرجال أوقات فراغهم فى الصلاة ، وفوق هذا كله كانت الطاعة هى أعظم ما يتحلون به وايمانهم العميق أنهم انما يقاتلون من أجل الحق ، ولتحقيق هدف مقدس للاسلام الا وهو الجهاد فى سبيل الله ، مما شجع

---

(١) فيشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤١ .

(1) Cahun: op. cit, p. 60.

الرجال على أن لايخشوا الموت الذى كان يمنحهم تاج الشهادة فى سبيل الله ، والفردوس الدائم . (١)

وهناك عامل آخر له أهميته العظمى فى المقومات العسكرية لجهاد العثمانيين ، وهو وجود عدد كبير من الشخصيات ذات القدرات المتفوقة فى مجال القيادة العسكرية ، والحكمة الواضحة فى النواحى الادارية ، فان قرونا ثلاثة فى تاريخ العثمانيين قد ظهرت فيها عبقريات عثمانية هى التى خلدت هذه الدولة على صفحات التاريخ . فقد أظهر عثمان مقدرة فائقة فى وضع النظم الادارية لامارته بحيث قطع العثمانيون — على عهده — شوطا بعيدا فى طريق التحول من نظام القبيلة المتجولة الى نظام الادارة المستقرة مما ساعدها على توطيد مركزها ، وتطورها تطورا سريعا الى دولة كبرى ، واعدادها للدور الضخم الذى قامت به بعد ذلك . (٢) ويمكن أن ننسب أول فضل فى تأسيس الامبراطورية العثمانية الى صفات السلاطين الشخصية ، فقد توالى تسعة من السلاطين فى فترة دامت مائتين وخمسا وستين سنة من بداية الدولة العثمانية الى موت سليمان القانونى — فكانوا سلسلة فذة من الأمراء المحاربين الجادين ، الذين فرضوا على رعاياهم الطاعة ، وملأوا قلوب

---

(1) Atiya: The Crusade in the later Middle Ages, pp. 448-449.

(٢) الشناوى ، أوربا فى العصور الحديثة ، ص ٥٢٢ — ٥٢٣ .

أعدائهم بالرعب والفزع .(١)

والسلطان أورخان الذى سن للدولة قوانين لم تكن موجودة من قبل ، ورسم لها الطريق السوى الذى ضمن لها حب الرعية ، وتعلق خصومها واعجابهم بها ، كما نظم أقوى جيش فى عصره ، على أسس تضمن ولاء الجند للدولة وتجعلهم يبذلون حياتهم كلها فداء للسلطان ودولته فكانت فرق الانكشارية — كما سبق القول — هى درع الدولة الذى يحميها ويحقق لها النصر فى كل ميدان ، كما كانت مبادئ هذه الفرق هى رفع راية الاسلام ونشره بين مسيحى أوربا بالمثل والسلوك الجاد وحسن المعاملة حيث أنه لم يعارضهم فى اقامة شعائرهم الدينية .(٢) ووطد أورخان دعائم العثمانيين فى غاليبولى أول مدينة عثمانية فى قارة أوربا المسيحية ، واتخذ منها منطلقا للفتح فى أوربا ، بعد أن كانت حروب الدولة السابقة داخل شبه جزيرة آسيا الصغرى ، وبذلك بدأت الفتوحات الاسلامية فى القارة الأوربية ضد الدولة البيزنطية على الأرض الأوربية المسيحية .(٣)

---

(١) ادوارد جيبون ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٣ .

(٣) البكرى ، المنح ، مخطوط ، ورقه ٣ ، S.Lane-Pool: Turkey, p. 34.

وكذلك كان من أعلام هذه الدولة العثمانية السلطان مراد الأول الـــذى عرف عنه ايمانه العميق وشدة تحمسه لنشر الدين الاسلامى فى أنحاء أوربـــا المسيحية ، وقد اشتهر بصوته الجهورى الذى كان يحمس به جنده فى ساحات القتال ويدعوهم له باسم الله سبحانه وتعالى ، وباسم الاسلام ، والجهاد فـــى سبيله ، وكانت تهليلاته هذه تملأ نفوس جنوده بالحماس وتدفعهم الـــى استرخاص الأنفس وما يملكونه فى سبيل الله ، حيث كان يطمح فى القضـــاء نهائيا على سيطرة الدولة البيزنطية ، فهو فاتح أدرنه المدينة الثانية فـــى الدولة البيزنطية ، كما تشهد له معركة قوصوه على روح الجهاد فى سبيـــل الله ، ونشر دينه الحنيف . (١)

فاذا جاوزنا السلطان مراد الأول الى السلطان بايزيد الأول نجـــده قد وطد مركز العثمانيين فى البلقان . (٢) وكان رحب الصدر ، كريم الخلـــق مع رعاياه المسيحيين ، وسمح لهم بالتردد على مجلسه فى حرية كاملـــة مما جعلهم يألفونه ألفة تامة . (٣) وعرفت شجاعته ، وخبرته فى القتـــال حينما تجلت شجاعته هذه فى فتح الأمارات التركية فى آسيا الصغرى ، وفتحـه

---

(1) The Cambridge History of Islam, I. The Central Islamic Land, pp. 275-276.

(2) Vasiliev: History of the Byzantine Empire, p. 629.

(٣) توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ١٧٣ .

بلغاريا كلها سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣م (١) . ومن بعدها نجده يحقق نصرا مؤزرا في موقعة نيقوبوليس ذات الشهرة الكبرى في المواقع الحربية بين البيزنطيين والعثمانيين سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م. ويصفه ابن حجر العسقلاني بأنه " أعظم ملوك العالم " كان مرهوب الجانب ، يحب العلم والعلماء ، ويقدر كل من كان له المام بعلوم القرآن ،(٢) وكان لايمكن أحدا من التعرض لمال أحد من الرعية حيا أو ميتا ، وكان الأمن فاشيا في بلاده بحيث يمر الرجل بالحمل مطروحا بالبضاعة فلا يتعرض له أحد ، وكان يشترط على كل من يخدمه أن لا يكذب ولا يخون . (٣)

ثم يأتي دور السلطان محمد الأول المسمى محمد جلبي ، واستطاع هذا السلطان بفضل صبره وجلده أن يعيد السيادة العثمانية على الأقاليم التي استغلت فرصة الغزو المغولي فخرجت عن طاعة الدولة العثمانية . وهو الذي واصل جهوده العظمية لاتمام بناء دار للسفن في غاليبولي حتى يستطيع مواجهة أعداء الدولة بحريا اذا لزم الأمر . (٤) وأطال السلطان محمد الأول في عمر الدولة العثمانية حتى أتى السلطان مراد الثاني الذي استطاع القضاء على الفتن الداخلية في الدولة العثمانية ، وكذلك حصار القسطنطينية

---

(1) Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p. 489.

(٢) ابن حجر العسقلاني ، أبناء الغمر بأنباء العمر ، ج ٢ ، ص ٢٢٦؛
Atiya: op. cit, p. 449.

(٣) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٢٧.

(٤) كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية ، ص ٢٨.

محاولا فتحها ، وهو فاتح مدينة سالونيك[١] . والسلطان مراد الثانى هو المقاتل الشجاع الذى قاتل هونياد المجرى وانتصر عليه فى موقعة فارنا (وارنـــه) الشهيرة سنة ٨٤٨ هـ / سنة ١٤٤٤ م .[٢]

ثم جاء السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية الذى كان يملك شخصية فذة عظيمة ، فقد تفوق على كل أقرانه منذ حداثته وهو يتلقى العلم فى مدرسة الأمراء ، وكان مغرما بتعليم اللغات ، كما كان شاعرا مجيدا ، جمع حولـــه كبار الشعراء من جميع أنحاء العالم الاسلامى .[٣] وكان يحرص على النظـــام والمواعيد ، فلم يكن يسكت على أى اهمال ، أو تأخير فى أى عمل مـــن الأعمال ، المدنية ، أو العسكرية ، على حد سواء ، وقد قضى السلطان محمد الثانى السنة الأولى من حكمه فى اعادة تنظيم دواوين الحكومة ، ومصالحهـــا المختلفة ، وخاصة النواحى المالية ، والتى عمد الى تقليل البذخ والانفـــاق فيها ، واهتم بالسجلات الخاصة بالجيش ، وزاد رواتب الجنود ، ووجـــه عنايته أيضا الى حكام الأقاليم ، فرفع منهم البعض الى أعلى المناصب ، وعاقـــب المقصرين ، واستبدل البعض منهم ، وقد تم كل ذلك بروح من الدبلوماسيـــة والعدالة ، مما جعل الجميع يثنون على كفاءته ، ومقدرته .[٤]

---

(1) Stavrianos: The Balkans Since 1453, p. 51.

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٧ .

(3) Alderson: The structure of the Ottoman Dynasty, p.123
Lane-Pool: Turkey, p. 101.

(٤) كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٣١ ،
Alderson, op. cit. p. 123.

هؤلاء كلهم ظهروا بمواهبهم العسكرية التى ورثوها بالفطرة عن آبائهم وأجدادهم وقد لازمتهم هذه الصفة فى كل أدوار حياتهم . ومن أجل ذلك كان السلاطين العثمانيون حريصين على أن يقودوا الجيوش بأنفسهم ، ويديروا دفة المعارك بمهارة فائقة فى كل معركة خاضوها مع خصومهم ، خصوم الاسلام الذين أوقفوا أنفسهم لنشره واعلاء كلمته ، حيث كان السلاطين حريصين على تدعيم السلطة الدينية سلطة شيخ الاسلام كما كانت الدولة تهتم اهتماما بالغا بنشر التعبئة الروحية بين الجنود قبل خوض المعركة .(١)

أما الدوافع الدينية فتتمثل فى اعتناق العثمانيين للاسلام وتحمسهم لنشره فى كل مكان ، وفى التربية الدينية التى طبعتهم بالطابع الاسلامى الصحيح وأيضا فى ظهور الحماس الدينى بين أفراد الجيش العثمانى بشكل ملحوظ .(٢) فنحن نقرأ عن العثمانيين انهم وضعوا أمام عيونهم من أول الأمر اقتفاء أثر الخلفاء الراشدين فى التقوى والقناعة والاحسان ، ولم تكن هذه الصفات خاصة بواحد من السلاطين العثمانيين بل تداولها السلاطين الأول واحدا بعد واحد .

---

(١) الشناوى ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٥٤١ ـ ٥٤٢ .
(٢) كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ١٤ ـ ١٥ ، محمود محمد زيادة : دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ص ٥٧٠ ـ ٥٧١ .

أما عن أسلوب السلطان عثمان فى جمع القلوب حوله فانه عمل على تقريب العلماء والأتقياء وأنشأ لهم مدارس ورتب لهم لقاءات يجتمعون فيها ، وبلغ من حبه ، واحترامه للعلماء ، أن حرص على مصاهرتهم فتزوج من ابنة (الشيخ اده بالى) تبركا بتقواه .⁽١⁾ أما حياة عثمان الشخصية فكان متقشفا ، زاهدا ، منصرفا عن متاع الدنيا ، عزوفا عن جمع المال وعندما مات لم يخلف الا شمارا مزركشا ، وعمامة ، وبضع قطع من الحرير ، وبعض الخيول ، وقطعانا من الغنم .⁽٢⁾

فاذا جاوزنا السلطان عثمان الذى ترك وصيته لابنه أورخان ينصحه فيها بالحرص على الدين ، واحترام العلماء ، والشفقة على الرعية ، ومداومة الجهاد ، فنجد أن أورخان يقوم بتنفيذ هذه الوصية تنفيذا دقيقا حتى اشتهر بالتقوى والاحسان⁽٣⁾.

ودرج السلاطين العثمانيون على سنة آبائهم من الحرص على الناحية

---

(١) محمود شيت خطاب ، مقال فى مجلة رابطة العالم الاسلامى ، محمد الفاتح ، رمضان سنة ١٣٩٧ هـ ، العدد التاسع ، السنة ١٥ ، ص ١٩ .

(٢) بيهم ، فلسفة التاريخ ، ص ١٣١ ، فيشر ، أوربا العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٤٦ .

(٣) تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ٣٩ .

الدينية ، واذا فرط واحد منهم فى المظهر الدينى فان العلماء كانوا ينبهون السلطان كما حدث مع السلطان مراد الأول الذى لم يكن حريصا على صلاة الجماعة ورفض القاضى شهادته لأنه لا يصلى جماعة مما حمل السلطان مراد الأول على أن ينشىء فى مدينة أدرنه المسجد المعروف باسمه تكفيرا عن ذنوبه . (١) وظلت روح الاسلام مسيطرة على تصرف العثمانيين حتى بعد أن تمكنت منهم روح الحضارة ، وأخذتهم طبيعة الملك .

وتعتبر سياسة التسامح الدينى التى اتبعها العثمانيون من مقومات حركة الجهاد العثمانى ضد البيزنطيين ، فمنذ الأيام الأولى التى قام العثمانيون فيها بتوسيع مملكتهم فى آسيا الصغرى توطدت العلاقات بين الحكومة الاسلامية والكنيسة المسيحية على أساس ثابت وحاول العثمانيون استمالة المسيحيين بعقد أواصر المصاهرة معهم ، فقد اختار عثمان لنفسه زوجة مسيحية من قيليقيا ، كما زوج ابنه أورخان من فتاة مسيحية كما اتخذ ميخائيل ذا اللحية نائبا له فى ميادين الحروب. (٢) وكانت الدولة العثمانية تعامل المسيحيين كأعز أبنائها المسلمين. ولم تميز بين هؤلاء وبين المسلمين ،

---

(1) Jouannin, Vangaver: L'univers Turquie, pp. 32-38.

(٢) فيشر ، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ق ٢ ص ٤٤٦.

وسلكت مع الجميع طريق المساواة وعينت الكثير من المسيحيين فى المناصب السامية والوظائف العالية وائتمنتهم على أمورها ، وجعلتهم محلا لثقتها.(١)

وقد اثمرت سياسة التسامح ثمرتها المرجوة فى تعلق الرعايا المسيحيين بالدولة العثمانية ، وصاروا يفضلون عيشهم فى ظل العثمانيين على بقائهم تحت سلطان الدولة البيزنطية ، ويتضح ذلك من العبارة التى تناقلها المسيحيون عن لوكاس ناتوراس الزعيم الدينى البيزنطى حيث قال " انه لخير لنا أن نرى العمامة التركية فى مدينتنا (القسطنطينية) من أن نرى فيها تاج البابوية ". (٢)

وحينما تعلو مكانة رجال الدين فى أى دولة وتكون لهم الحظوة عندا لحاكمين دل ذلك على رغبة الملوك والسلاطين فى سيطرة الشريعة الاسلامية ، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله الكريم وخاصة فى الدول التى رفعت راية الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا فى كل مكان. وكان هذا الاتجاه معروفا فى الدولة العثمانية عند قيامها حيث كان أمل العثمانيين أن يقوموا بالدور الذى قام به العرب فى صدر الاسلام. (٣)

---

(١) محمود زيادة ، دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ص ٥٩٦.

(٢) نورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، ملحق ٢ ، ص ٣٩١-٣٩٢ ، رزق الله منقريوس الصرفى ، تاريخ دول الاسلام ، ص ١٠٧ ،

Mijattovich: The Emperor of the Greeks. p. 45 FF; The Cam. Hist. of Ialam, I, p. 288 FF.

(٣) بيهم ، فلسفة التاريخ العثمانى ، ص ١١٩ ، فائق الصواف ، العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ، ص ١٩ - ٢٠.

ومن أجل ذلك حفظوا لرجال الدين مكانتهم من أول الأمر حيث كانت السلطة العثمانية العليا موزعة بين طبقتين هما الطبقة العسكرية ، وعلى رأسها السلطان وفى يده السلطة التنفيذية ، فوق السلطة العسكرية ، أما الطبقة الثانية فهى طبقة هيئة كبار العلماء وعلى رأسها مفتى الديار وهو شيخ الاسلام ، فكانت لكلمة رجال الدين أهمية كبرى ، وقوة تتلاشى أمامها كل الاعتبارات ، كما كانت أحكامهم محل اعتبار كبير من الحاكمين . (١)

وهناك أمثلة واضحة من تصرفات السلطان محمد الفاتح ومعاملته لرجال الدين فى دولته ما يطلعنا على المكانة السامية التى تبوأها رجال الدين فى عهد الدولة العثمانية حيث كان السلطان محمد الفاتح يقف صاغرا متخشعا أمام العلماء ، وأهل الورع ، والتقى ، ويستشيرهم فى أخطر أموره ، وينصت الى نصائحهم ، ويتقبلها بقبول حسن ، وينفذ تعاليمهم نصا وروحا لأنهم كانوا يصحبونه فى غزواته وحروبه ، حيث كانوا فى كل ميدان من ميادين القتال فى طليعة الجيش الى جانب السلطان يثيرون الحمية الدينية ، ويتلون على الجنود آيات الجهاد والنصر . ولعل مما زاد فى هيبتهم وحمل السلاطين على احترامهم ، وتقديرهم ، أنهم لم يقفوا عند صناعة الكلام يأمرون بالقتال ولا يقاتلون ، بل كانوا يقاتلون فى المعركة بجانب الجنود حتى يضربوا لهم أروع الأمثال فى الشجاعة ، والاقدام . (٢)

---

(١) محمد عبد المنعم الراقد ، الغزو العثمانى لمصر ونتائجه على الوطن العربى ، ص ٢٣ ــ ٢٤ ، ص ٤٤ ــ ٤٥ .

(٢) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٥٤١ ــ ٥٤٢ ــ ٥٤٣ .

الفصل الأول

استيلاء العثمانيين على غاليبولي وبداية التوسع العثماني في البلقان

- عوامل اضمحلال الدولة البيزنطية عند منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .
- دور مدينة غاليبولي في جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين .
- استعانة الأمبراطور البيزنطي حنا الخامس بالغرب الأوربي ضد العثمانيين .

كان استيلاء العثمانيين على غاليبولى بداية التوسع العثمانى فى البلقان نتيجة لاضمحلال الدولة البيزنطية عند منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، ولدراسة هذا الموضوع لابد من القاء الضوء على عوامل هذا الاضمحلال سواء الخارجية منها أو الداخلية ، أما عن العوامل الداخلية فقد كانت المشكلة الكبرى التى واجهت الدولة البيزنطية ابتداءا من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) هى تعدد الأجناس مع العنصر اليونانى ، ولا يخفى أن تعدد الأجناس فى الامبراطورية البيزنطية سواء على الصعيد العسكرى أو الصعيد المدنى أدى الى مشكلة اجتماعية لها خطورتها من حيث الاختلاف فى العادات والتقاليد واللغات والآمال ، فلم تكن هناك آمال مشتركة ، ولا مصير مشترك ، ويمكننا أن ندرك خطورة الوضع فى الدولة البيزنطية اذا تصورنا وجود عدد من الأجناس فى أوربا وهم اليونانيون والسلاف والألبانيون ، والولاش ، ومثل هذا العدد من جنسيات أخرى فى القسم الآسيوى داخل الامبراطورية ، وهم اللاتين واليهود والمسلمون والسريان والأرمن وهؤلاء يقيمون فى العاصمة والأناضول ، (١)

وكان من عوامل الاضمحلال من الناحية الداخلية أيضا قوة الارستقراطية المدنية ، فقد جاءت عن طريق تركيز قبضة الامبراطورية الادارية والمالية

---

(1) Vryonis, Byzantiume: The Social Basis of Decline in the Eleventh Century, Vol. II, p. 167.

فى العاصمة نفسها ، وجعل الادارة المركزية للجيش فى القسطنطينيـــــة . وهكذا يستطيع المرء أن يتبين نتيجة هذا التباين بين الارستقراطية المدنية المركزية ، والارستقراطية العسكرية فى الأقاليم. وأنه كان سببا فى انـــدلاع الحرب الأهلية ، حيث بدأ الفريقان الصراع على السلطة ، وأخذ العداء يكون طابعا رئيسيا بين الفريقين(١). وكانت الامبراطورية البيزنطية تعانـــى من أمراض الشيخوخة ، وكان أخطر هذه الأمراض هو الحرب الأهلية ، والصراع حول العرش بين زعماء غير أكفاء لمواجهة الخطر الحقيقى الذى يواجـــــه الامبراطورية ، وكان وقود هذه الحرب شعبا كان يفقد الثقة فى نفســـه ، وفى زعمائه سنة بعد أخرى . (٢)

وزاد الموقف سوءا بالنسبة للامبراطورية البيزنطية أن وفاة الامبراطـــور أندرونيق الثالث سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م أعقبتها حرب أهلية أثناء وصايـة آنا (Anna) أميرة سافوى التى أشرفت على الامبراطور حنا الخامس باليولوغوس الذى لم يكن قد بلغ سن الرشد ، فقام حنا كنتاكوزين وأعلـــن نفسه امبراطورا سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ، ولست سنوات أصبح العالـــم البيزنطى مقسما بين جماعتين ، الأولى ، وهى الجماعة الارستقراطيـــــة وتناصر أسرة كنتاكوزين ، والثانية ، جماعة العامة وتناصر أسرة باليولوغـــوس ،

---

(1) Vryonis: op. cit., pp. 163-165; Diehl: History of the Byzantine Empire, p. 564.

(٢) محمود محمد زيادة ، دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ص ٥٩٦ .

وفى خلال هذه الحروب الأهلية الداخلية ، لم يتردد المتنازعون على العرش عن الاستعانة بالعثمانيين ، مما أعطى الأتراك العثمانيين سلاحا خطيرا فى تقدمهم الى الدولة البيزنطية والتدخل فى شئونها الداخلية . ومن جهة أخرى مكنت هذه الحروب الأهلية البيزنطية لستيفن دوشان (٧٣٤ هـ — ٧٥٦ هـ / ١٣٣٣ م — ١٣٥٥م) ملك الصرب من انتهاز الفرصة ، والاستيلاء على ألبانيا وأبيروس وتساليا ، فضلا عن اتخاذه لقب امبراطور من جهة أخرى .(١)

وفى أثناء عهد حنا كنتاكوزين (٧٤٨ هـ — ٧٥٦ هـ / ١٣٤٧م — ١٣٥٥م) عانت الامبراطورية البيزنطية الكثير من مؤامرات حنا باليولوغوس الخامس ، وما أدت اليه هذه المؤامرات من اضطرابات داخلية ، فقد زاد من عوامل هذه الفوضى والاضطرابات الداخلية فى الامبراطورية البيزنطية احتدام التنافس بين جنوه والبندقية فى أنحاء الامبراطورية داخل أراضيها الى أن انتهى الأمر بهزيمة البندقية سنة ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣م . (٢) هذا مما أدى فى النهاية الى طرد حنا كنتاكوزين من الحكم وتولى الامبراطورية أخيرا الامبراطور الشرعى حنا باليولوغوس ، ولكن كانت الامبراطورية قد انهارت من جراء هذه الحروب الداخلية الدامية بين أفراد الحزبين (كنتاكوزين — وباليولوغوس) (٣)

---

(1) Miller: The Balkans, pp. 274-278.
(2) Cam. Med. Hist. Vol. 4, p. 666.

(٣) أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٠ — ٢٥١ ، نورمان بينز ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٤٨ — ٣٤٩ ، سعيد عبدالفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٦٥١ .

ونتيجة لذلك كانت الدولة البيزنطية تعانى من الارتباك المالى فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى). فبالرغم من النظم المالية والضرائب التى فرضتها الدولة على رعاياها، فان خزانة الدولة أصبحت تعانى من نقص الدخل، ويرجع ذلك كما ذكرنا الى ما سببته الحروب الأهلية الداخلية من خراب. كما أن الرسوم الجمركية قد تضاءلت بسبب استئثار البنادقة والجنوية بقسط كبير من التجارة الخارجية واحتكارهم لها وحصولهم على امتيازات كبيرة فى موانئ ومدن الامبراطورية، ولذلك اضطرت الحكومة البيزنطية لخفض قيمة النقد الذهبى البيزنطى، وعمد الأباطرة البيزنطيون للاستدانة، حتى أنهم رهنوا جواهر التاج. ونضبت الموارد، وأصبحت خزانة الدولة خاوية وانتشرت المجاعة بين قطاع كبير من المواطنين البيزنطيين. (١)

ومع مرور الأيام لم يتحسن الحال، بل زادت الأزمة تعقيدا، واضطر الامبراطور لفرض ضرائب جديدة على المواطنين القادرين وغير القادرين. لكن السنوات العجاف التى استمرت فيها الحرب الأهلية، أودت هى الأخرى بالكثير من مصادر الدخل الخاصة، مما جعل طائفة الملاك أيضا يتقاعسون عن الاسهام بأنصبة مالية لدعم النظام المالى المتدهور، وزادت هذه الضرائب عدد المتذمرين فى الامبراطورية البيزنطية أيضا. (٢)

---

(١) عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٢١، نبيه عاقل، الامبراطورية البيزنطية، ص ٣٣٦.

(٢) الشناوى، نفس المرجع، ص ٥٦٦، Ostrogorsky: op. cit., p. 304.

وقد صاحب التدهور المالي تدهور آخر ظهر أثره في قوة الجيش البيزنطي وقدرته ، وأصبح من المتعذر فرض الطاعة والنظام على عناصره . وبشكل عام أضحى الجيش البيزنطي أضعف من أن يستطيع القيام بمسئولية الدفاع عن الامبراطورية البيزنطية .

وكانت الامبراطورية البيزنطية قد استخدمت فئات من الجنود المرتزقة لدعم موقفها العسكري فكانت بذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار ، حيث كان من بين هذه الفئات ، العصبة القطلانية الكبرى ، والتي بلغ عدد أفرادها حوالي ثمانية آلاف جندي مرتزق . وتكونت هذه العصبة من جماعة النبلاء القطلانيين الذين أخنى عليهم الدهر والفقر ، حيث أبحروا من مسينيا في جزيرة صقلية الى القسطنطينية في سنة ٧٠٠ هـ / سنة ١٣٠٠ م ، وكانوا على نصيب موفور من الشراسة والميل الى التخريب والخروج على النظام وكانوا معولا هداما أكثر منهم أداة تدعيم . (١)

وتزعم هذه العصبة في العاصمة البيزنطية قرصان ألماني اسمه روجر دى فلور ، (Roger de flor) وقد منحت الدولة البيزنطية روجر هذا لقب (دوق أعظم)، واستغل روجر وجماعته هذا التكريم فعاثوا في القسطنطينية فسادا ، وارتكبوا المذابح الجماعية ونشروا الرعب بين الأهالي البيزنطيين ،

---

(١) فيشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٤٢ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٥٦٧ ، عمر توفيق ، نفس المرجع ، ص ٢٢١ ، نبيه عاقل ، نفس المرجع ، ص ٣٣٩ ، عبد القادر أحمد اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧٢ .

واحتلوا شبه جزيرة غاليبولى ، وأدركوا أن لا حرج عليهم فى دولة برح بها الضعف أن ينشروا فيها الفساد ، وأن يتطاولوا على حكومتها وامبراطورها أعظم تطاول . (١)

ومن ناحية أخرى كانت الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية فى القسطنطينية قد فقدت سيطرتها على العالم المسيحى الشرقى فى البلقان . ولم تستطع هذه الكنيسة أن تحافظ على تماسك العناصر المسيحية الخاضعة لها ، اذ كان الفساد قد تطرق اليها ، وانعكس هذا الفساد على سلوك رجالها . وبددت الكنيسة جهودها فى الاصلاح فى مناقشات دينية عقيمة . زادت من الفرقة والنفور بين رعاياها . فكان من نتيجة ذلك ضعف الوازع الدينى فى نفوس الشعوب البلقانية ، وعدم القيام بتعبئة روحية بين الجماهير المسيحية ، مما أدى الى الانهيار العسكرى الكامل عند وقوع الاشتباك مع العثمانيين المسلمين . وكان الخلاف الدينى والمذهبى بين المسيحيين الأرثوذكس الشرقيين ، وبين المسيحيين الكاثوليك الغربيين وهم رعايا كنيسة روما ، هذا الخلاف الدينى والمذهبى الذى استحكمت حلقاته — ترك آثارا عميقة فى نفوس الفريقين وعلى الأخص المسيحيين الشرقيين الأرثوذكس ، كان من أكبر العوامل التى ساعدت العثمانيين فى زحفهم على البلقان وفتحها .

---

(١) فيشر ، نفس المرجع ، ص ٤٤٣ ، نبيه عاقل ، نفس المرجع ، ص ٣٣٩ ، عبد القادر اليوسف ، نفس المرجع ، ص ١٧٢ / ١٧٣ .

وبهذا يتبين لنا أن الحروب الأهلية كانت من أهم العوامل التى ساعدت الأتراك على فتح الأناضول بسرعة وسهولة ، وذلك لأن كلا الفريقين ، الارستقراطية المدنية ، والارستقراطية العسكرية قد استعان بالأتراك لمعاونتهم العسكرية خلال الحروب الأهلية والتى وجد الأتراك العثمانيون فيها طريقا لهم الى بحر ايجه ، والى كثير من المدن الحصينة وتمكنوا من الاستيلاء عليها. (١)

وسبب ذلك أن الدعامتين الأساسيتين اللتين قامت عليهما السلطة فى الدولة البيزنطية لم تكونا سوى الثراء المادى والنظام الادارى ، كما عانى النظام الادارى أيضا داخل الدولة من فساد استشرى فى كل القطاعات فانخفضت قيمة العملة ، وجفت ينابيع الموارد المالية ، وتقلصت سلطة الاداريين فى الدولة البيزنطية حتى أصبحوا مجرد أسماء لا تتمتع بأى صلاحيات ادارية على الاطلاق . ومن الغريب أن هؤلاء الاداريين الذين عملوا تحت أباطرة بيزنطة كانوا حجر الزاوية فى النظام الادارى فى الدولة البيزنطية . وتحولت المكاتب والمصالح والادارات الى أسماء فارغة من أى معنى وضاعت وسط زحام الفساد الادارى كل الصلاحيات التى كان يتمتع بها هؤلاء القادة الاداريون . (٢)

---

(1) Vryonis: Byzantiume. p. 174.

(2) Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p. 532.

ومجمل القول أن تردى الأوضاع الاقتصادية والانحلال والتفكك الذى ساد أجهزة ودوائر الحكومة أودى بالوجود الذاتى للأمبراطورية البيزنطية ، وهز جذورها من الأعماق واستمر هذا الانهيار والتفكك حتى كانت نهاية الدولة البيزنطية . ولم يكن تاريخ الدولة البيزنطية فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) سوى تأريخ لبداية النهاية للدولة البيزنطية .

أما عن العوامل الخارجية لاضمحلال الدولة البيزنطية عند منتصف القرن الثامن الهجرى ، فمنذ أن وصلت الفتوحات الاسلامية الى حدود الدولة البيزنطية والعلاقات بين المسلمين وبين الدولة البيزنطية فى شد وجذب بين غارات وعداوات مستمرة وترصد كل من الدولتين للأخرى . وأبرز ما دونه التاريخ من العلاقات السيئة بين المسلمين والدولة البيزنطية ، يرى واضحا فى العصر العباسى . فقد كانت الحدود بين العباسيين ، والبيزنطيين ميدانا لنشاط حربى كان محدودا ، ولكنه يكاد يكون متصلا . فلم يكن كنشاط الأمويين ، ويرجع ذلك الى أن هدف الأمويين كان التوسع ، بل وفتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية والقضاء عليها ليتم بذلك احتلال وفتح بلاد الروم ، كما تم من قبل فتح بلاد فارس . لكن العباسيين لم يسيروا على هذا النمط ، وانما جعلوا نشاطهم الحربى عبارة عن غارات،الغرض منها اظهار القوة وارهاب العدو ، والرد على ما قد يقوم به من نشاط مماثل ، وقد اتخذت هذه الاغارات شكلا منتظما وكانت تسمى الصوائف والشواتى .(١)

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ١٣٧ ، سنة ١٣٩ ، ولتفصيل هذه النقطة ارجع الى فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج١ ، ج٢ ، حيث احتوى هذا المرجع على معلومات هامة قيمة .

وفى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أخذ الموقف بين المسلمين والمسيحيين البيزنطيين يتبدل نتيجة لظهور قوة الأتراك السلاجقة ، والذين يعتبر ظهورهم فاتحة عصر جديد لا فى التاريخ الاسلامى فحسب بل فى تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين بوجه عام • (١)

والسلاجقة فرع من الأتراك الغز ، ظلوا على بساطتهم الأولى ، دون أن تفسدهم حياة الترف والمدنية • حتى كان اعتناقهم الاسلام فى وقت متأخر وأعطى حماسهم للاسلام قوة جديدة للعالم الاسلامى • فى وقت تفكك فيه العالم الاسلامى واشتدت فيه الخلافات السياسية والمذهبية بين الدويلات التى انقسم اليها • (٢)

وقد تمكن السلاجقة الأتراك قبل منتصف القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)من فتح خراسان وايران • ودخل زعيمهم طغرل بك بغداد عام ١٠٥٥ م فرحب به الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، واستعان به ضد أعدائه ، وقد أسدى السلاجقة للدولة العباسية خدمات جمة جليلة ، استطاع طغرل بك من خلالها اخضاع الموصل وديار بكر وغيرها من الأطراف الغربية للدولة • (٣)

---

(1) Cam. Med. Hist, Vol. 4, p. 299.
(2) Cam. Med. Hist, Vol. 5, pp. 259-260.

(٣) كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٩ •

وقد حفظ لنا التاريخ ثلاثة من أعظم ملوك السلاجقة المسلمين المجاهدين في العصر السلجوقي الأول ، هم طغرل بك (ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م) ، وألب أرسلان (٤٥٥ — ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ — ١٠٧٢م) ، وملكشاه (٤٦٥ — ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ — ١٠٩٢م) .

وفي خلال الخمسين سنة التي حكم فيها هؤلاء الثلاثة العمالقة ، ساس أمور دولتهم وزير مشهور هو نظام الملك الذي كان عهده أزهى عصور التاريخ السلجوقي ، وأكثرها ازدهارا . (١)

وبعد وفاة طغرل بك دخلت سياسة السلاجقة تجاه الدولة البيزنطية دورا جديدا بعد أن خلف طغرل خليفته ألب أرسلان (٢) (٤٥٥هـ — ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣م — ١٠٧٢م) الذى حكم فترة قصيرة ولكنها مليئة بالحوادث الهامة . وذلك أن السلاجقة الأتراك كانوا سنيين متحمسين ، فتعصبوا لنصرة الخليفة العباسي السني ضد الفاطميين في مصر والشام . (٣)

---

(1) Diehl, Marcais, Le Mond Oriental de 395a1081, p.389.

(٢) ألب أرسلان : لقب تركي معناه الأسد الشجاع ، وقد اتخذ ألب أرسلان اسم محمد عند اعتناقه الاسلام ، ثم أضفى عليه الخليفة القائم لقب (عز الدين) — أنظر :

(3) Gibb: The Damascus chroniele of the Crusader, pp. 19 - 20.

ثم زاد ألب أرسلان على ذلك اخضاع الثورات التى قامت فى بلاد فارس[١]. على أن شهرة ألب أرسلان فى التاريخ نبعت بوجه خاص من موقفه من الدولة البيزنطية حيث أصبح السلاجقة الأتراك عند منتصف القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) عاملا أساسيا موجها للتاريخ البيزنطى نتيجة تهديدهم لحدود الدولة فى آسيا الصغرى والقوقاز.[٢] وذلك بحكم تطلعهم، وطموحهم الى توسيع دائرة أملاكهم على حساب خصومهم فى الدين. وقام ألب أرسلان بالاغارة على أطراف الدولة البيزنطية سنة ٤٥٧ هـ / سنة ١٠٦٥ م حيث فتح آنى، ثم قرص وهما العاصمتان القديمتان لأرمينية، والمركزان الأساسيان لقوة بيزنطة ونفوذها فى الأقاليم الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى.[٣] ومنذ ذلك الوقت أصبح الطريق مفتوحا أمام السلاجقة الأتراك الى داخل الأناضول، بعد أن استولى ألب أرسلان على قلب أرمينية، فاستمروا منذ ذلك الوقت يجتاحون القرى والضياع، متجنبين بقدر المستطاع المراكز القوية المحصنة. وفى سنة ٤٥٨ هـ / سنة ١٠٦٦ م احتلوا دروب جبال أمانوس، وفى الربيع التالى فتحوا قيصرية حاضرة كابادوكيا

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٨٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل، حوادث سنة ٤٥٦ هـ.

(٣) ابن الأثير، الكامل، حوادث سنة ٤٥٦ هـ؛
Vasiliev; op. cit., Vol. I, p. 355; Ostrogorsky: op. cit., p. 304.

واعتدوا على كنيسة القديس باسل (١). مما أثار الحماس الديني عند المسيحيين ، وهب الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع (Romanous IV) (٤٦٠ — ٤٦٤ هـ / ١٠٦٧ — ١٠٧١ م) للدفاع عن بلاده ضد هذا الخطر الاسلامي الداهم.

وبدأ رومانوس الرابع باصلاح الأوضاع الداخلية في الدولة ، ثم أعاد تنظيم الجيش البيزنطي الذي غدت الفرق الأساسية فيه تتألف من جند مرتزقة من النورمان الايطاليين ، والتركمان الآسيويين ، فضلا عن الفرنجة الغربيين . واستطاع الامبراطور البيزنطي أن يحقق بعض الانتصارات السريعة والسهلة في أول الأمر. هذا وإن كانت خفة الأتراك السلاجقة وسرعة حركاتهم لم تمكنه من تنفيذ برنامجه وفق ماكان يشتهي . (٢)

---

(١) القديس باسل : (٣٢٩ — ٣٧٩م) درس نظام الأديرة الانطونية والباخومية ولم تعجبه ، فأسس مؤسسة ديرية في قيصرية الجديدة في آسيا الصغرى حوالى (سنة ٣٦٠م) وسرعان ما أصبحت التنظيمات التي وضعها القديس باسل لمؤسساته الديرية بمثابة دستور للأديرة الباسلية التي انتشرت آنذاك في فلسطين واليونان والشام حتى صارت هذه الأديرة تتزعم الحياة الديرية في الامبراطورية البيزنطية في العصور الوسطى .

أنظر : Workman: The Evolution of the Monastic Ideal, pp. 111-113.

(٢) ابن الأثير ، حوادث سنة ٤٦٢ هـ ، رنسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٩٥.

Ostrogorsky: op. cit., p. 304; Vasiliev: op. cit., Vol. I, p. 355.

وخرج رومانوس الرابع فى ربيع سنة ٤٦٤ هـ / سنة ١٠٧١ م على رأس جيش كبير ليسترد أرمينية ، وقد سلك الامبراطور الطريق البيزنطى القديم الذى اجتازه الأباطرة فى حروبهم وهو طريق سيواس قيصرية للوصول الى مرعش على الحدود بين الشام وقيليقية، وقد جعل الامبراطور نصب عينيه أن يستولى على حصون أرمينية وأن يشحنها بالعساكر، قبل اقدام الترك من جهة الجنوب ، وكان الب أرسلان فى الشام فى موضع قريب من حلب ، وحينما سمع بزحف البيزنطيين أدرك أنه لابد أن يتصدى للقتال مع الصليبيين . (١)

وفى سنة ٤٦٤ هـ / ١٩ من أغسطس سنة ١٠٧١ م التقى ألب أرسلان بخصمه رومانوس الرابع فى جيش بلغ تعداده خمسة عشر ألف محارب جنوبى ملاذكرد (مانزكرت) (٢) أو على وجه التحديد بين مانزكرت وخلاط، ودارت المعركة ، وكان القتال عنيفا وطويلا ، لم تنجح فيه خيالة البيزنطيين المدرعة والثقيلة الحركة ، فتغلبت عليها خيالة السلاجقة الاتراك الخفيفة المعروفة بسرعة حركاتها حتى حلت الهزيمة بالبيزنطيين آخر الأمر . وتمزق الجيش البيزنطى شر ممزق فى حين وقع الامبراطور البيزنطى نفسه أسيرا بعد أن جرح فى المعركة . (٣)

---

(١) رنسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٩٨ .
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، حوادث سنة ٤٦٣ ، رنسمان ، نفس المرجع ص ٩٨ .
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٤ — ٦٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، ج ٢ ص ٢٢ — ٢٨ ، رنسمان ، نفس المرجع ص ٩٨ .

وتعتبر هزيمة مانزكرت الساحقة للبيزنطيين المسيحيين نقطة تحول خطيرة فى تاريخ الدولة البيزنطية ، حيث كانت دليلا واضحا على نهاية دور هذه الدولة فى حماية المسيحية من خطر وضغط الاسلام ، وترتب عليها أيضا ضياع الأجزاء الشرقية من الامبراطورية البيزنطية ، كذلك عدم استطاعة الامبراطورية البيزنطية الثبات بعد ذلك فى وجه الفتوحات التركية العثمانية فى آسيا الصغرى .

وبصفة عامة يمكن أن يقال أن هزيمة البيزنطيين فى موقعة مانزكرت قد قررت مصير الامبراطورية البيزنطية . فقد فقد البيزنطيون على أرض معركة مانزكرت ما اتخذوه من لقب حماة العالم المسيحى ، وفى حراسة الباب الشرقى لأوربا من غزو المسلمين . وكان ذلك نتيجة حتمية ومبررا قويا للغرب فى ارسالهم الحملات الصليبية ، والتى أدت بدورها فى النهاية الى انهيار الدولة البيزنطية . ولم تكن هزيمة مانزكرت سوى نتيجة لسوء الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التى سادت حياة الامبراطورية البيزنطية فى القرن الحادى عشر الميلادى وما تلاه . (١)

ولم تقلل وفاة ألب أرسلان سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢م من خطر السلاجقة الأتراك على الدولة البيزنطية ، اذ خلفه أخوه ملكشاه الذى استمر السلاجقة

---

(1) Peter: Economic Factors in the Decline of Byzantine Empire, pp. 415-416.

فى عهده يفتحون الكثير من بلاد آسيا الصغرى وينزلون بالمدن البيزنطية أقسى ألوان الهزيمة . (١) ويبدو أن السلاجقة استغلوا فرصة الفوضى التى غرقت فيها الامبراطورية البيزنطية فى الفترة الواقعة بين موقعة مانزكرت سنة ٤٦٤ هـ / سنة ١٠٧١ م واعتلاء الكسيوس كومنين عرش الامبراطورية سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م وأخذوا يتوسعون ويفتحون فى آسيا الصغرى دون مصادفة رقيب يقاومهم ، هذا الى جانب أن البيزنطيين أنفسهم استعانوا بهم فى خلافاتهم الداخلية .

وأخيرا لم يجد الامبراطور ميخائيل السابع (٤٦٤ هـ ـ ٤٧٢ هـ / ١٠٧١ ـ ١٠٧٩ م) وسيلة لوقف توسع السلاجقة الأتراك فى آسيا الصغرى سوى عمل اتفاقية سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م مع سليمان قائد جيش ملكشاه ، سلم فيها الامبراطور البيزنطى بحق السلاجقة فى حكم الأراضى التى فتحوها فعلا فى آسيا الصغرى . (٢) والى سليمان هذا يرجع الفضل فى وضع أساس ما عرف بعد ذلك باسم سلطنة قونية ، نسبة الى هذه المدينة العظيمة التى اتخذها الأتراك السلاجقة مركزا لسلطانهم فى آسيا الصغرى . ومن هذا المركز الرئيسى فى قلب آسيا الصغرى أخذت قوة الأتراك تنمو وتزدهر وتمتد حتى بلغت شواطئ البحر الأسود شمالا والبحر المتوسط جنوبا ، هذا عدا

---

(1) Cam. Med. Hist, Vol, 4, pp. 307-308.
(2) Tout: The Empire and the Papacy, p. 172; Vasiliev: op. cit., Vol. I, p. 471.

توسع الأتراك السلاجقة غربا دون أن تقوى الامبراطورية البيزنطية على وقف تيارهم . (١)

واذا كان الامبراطور البيزنطي الكسيوس الأول كومنين (٤٧٤ — ٥١٢ هـ / ١٠٨١ — ١١١٨م) قد استطاع أن يسير بسفينة الامبراطورية وسط هذه الأمواج المتلاطمة الى بر الأمان فانه لم يستطع الوصول الى هذه النتيجة دون ثمن مرتفع ، ذلك أن الصليبيين الأوربيين الغربيين الذين وفدوا الى الشرق نتيجة لتوسلات كومنين وأسلافه من الأباطرة ، استقروا بالأراضي الشامية ليثيروا خطرا مستمرا في وجه الامبراطور البيزنطي نتيجة لتفوقهم الحربي وأطماعهم السياسية من جهة ، وللعداء المذهبي بينهم وبين البيزنطيين الأرثوذكس من جهة أخرى . (٢)

وقد ترتب على ذلك وجود عدة عوامل لدى الصليبيين الغربيين ، منها التفوق العسكري ، والعتاد الحربي ، ثم الأطماع السياسية . ولعل أقوى هذه العوامل في اثارة العداء بين الصليبيين الغربيين والدولة البيزنطية هو الخلاف المذهبي ، والصراع الديني مما أدى الى سقوط القسطنطينية في أيدي الصليبيين الغربيين في الحملة الصليبية الرابعة سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م

---

(١) سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٣٤ ،
Diehl, Marcais: op. cit., p. 562.

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٤ ، و ص ٤٨٨ .

ليفعلوا فيها الشيء الكثير من ضروب السلب والنهب والتخريب حتى سنة ١٢٦١ م . (١) وكان استيلاء الصليبيين على القسطنطينية (١٢٠٤ هـ — ١٢٦١ م) وصمة عار فى تاريخ الحروب الصليبية تجاه الامبراطورية البيزنطية. ولم يزعج هذا التحول فى طريق الحملة الصليبية الرابعة واتجاهها نحو القسطنطينية البابا أنوسنت الثالث لأنه رأى فيه فرصة لطى الكنيسة الأرثوذكسية تحت لواء البابوية . (٢)

وكان استيلاء الغربيين على القسطنطينية واسقاطهم الامبراطورية البيزنطية ضربة لم تستطع الامبراطورية البيزنطية أن ترفع رأسها من بعدها ، وكذلك كان لمسلك الرومان المشين تجاه أهالى الامبراطورية نتائج أدت الى زيادة النفور بين البيزنطيين من الغرب الأوربى وأهله وكنيسته . (٣)

وعندما تم احياء الامبراطورية البيزنطية مرة أخرى على يد ميخائيل باليولوغوس الثامن (٦٥٨ — ٦٨١ هـ / ١٢٥٩ — ١٢٨٢م) الذى استغل تغيب الأسطول البندقى عن القسطنطينية وهاجم المدينة واستولى عليها (٦٦٠ هـ — ١٢٦١ م) وهلعت البندقية لذلك ولاسيما عندما منح الامبراطور البيزنطى ميخائيل الثامن منافستها جنوة جميع الامتيازات التى تمتع بها البنادقة

---

(1) Painter: A history of the Middle Ages, P.216.

(٢) جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثمانى ، ص ٢٣٧؛
Tout: op. cit, p. 347.

(3) Lodge: The Close of the Middle Ages, p. 494.

فى القسطنطينية ، ولذلك قامت البندقية تدعو لحملة صليبية رومانية غربيــــــة ضد الامبراطور ميخائيل الثامن ، وساندها البابا أوربان الرابع فى هـــذه الدعوة ، ولكن شيئا من هذا لم يتحقق وفشلت من جذورها . (١)

وكان من الواضح أن ما يسميه المؤرخون بأحياء الامبراطورية البيزنطيــــة (٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) لا يعدو أن يكون فى حقيقة الأمر استردادا لمدينــة القسطنطينية على أيدى أحد حكام نيقيــة البيزنطيين . (٢) ذلـــــك لأن الامبراطورية البيزنطية فى عهد ميخائيل الثامن وخلفائه كانت محـــدودة المساحة ، لا تتعدى القسطنطينية نفسها وعدة مناطق قريبة منها .. فمـــن جهتى الشمال والغرب كانت تحدها مملكة البلغار والصرب ، فى حـــين كانت شبه جزيرة المورة مقسمة الى دويلات صغيرة بين بعض الأمراء اللاتـــين والبنادقة الذين سيطروا أيضا على جزر كورفو ، وكريت ، وغيرها من جـــزر بحر إيجه . (٣) واذا كان الأباطرة البيزنطيون من أسرة باليولوغوس قد نجحوا فى الاحتفاظ بالجزء الأكبر من الساحل الغربى لآسيا الصغرى ، مع بعـــض المدن الهامة على شاطئ البحر الأسود ، فان بقية شبه جزيرة المـــورة

---

(1) Ostrogorsky: op. cit., pp. 399-400.

(2) Vasiliev: op. cit., Tome 2, p. 270.

(3) Gibbons: The foundation of the Ottoman Empier, p. 13.; Ostrogorsky: op. cit., p. 425.

ظل بأيدى سلاطين قونيــة الأتراك • فى الوقت الذى كان فيه البيزنطيــون أضعف من أن يقوموا بمحاولة أخرى جديدة لاسترداد هذه الأجزاء المفقودة (١) •

وحدث أن الامبراطورية البيزنطية بعد الامبراطور ميخائيل باليولوفــــوس قد منيت بأباطرة غير أكفاء كان همهم الانصراف الى اللهو والمشاحنـــــات المذهبية والتنازع على العرش فى الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانيــــة المسلمة تتحفز للوثوب على الجانب الأوربى من أملاك الدولة البيزنطيـــــة •

وكان هؤلاء الأباطرة قدوة سيئة لقومهم • ولم يعنوا بالجند ولا بالجيــش الذى أمسى فى جملته من المرتزقة الغرباء الذين كان يستوى لديهم انتصـــار الامبراطورية أو هزيمتها • ولكن التنازع الذى حدث أثر موت ستيفن روشــــان سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ملك الصرب فى دولته قضى عليها بالانحــــــلال فانفصلت عنها بلغاريا ، والبوسنة وألبانيا ومقدونيا • أما روسيا الأرثوذكسيــة رأس العائلة السلافية فكانت هى أيضا ترزح فى ذلك الوقت تحت أقدام المغــول فلم تحفل بها السلطنة العثمانية (٢) •

---

(١) المقدسى الحنبلى : قلائد العقيان فى فضائل آل عثمان ، ورقة ١٤ ، البكرى : المنح الرحمانية ، ورقة ٣٠ ، العصامى : سمط النجــــوم العوالى ، ج ٤ ، ص ٦٠ •

(2) Greasy: History of the Ottoman Turkes, p. 27.

أما الدول الكاثوليكية وهى بولونيا ، والمجر ، وألمانيا ، وفرنسا ، وانجلترا ، وأسبانيا فكانت حالتها فى منتصف القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى كالآتى :

كانت بولونيا من الدول القوية حينما نشأت الدولة العثمانية ، ولم تتوقع أن دولة العثمانيين ستنتهز فرصة الفوضى التى حدثت فى بولونيا سنة ٧٠٠ هـ / سنة ١٣٠٠ م بسبب التنازع على العرش وتقوى نفسها على حساب هذا التنازع فى داخل بولونيا ثم توسع أملاكها ابان الخصام الشديد الذى نشب بين ملوك بولونيا وأشراف مملكتهم .

وعندما سمعت الدول الكبرى الأوربية بآلام اخوانهم مسيحيى الشرق لم يحركوا ساكنا ولم تحاول هذه الدول أن تصنع شيئا تجاه هؤلاء يقوى من جانبهم ويضعف الأتراك العثمانيين ، وذلك لأن الروح الصليبية كانت قد ضعفت ولم يعد هناك فائدة ترجى لتلبية النداء ضد العثمانيين ، وأيضا لأن الأحوال الداخلية فى هذه الدول فى خلال القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى ، كانت لا تشجع على ذلك .

وكانت الآمال الكبرى معقودة على دفع خطر العثمانيين عن أوربا — على فرنسا وانجلترا . وأراد فيليب السادس ملك فرنسا أن يحيى عهد الحروب الصليبية ، لكن حال دون تحقيق هذه الرغبة حرب المائة عام التى اشتبكت فيها فرنسا مع انجلترا فى حرب ضروس من (٧٣٨ — ٨٥٧ هـ /

١٣٣٧ م — ١٤٥٣م)(١) .

أما فى أسبانيا فلقد كان الأمراء المسيحيون لازالوا مشغولين فى الصراع مع المسلمين ، وكانت الصعوبة فى وحدة القوى الغربية فى أى مشروع ضد العدو المشترك لديانتهم لا يمكن التغلب عليها لأن البابوية التى قسمت بين كل العالم الغربى المسيحى كانت منقسمة على نفسها الى بابويتين واحدة فى مدينة افينون (Avignon) الفرنسية ، والأخرى كانت فى مدينة روما الايطالية ، وهى الفترة الواقعة بين سنتى (٧٠٥ هـ — ٧٧٩ هـ / ١٣٠٥ م — ١٣٧٧ م) والتى يطلق عليها فى تاريخ البابوية اسم " الأسر البابلى " .(٢) وكان كلاهما يدعى تبعية الآخر له فى الوقت الذى

---

(١) حرب المائة عام : كانت بين انجلترا وفرنسا وكان من أسبابها النزاع بين انجلترا وفرنسا حول أملاك انجلترا فى القارة والتنافس الاقتصادى بين الدولتين وتعارض مصالحهما السياسية فى القارة (وكانت النتيجة النهائية لهذه الحروب هو طرد انجلترا نهائيا من قلب القارة .
أنظر : Thompson: The Middle Ages, Vol. 2., p. 891; Cam. Med. Hist. Vol.7., p. 340.

(٢) اهتز مركز البابوية اهتزازا عنيفا فى مطلع القرن الرابع عشر ، وحدث أن أختير فى سنة ١٣٠٥م أحد الكرادلة الفرنسيين لمنصب البابوية باسم البابا كلمنت الخامس (Clement V) (١٣٠٥—١٣١٤م) . وقد آثر هذا البابا أن تتم مراسيم توليه منصبه الجديد فى فرنسا فى مدينة افينون على نهر الرون على الحدود الفرنسية واتخذها مقرا جديدا للبابوية ، وكان المفروض أن تكون فى روما ، واستطالت هذه الفترة ٧٢ سنة أطلق عليها الأسر البابلى (١٣٠٥—١٣٧٧م) حيث كانت البابوية شبه أسيرة بحكم خضوعها للملكية الفرنسية . (أنظر : الشناوى ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ،
Stephenson: Mediaeval History, p. 503.

عجز كلاهما عن القيام بأى عمل ضد العثمانيين المسلمين (١) .

أما جنوة والبندقية ، فنشبت بينهما حرب أخرى ضروس داخل المياه البيزنطية . وكان من أسباب هذه الحروب محاولة جنوة فرض سيطرتها على الطريق التجارى فى البحر الأسود ، بل ذهبت جنوة الى أكثر من ذلك فحاولت سد الطريق أمام السفن الأجنبية ، وعمدت فى كثير من الأحيان الى مصادرة سفن البندقية التجارية فى كافا (Cafa) تحقيقا لتلك السيطرة (٧٥١ هـ / ١٣٥٠م) . واحتدم التنافس بينهما فى أنحاء الامبراطورية حتى انتهى بهزيمة البندقية (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) . (٢)

وكان اجتياح الوباء الخطير لأوربا (٧٤٩ هـ — ٧٥٠ هـ / ١٣٤٨ م — ١٣٤٩ م) والذى عرف بالموت الأسود (Black Death) أو الطاعون . والمعروف أن هذا الوباء زحف من آسيا على امتداد الطرق التجارية المؤدية الى البحر الأسود ، ومن ثم تطرق الى شرق أوربا فخربها ، فضلا عن بلاد الشرق الأدنى بما فى ذلك بلدان العالم الاسلامى (٣) وفقدت

---

(1) Creasy: op. cit., p. 38.
(2) Cam. Med. Hist. Vol. 4., p. 666; Ostrogorsky: op. cit., p. 520.

(٣) المقريزى ، السلوك ، حوادث سنة ٧٤٩ هـ ،
Stephenson: op. cit., p. 520.

أوربا بسبب هذا الوباء أعدادا ضخمة من سكانها مما أثر فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية تأثيرا خطيرا بعد أن قلت الأيدى العاملة ، وارتفعت الأسعار ، وتوقفت التجارة واختل كثير من المقاييس الاقتصادية ، والاجتماعية التى عرفتها أوربا فى العصور الوسطى . (١)

وفى أثناء هذه الكوارث التى حلت بالدولة البيزنطية ازدادت قوة الدولة العثمانية ، ومما تجدر ملاحظته أنه كلما ازداد ضعف الدولة البيزنطية يقابله من الناحية الأخرى ازدياد قوة الدولة العثمانية ولذلك استطاعت الدولة العثمانية انتهاز هذه الفرصة للتوسع فى الفتوحات الاسلامية على حساب الدولة البيزنطية . وقد ساعدها على النجاح فى هذه الفتوحات الانشقاق الكنسى الذى أصاب البابوية . لأن البابوية فقدت هيبتها منذ أن قضى عليها بالانتقال الى أفينون قسرا (٧٠٨ هـ / سنة ١٣٠٨ م). ولذلك لم تستطع دول أوربا تكوين جبهة صليبية لمقاومة العثمانيين الذين نجحوا فى الاستيلاء على كثير من المدن البيزنطية ، وبصفة خاصة فى عهد السلطان أورخان الابن الأكبر للسلطان عثمان ، الذى انصرف الى العمليات الحربية وتنظيم شئون الدولة الداخلية ، وبذلك استطاع أن يجمع بين البناء الداخلى والجهاد العثمانى الخارجى واستطاع العثمانيون وعلى رأسهم السلطان أورخان

---

(1) Cam. Med. Hist., Vol. 7., p S, 463-733; Orton: Outines of Medieval History, p. 379.

فتح مدينة أزميد " نيقوميديا "(١) وذلك فى السنة الأولى من حكمه (٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦م) • وكانت هذه المدينة آخر معقل للدولة البيزنطية فى الركن الشمالى من شبه جزيرة آسيا الصغرى ، ومضى السلطان أورخان فى فتوحاته وجهاده الاسلامى ضد البيزنطيين المسيحيين حتى استطاع فتح مدينة " نيقية "(٢) ، وكانت من أمهات المدن فى الامبراطورية البيزنطية •(٣)

وبسقوط هذه المدينة والمنطقة الغربية من الأناضول استطاع العثمانيون السيطرة على بحر مرمرة ، ومن ثم انفسح الطريق أمامهم للوصول الى البوسفور

وقد أثار ذلك شيئا غير قليل من الفزع والقلق فى الدولة البيزنطية خاصة والدول الأوربية عامة ، فبدأت البابوية تشعر بالخوف من تقدم العثمانيين

---

(١) نيقوميديا : هى مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى أصل اسمها (نيكوميديس) كانت عاصمة لمملكة (بيثينيا) واقعة على بحر مرمرة ويدخل ميناءها أكبر السفن وبها مياه معدنية (أنظر محمد فريد ، الدولة العلية ص ٤١) •

(٢) نيقيه : مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى ، واقعة شرق مدينة بورسه بنحو ٨٠ كم ، وهى مدينة أسنك الحالية (أنظر محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤١) •

(٣) العصامى ، سمط النجوم العوالى ، ج ٤ ، ص ٦٠ ، سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٤٨٩ ، فيشر ، المرجع السابق ، ص ٤٤٧ •

المسلمين ، وخشيت أن يعبر العثمانيون الى أوربا فيعظم خطرهم بعد ذلك على ايطاليا . كما أدركت المدن التجارية الايطالية — وفى مقدمتها البندقية — الخطر الكامن فى هذه الدولة الاسلامية الجديدة اذا ما ترعرعت ونمت ، فانها لن تلبث أن تنازعها سلطانها ومكانتها فى الشرق ، وتستولى على أملاكها ، ومستعمراتها فيه . وقامت البندقية بتأليب الدول النصرانية على العثمانيين المسلمين قبل أن يستفحل أمرهم ويعظم خطرهم.(١)

ونجحت البندقية بالفعل فى دفع الصليبيين الى عقد حلف صليبى اشترك فيه البابا وملك فرنسا ، والبندقية ، وفرسان الاستبارية فى رودس ، وامبراطور القسطنطينية .

وفى سنة ٧٣٤ هـ / ١١ من نوفمبر سنة ١٣٣٣ م أعلن البابا حنا الثانى والعشرون أن ملك فرنسا فيليب السادس هو الذى سيقود الحملة الصليبية ، ولكن موت البابا فى نفس العام كان سببا فى عدم تنفيذ هذه الحملة فى الموعد المحدد لها . ومع ذلك فقد ظلت الاستعدادات فى فرنسا على قدم وساق ، واحتشدت فى الموانى سفن حربية كثيرة ، وأخذت الحشود الحربية الصليبية تأتى من كل مكان حتى بلغت عدتهم مائة ألف رجل ، ولكن خابت الآمال بقيام حرب المائة عام بين فرنسا وانجلترا ، ولم

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

تقم لهذه الحملة قائمة (١).

وترتب على فشل هذه الحملة أن وجد العثمانيون متسعا من الوقت لترتيب أمورهم على أحسن وجه ، فانصرف أورخان الى توطيد أركان دولته ، والى الأعمال الاصلاحية . فنظم الجيش والادارة ، واستعد بعد ذلك الى القيام بعمل يعتبر مرحلة جديدة وتطورا هاما في مجرى حوادث تاريخ الدولة العثمانية الاسلامية ، وتاريخ أوربا المسيحية كلها ، ذلك هو نزول العثمانيين في أوربا ، وما تلاه بعد ذلك من الفتوحات الواسعة فيها . (٢)

وحدثت أمور مكنت من تحكم العثمانيين في مصير الدولة البيزنطية ، فأعلنوا سيادتهم على مقدراتها . ذلك أنه كان على عرش بيزنطة في ذلك الوقت امبراطور صبي عهد بالوصاية عليه الى والدته أنا (Anna) والى رجل يدعى حنا كنتاكوزين (John CantaCuzene) وكان هذا الرجل طموحا لم يقنع بهذه الشركة في الوصاية . وطمع في أن يكون له شيء من الملك ، وعارضته الامبراطورة الأم ، وقاومته طويلا ، واستنصر كل منهما بالسلطان أورخان العثماني المسلم ، وجاءت الفرصة مواتية للدولة العثمانية

---

(١) سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، ص ٢٤ ،
Inalcik: The Ottoman Empire, p. 10.

(٢) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٤٨٨ ، فيشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ص ٤٤٧ .

للدخول الى أوربا ، ولذلك آثر السلطان أورخان حنا كنتاكوزين بالمعونة والنصر . وانتهى الأمر بأن جعل عرش الامبراطورية بين كنتاكوزين وزوجته أنا ، وابنهما حنا الخامس ، الذى تزوج من ابنة كنتاكوزين توثيقا لهذه الرابطة ، كما تزوج أورخان سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م من الابنة الكبرى لحنا كنتاكوزين التى تدعى ثيودورا . وعاد الجنود العثمانيون الى آسيا الصغرى بعد أن أصبحت لهم الكلمة العليا فى بيزنطة . الا أنه لم يمر وقت طويل على حنا كنتاكوزين فى قناعته بهذه الشركة فى الحكم ، وأراد أن تكون الامبراطورية له وحده . وللمرة الثانية استنجد كنتاكوزين بالسلطان أورخان فأعانه بعشرين ألف مقاتل بقيادة ابنه الأمير سليمان بشرط أن يسلم لهم كنتاكوزين بعد انتصاره قلعة صغيرة على الشاطىء الأوربى من الدردنيل وهى قلعة تزيمب (TZYMPE) على مسافة غير بعيدة من غاليبولى سنة ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م . (١)

ولم يمض وقت طويل على استقرار العثمانيين فى هذه القلعة حتى حدثت زلزلة عنيفة دمرت كثيرا من المدن ودكت بعض أسوار مدينة غاليبولى (Galipoli) التى تعد أهم حصن بيزنطى أوربى على الدردنيل . (٢)

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ٤٩٠ ،
Hidden: The Ottoman Dynasty, p. 19.; Inalcik, op. cit., p.9.
(2) Inalcik: op. cit., p. 10: Ostrogorsky: op. cot., p. 530.
Creasy: op. cit, pp. 19-20.

واعتقد البيزنطيون والعثمانيون كما يرى Creasy أنها حدث الهى يشير الى شئ ، ولكنهم اختلفوا فى فهمه وادراك معناه ومغزاه .فالبيزنطيون اعتقدوا أنها غضبة الهية حاقت بهم ، فخارت قواهم ، وفقدوا روحهم المعنوية ، وخرجوا من غاليبولى مدبرين ، وولوا عنها خائفين ، وتركوا المدينة خواء . أما العثمانيون فقد استبشروا واعتقدوا ان الله سبحانه وتعالى أراد بهم خيرا كثيرا فمهد لهم السبيل للاستيلاء على هذا الحصن المنيع ، وأن ما حدث ما هو الا آية من آيات النصر ، يظهرها الله لعباده المخلصين ، فتثبت قلوبهم وتزيدهم ايمانا . (١)

وبذلك زحف الامير سليمان ومعه جنوده المجاهدين على مدينة غاليبولى ودخلوها فى سنة ٧٥٥ هـ ، سنة ١٣٥٤ م بغير حرب ولا قتال (٢) وفى الحال شرع الأمير سليمان بن السلطان أورخان فى اصلاح المدينة واعادة تحصينات القلاع بها وجلب اليها قوات من الأناضول ، وبذلك غدت مدينة غاليبولى قلعة عثمانية اسلامية ، وقاعدة لغزواتهم ، وفتوحاتهم الاسلامية فى أوربا . فمن غاليبولى انطلقت جحافل الجيش العثمانى المسلم حاملة راية الجهاد الاسلامى تدفعها الرغبة الأكيدة فى نشر الاسلام ، ورفع

---

(1) Creasy; op. cit., p. 20.

(٢) زينى دحلان ، الفتوحات الاسلامية ، ص٧٠ ، عبدالباسط الفاخورى ، مختصر تاريخ الاسلام ، ص ١٩٥ ، محمد فؤاد كوبريلى ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨١–١٨٢ ،
Inalcik: op. cit., p. 10.

بنـــوده على كل مدن أوربا .(١)

وبهذا غدت مدينة غاليبولى نقطة البدء للفتوحات الاسلامية العثمانيــة فى أوربا الغربية . وذلك نظرا لمركزها الاستراتيجى الهام ، فهى تسيطــــر على بحر مرمرة ، وهى قاعدة ارتكاز حربية خطيرة ، وهى بتعبير بعــــــض المؤرخين تعتبر مفتاح أوربــا ، فهى ثغر هام جدا ذو مناعة عسكريـــــة عالية ، وذلك بعد تحصينه من قبل العثمانيين ولذلك فقد جاءت جمــــوع غفيرة من العثمانيين المسلمين للاستيطان فى هذا السهل الأوربى المطل علـى بحر مرمرة والذى يضم أيضا جزءا من اقليم تراقيا . وأخذ العثمانيون يعمـــرون تلك الأماكن الخالية من السكان ، كما هاجر كثير من الفرسان العثمانيــــين من امارات وسط الأناضول ، ومن امارات السواحل كامارات قره سى ،وصاروخان ومنتشا وآيدين طمعا فى الحصول على اقطاعات زراعية عسكرية ، على درجـة كبيرة من الخصوبة فى اقليم الروملى . وبهذا أضحت غاليبولى (Galipoli) نقطة البدء فى الانطلاق منها الى باقى أقاليم أوربا المسيحية .(٢)

---

(١) هسى ، العالم البيزنطى ، ص ٢٢٠ ، هامرتن ، تاريخ العالم ، م ٥ ، ص ٤١١ ، فيشر ،نفس المرجع ، ص ٤٤٦ ، سعيد عبد الفتاح عاشــور ، أوربا العصور الوسطى ،ج ١ ، ص ٦٤٠.

(٢) عبدالعزيز الشناوى ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ص ٥٩٨.
Creasy: op. cit., p. 20.: Inalcik: op. cit., p. 11.; Hedden: op. cit., p . 19.

وأحس الامبراطور البيزنطى حنا كنتاكوزين بالخطر العثمانى وأدرك فداحة خطئه فى استدعائه للعثمانيين والاستعانة بهم فى أوربا . وعرض الامبراطور على أورخان اعادة مدينة غاليبولى ، ولكن السلطان أورخان رفض رفضا باتا الانسحاب من غاليبولى . وبعث كنتاكوزين الى الصرب ، والبلغار ، يستحثهم على عقد حلف يتكون من نصارى البلقان لاخراج المسلمين الفاتحين من أوربا . لكنه لم يلق استجابة منها ، وتدهور موقفه فى نظر سكان العاصمة البيزنطية فقاموا بثورة ضده عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م بعد أن أثقلت الضرائب كاهلهم ، واتهموه بأنه يريد تسليم القسطنطينية للعثمانيين المسلمين ، وتم خلع كنتاكوزين عن العرش . وقضى كنتاكوزين بقية حياته فى الرهبنة ثم خلع ابنه ، وعاد حنا الخامس الى عرش بيزنطه الذى بقى فيه وحده دون منازع . (١)

ولكن لم يكن الامبراطور البيزنطى الجديد حنا الخامس أوفر حظا من سابقه حنا كنتاكوزين ، فقد كان يقدر الخطر التركى العثمانى الجاثم على أبوابه ، ولذا وجد أن خير ما يفعله هو فتح باب المفاوضات بينه وبين روما لأقامة وحدة بين العاصمتين المسيحيتين والكنيستين الارثوذكسية والكاثوليكية لتقف سدا فى وجه الخطر العثمانى الداهم . وفى سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ، أى بعد توليه العرش بعام واحد أرسل الامبراطور حنا الخامس خطابا

---

(١) أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢٤٩ ـ ١٢٥٠ .

مفصلا الى أفينون يطلب فيه من البابا أن يرسل اليه بخمس سفن حربية و ١٥ سفينة نقل تحمل ألفا من المشاه وخمسمائة من الفرسان ، وفى مقابل ذلك وعد البابا بأن تتحول كل الرعية البيزنطية من المذهب الأرثوذكسى الى العقيدة الكاثوليكية خلال ستة أشهر . ومنح البابا الضمانات الكافية للوفاء بذلك العهد كما أنه وعد بارسال ابنه الصغير وكان يدعى مانويل الى البلاط البابوى ليتلقى تعليمه على يد البابا ، وقطع الامبراطور حنا الخامس على نفسه عهدا بأن يتخلى عن العرش اذا أخفق فى الوفاء بعهود ، تاركا البلاد فى حوزة ابنه الصغير الذى تم تعليمه على يد البابا . ويبدو أن البابا انوسنت السادس لم يأخذ هذا الأمر بجدية ، فقد أرسل البابا الى الامبراطور حنا الخامس خطابا يشكره فيه على عواطفه ، ومشاعره الحارة نحو تحقيق وحدة الكنيسة . واضطر الامبراطور على أثر تلك الاستجابة الفاترة من البابا الى ابلاغ روما بأنه غير قادر على اقناع شعب بيزنطة بقبول الاتحاد وخاصة أن رد البابا لم يكن مدعوما بسفن حربية مسلحة (١) . وكان ذلك نتيجة طبيعية لما صار اليه نفوذ الكنيسة من الضعف ، فانها كانت حينذاك على غير وئام مع عواهل أوربا ، كما كانت البابوية عند منتصف

---

(١) حسى ، العالم البيزنطى ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ ، نبيه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٤٤ — ٣٤٦ ، عبد القادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٧٩ — ١٨٠ ، سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٢٦ — ٢٧ ، Ostrogorsky: op. cit., pp. 534-535: Hidden: op. cit., p. 23.

القرن الرابع عشر الميلادى أضعف من أن تحيى الحماسة الصليبية بعد موتها • (١) واستفاد العثمانيون من ذلك كله اذ قاموا بحركة التفاف حول القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية •

•• •• ••

(1) Vasiliev: op. cit., Tome 2, pp. 369-370.

الفصل الثانى

العثمانيون وحركة الالتفاف حول القسطنطينية

- استيلاء العثمانيين على أدرنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥م واتخاذها عاصمة.
- استيلاء العثمانيين على مقدونية ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠م.
- انتصار العثمانيين في معركة قوصوه (كوسوفا).
- انتصار العثمانيين على التحالف البيزنطي الأوربي في موقعة نيقوبوليس ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦م.

استفاد السلطان مراد الأول ، ثالث سلاطين البيت العثمانى من الفوضى التى كانت سائدة فى البلقان وأوربا فى ذلك الوقت . فقد كانت الحرب المشتعلة بين الجمهوريتين الايطاليتين التجاريتين جنوة ، والبندقية سببا فى تلك الهوة السحيقة التى زادت مع الزمن عمقا بين الكنيستين الكاثوليكية فى روما ، والأرثوذكسية فى القسطنطينية ، ولذا كانت الظروف مهيأة تماما أمام السلطان مراد الأول لتوغل الأتراك العثمانيين فى البلقان . (١)

ونظر السلطان مراد الأول لمدينة أدرنه (٢) (Adrianople) نظرة هامة وذلك لموقعها الجغرافى الهام وسط هذه البلاد التى كان معظم أهلها يدينون بالمسيحية ، وكانت أدرنه تقع على ثلاثة أنهر ، وهى بذلك الموقع الجغرافى الهام تعتبر قاعدة حربية مهمة للعثمانيين اذا تم فتحها ، وذلك لقربها من ميادين القتال فى أوربا . يضاف الى ذلك أن أدرنه كانت تبعد عن القسطنطينية بخمس وتسعين ميلا فقط ، وهى تعد المدينة الثانية

---

(1) Ostrogorsky: op. cit., p. 520.; Creasy: op. cit., p. 28.

(٢) أدرنه : واسمها ادريا نبوليس (Adrianoplies) نسبة الى الامبراطور الرومانى ادريان أوهدريان ، الذى أجرى فيها عدة تحسينات أوجبت اطلاق اسمه عليها .
أنظر : محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٤ ؛ فيليب حتى ، خمسة آلاف سنة فى تاريخ الشرق الأدنى ، ص ١١ .

بعد القسطنطينية • (١) لهذا رأى السلطان مراد الأول أن مدينة أدرنــــة بعد الاستيلاء عليها سوف تصبح مركزا طيبا لجمع أبناء المسيحيين لتجنيدهم فى الجيش الاسلامى • (٢)

لذلك بعث السلطان مراد الأول قائده لا لا شاهين (Lalasch-ahin) الى فتح مدينة أدرنه فى سنة ٧٦٣ هـ / سنة ١٣٦١ م فى جيش كثيف • وعندما اقترب لا لا شاهين بالجيش العثمانى الاسلامى من المدينة خرج اليه القائد البيزنطى تكوريم مع عدد كبير من الجند ، واشتبــــك الجيشان واشتد القتال • وكانت كلمة (الله أكبر) فى الجيش الاسلامــــى تهز قلوب جنود الأعداء من المسيحيين ، وتفسح المجال أمام جيوش المسلمين العثمانيين فى كل جبهـــة • وسقط أمراء البلقان فى قبضة العثمانيـــين الواحد تلو الآخر • واستطاع العثمانيون بعد جهد جهيد أن يوقعوا بأعداء الاسلام والمسلمين هزائم منكرة ، بعد أن تزلزلت قلوب أعدائهم خوفـــا ، ورهبا • وفر القائد البيزنطى بعد أن رأى أناسا باعوا الحياة الدنيـــا بالآخرة ، وجاهدوا جهاد المستميت فى سبيل الله ونشر دينه بين ربـــوع

---

(١) مخطوط تاريخ آل عثمان ، مجهول المؤلف ، مخطوط (باستانبول) ، ورقة ٢ ، محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٥ ، كمال الدسوقى ، الدولـــة العثمانية ، ص ٢٢ •

(٢) فيشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥٣ ، كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٢٢ •

البلقان . ودخل المسلمون أدرنه بالتهليل والتكبير حامدين الله عز وجل بهذا النصر العظيم ، وأرسلوا للسلطان العثمانى مراد الأول مهنئين له بالفتح العظيم لتلك المدينة التى حولها السلطان مراد الأول من فوره الى عاصمة اسلامية سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م . وكان من نتائج نقل العاصمة الاسلامية العثمانية من آسيا الصغرى الى أوربا ، أنها أصبحت مركزا مهما لانطلاق آل عثمان بعد ذلك للجهاد فى سبيل الله ونشر الدين الاسلامى فى أوربا عامة ، وفتح القسطنطينية . (١)

وغدت أدرنه بعد ذلك مركزا للحكومة الاسلامية فتكونت فيها فئات الموظفين وفيالق الجند ، وأقبل عليها علماء الدين الاسلامى ، وتأسست المحاكم ، ونهضت المدارس العسكرية لتعليم الانكشارية . وبهذا الفتح العظيم لأدرنه فصلت القسطنطينية عاصمة المسيحية الأرثوذكسية الشرقية عن بقية ممتلكاتها فى البلقان ، وسد عليها الطريق الى حلفائها فى أوربا ، ولاسيما الشعوب السلافية . (٢)

---

(١) مخطوط تاريخ آل عثمان ، مجهول المؤلف ، ورقه ٦ ، سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٤٩ ، فيشر ، نفس المرجع ، ص ٤٥٣ ، هسى ، العالم البيزنطى ، ص ٢٢٢ ، الشناوى ، نفس المرجع ص ٦٠١ .

(٢) فيليب حتى ، نفس المرجع ، ص ١١ ، أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٢ ، Cam. Hist. of Islam I, pp. 275-276.

وطبق السلطان مراد الأول بتلك الجهات نظامه المحبب اليه في منح الأراضي الزراعية لكبار الضباط في جيشه نظير تقديمهم لعدد من الفرسان في أوقات الحروب مجهزين بخيولهم ، وسلاحهم ، ومؤنهم ليعاونوه في حروبه .. وكان يطلق على هذا النظام الاقطاعي نظام التيمار (1) (Timar) ، وكان هؤلاء الفرسان يعرفون بالسباهية . واشتهر السباهية بالشجاعة والاقدام ، وحب الاستشهاد في سبيل الله عز وجل ، ولم يكونوا يكلفون الدولة العثمانية أية مشقة ، أو نفقات في اعدادهم ، وتدريبهم التدريب الاسلامي السليم .

ولكن لماذا لم يتم السلطان مراد الأول العثماني العمل الذي كان قد بدأه وقام بفتح القسطنطينية نفسها ؟

---

(١) التيمار (Timar) : هو نظام وضعه تيمورطاش وزير السلطان مراد الأول لفرق الخيالة العثمانية المسماه بالسباهية . بحيث أقطع كل نفر منهم جزءا من الأرض يزرعه المزارعون سواء من المسيحيين أو المسلمين بشرط أن يسكن المقطع لديه وقت السلم ويستعد للحرب عند الاقتضاء على نفقته ، ويكون هؤلاء الفرسان مدربين تدريبا عاليا بخيولهم وسلاحهم ، وزادهم ، يتناسب مع مساحة الاقطاع وأهميته ، فكان أصحاب الاقطاعات الزراعية الكبيرة يقدمون عددا من الفرسان أكبر من أصحاب الاقطاعات الصغيرة.
أنظر :
Stavrianos: The Balkans Since 1453, p. 41.

يبدو أن السلطان مراد الأول كان يدرك ضعف الامبراطورية البيزنطية وقتذاك ، ولذلك أراد أن يقضى على أعدائه من الصربيين والبلغار أولا ، وكذلك أمراء آسيا الصغرى ، ثم يعود بعد ذلك الى القسطنطينية لتكون نهاية المطاف . وفى الحقيقة كان السلطان مراد الأول قادرا على الاستيلاء على القسطنطينية سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م لأنه حتى قبل سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م لم تستطع الامبراطورية البيزنطية أن تقوم بدورها القديم باعتبارها " حصن المسيحية ضد الدولة العثمانية . وقد أطال أفراد أسرة باليولوغوس بخضوعهم المهين للدولة العثمانية من عمر الامبراطورية البيزنطية التى كانت آيلة للسقوط والانهيار.(١)

وازاء هذا الخطر المتمثل فى فتح مدينة أدرنة ، والخوف من التوغل العثمانى فى البلقان قام البابا أوربان الخامس (Urban V) بمحاولة صليبية لجمع أوربا مرة أخرى فى حرب صليبية ضد المسلمين العثمانيين(٢) غير أن أحوال أوربا كانت فى ذلك الحين لا تسمح بقيام تلك المحاولة . فانشغال انجلترا ، وفرنسا بحرب المائة عام ، وانشغال جنوة والبندقية بالحرب والتنافس بينهما ، أجهض هذا المشروع للبابا أوربان الخامس فلم يلب دعوته سوى حكام شبه جزيرة البلقان ، وبخاصة الصرب ،

---

(١) جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثمانى ، ص ٢٣٤ ،

Thompson: The Middle Ages, Vol. 2, p. 891

(2) The Cam. Hist. of Islam I, pp. 275-276.

والبلغار ، والمجريين ، وسكان اقليم ولاشيا .(١)

غير أن الدولة البيزنطية ، وهى صاحبة المصلحة الأولى فى هذا الغرض الذى أقيم من أجله هذا التحالف ، لم تنضم اليه . فوقفت موقفا سلبيا ، لأن علاقاتها بالبابا كانت سيئة ، بل انها كانت تشك فى نواياه نحوها ان هو تمكن منها ، خاصة وأن كل البابوات كانوا دائما يطمحون فى السيطرة على كنيسة الدولة البيزنطية . (٢)

استطاعت القوى الأوربية المشتركة فى هذا التحالف الصليبى أن تحشد جيشا كبيرا بلغ عدده ستين ألف جندى صليبى ، تصدى لهم القائد العثمانى المسلم لالا شاهين (Lalaschahin) بقوة تقل عددا عن القوات الصليبية المتحالفة على الاسلام . وقابلهم سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م ، على مقربة من تشيرمن (Tchirmen) على نهر مارتيزا (Maritza). وعهد القائد العثمانى الى أحد مساعديه ويدعى حاجى البيكى (Hadji Ilbeki) بمباغتة هذه القوات الصليبية المتحالفة . واقتحم القائد العثمانى المعسكر المسيحى ومعه أربعة آلاف فارس مسلم ، وأوقع فيهم الرعب ، ولم يلبثوا الا قليلا وسط النداءات الاسلامية ، حتى ولوا

---

(١) كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٢٢ — ٢٣ .
(٢) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٠٣ .

الأدبار تاركين الثرى مخضبا بدمائهم . وأطلق على مكان هذه الوقعة (هزيمة الصرب) وعرف قائد الفرسان العثماني بأنه " أسد الحرب وسند الاسلام " . (١)

ونجم عن هذه الهزيمة الساحقة لهذا التحالف المسيحى ، وهذا الانتصار العثماني أن استكمل العثمانيون فتح اقليم تراقيا ، ومقدونيا الذى كان بداية لاستسلام أراضى السلافيين الجنوبيين . وبالتالى أصبح تهديدا خطيرا للوجود البيزنطى فى المنطقة كلها حيث أدى هذا بدوره الى موقعة قوصوه (كوسوفا) Kossova سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩م . (٢)

وكانت جمهورية راجوزة (Raguse) فى دلماشيا قد أعلنت ولاءها للسلطان العثمانى مراد الأول حيث أوفدت اليه بعثة سياسية عقدت معه معاهدة ودية ، وتجارية ، سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م تعهدوا فيها بدفع اتاوة سنوية للدولة العثمانية المسلمة ، مقدارها خمسمائة قطعة ذهبية ، وكانت هذه أول معاهدة أمضيت بين العثمانيين ودولة مسيحية . (٣) ووصل

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٠٤ ، كمال الدسوقى ، نفس المرجع ص ٢٣ .
(٢) كوبريلى ، قيام الدولة العثمانية ، ص ٢٨٢ ، عبد القادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٠ ، نبيه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٤٧ . Cam. Med. Hist. Vol. 4, p.672.
(٣) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٥ ، الشناوى ، نفس المرجع ص ٦٠٤ .

العثمانيون بعد ذلك الى جنوبي بلغاريا ، وشرقي الصرب سنة ٧٦٨ هـ / سنة ١٣٦٦م . وفى عام سنة ٧٧٨ هـ / سنة ١٣٧٦م فتح العثمانيون المدينة القويـة نيسا (١) (NISSA) مما أدى بأمير الصرب لازار (Lazar) الى طلب الهدنة ، وتعهد بدفع جزية سنوية قدرها ألف قطعة فضية ، ونهج هذا النهج سيشمان (Sischman) ملك بلغاريا ، بعد أن طوقه العثمانيون فى نيقوبوليس على نهر الدانوب ، وقبل أن يدفع للعثمانيين اتاوة ، وأن يزوج ابنته للسلطان مراد الأول ، ولكن لما تأخر سيشمان ملك بلغاريا فى دفع الاتاوة للسلطان مراد الأول شن العثمانيون عليه سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢م حربا خاطفة واستولوا على مدينة صوفيا ، بعد حصار استمر ثلاث سنوات من سنة ٧٨٣ هـ / سنة ٧٨٥ هـ (سنة ١٣٨١م — سنة ١٣٨٣م) . وانطلق العثمانيون بعد ذلك فى قلب البلقان ، وفتحوا عددا آخر من المدن أهمها مدينة سلانيك التى فتحها الصدر الأعظم خير الدين باشا . (٢)

---

(١) مدينة نيسا : ويقال لها نيش : مدينة فى جنوب الصرب ، واقعة على الطريق الموصل الى القسطنطينية وسلانيك (أنظر : محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٧) .

(2) Hogarth: The Balkans, P.327; Marriatt:History of Europe, p. 65. (٢)

سلانيك ، بلد من أعمال مقدونية فى طرف خليج سلانيك شرقى مصب نهر وردار ، عند سفح تل يشرف عليها من الشمال الشرقى ، وهى البلدة اليونانية القديمة التى شيدها كاساندر (Cassander) فى جنوب بلاد مقدونية على بحر الارخبيل على موقع ثرما (Therma) . وقد أطلق على المدينة اسم زوجته أخت الاسكندر الأكبر الكبيرة المسماة (تسالونيك) . (أنظر : دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ١٢ ، ص ٥٧) .

وبسبب هذا التوسع الكبير والسريع للدولة العثمانية لم يلبث أن واجه العثمانيون خطر تحالف بلقانى صليبى ، تكون ضد العثمانيين سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧م بقيادة الممالك السلافية فى شمال القسطنطينية وغربيها ، فعقد لازار (Lazare) ملك الصرب معاهدة تحالف مع سيشمان (Sisc-hman) ملك بلغاريا ، واستهدف الملكان اعداد حملة كبيرة ضد العثمانيين، وقد ضمت هذه الحملة عدا القوات الصربية والبلغارية قوات من البشناق ، والهرسك ، ومن البانيا ، وبولندا ، والمجر ، ودبروجه . (١)

وتحالفت كل هذه القوات ضد السلطان العثمانى المسلم مراد الأول ، وحصلت على مساعدات من سكان ولاشيا الذين كانوا من أصل رومانى ، ومن المجريين . أما روسيا رأس العائلة السلافية ، فقد كانت ترزح فى ذلك الوقت تحت وطأة أقدام المغول ، كما أن الدول المسيحية فى غرب وشمال أوربا كانت تنظر الى هذا التحالف بدون اهتمام يذكر . لأن الحروب الصليبية فى الغرب كانت قد ضعفت ولم يعد هناك فائدة ترجى لتلبية

---

(١) البشناق : Les Bosniaques هم أهل اقليم البوسنة ، والهرسك : اقليم جبلى فى أوربا الشرقية وهو حاليا جزء من يوغوسلافيا ، ويطلق الهرسك أيضا على سكان هذا الاقليم ، ودبروجه : اقليم من أقاليم رومانية الحالية .
أنظر : الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٠٥ ، فيشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ — ٤٥١ .

النداء الصليبى ضد العثمانيين المسلمين ، وذلك لأن الأحوال الداخلية في هذه الدول خلال القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، كانت لا تشجع على ذلك التحالف ، كما أن مسلك حكام انجلترا وفرنسا وألمانيا فى أواخر القرن الثامن الهجرى كان بعكس ما ظهر من ريتشارد قلب الأسد وفيليب أوغسطس ، وفردريك الثانى ، وغيرهم من ملوك أوربا الصليبية ، والذين كانوا قد خرجوا قبل ذلك على رأس حملات صليبية . (١)

وطلب المتحالفون الصليبيون من البابا أوربان الخامس (Urban V) أن يحوض أوربا النصرانية لمساعداتهم ، ولكن دون جدوى . وقام البلغاريون ، والصربيون ببدء القتال . وذلك بمفاجأة جيش عثمانى كان يتحرك عبر البوسنة ، وبلغت القوات التى حشدت قرابة مائتى ألف جندى صليبى (٢) استطاعوا ايقاع هزيمة عسكرية أليمة بالعثمانيين فى معركة بلوشنيك (Plochnik) سنة ٧٨٩ ه / ١٣٨٧ م . (٣) وهدأ المسيحيون بعد هذه الضربة المؤلمة حقا للعثمانيين . ورأى الوزير العثمانى على باشا ــ كاجراء عسكرى مؤقت ــ أن يعمل على الفصل بين الصرب ، والبلغار ، فهاجم شمالى بلغاريا ، وانتزع من سيشمان ملك البلغار عدة مدن ، أهمها (Tirnova) وشوملا

---

(١) فيشر ، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ ، نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص ٣٥ ، كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٢٤ .

(٢) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٠٥ .

(٣) سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ص ٦٤١ ،
Ostrogorsky: op. cit, p. 54; Inalcik: op. cit, p. 15.

(Choumla) . وألجأ سيشمان ملك بلغاريا الى الفرار ، والتحصن في نيقوبوليس(١) على الدانوب ، والتي حاصرها على باشا في الوقت الذي وصل فيه السلطان مراد الأول قادما من الأناضول . وهرع سيشمان ملك بلغاريا لمقابلة صهره السلطان مراد الأول زوج ابنته يطلب اليه الصلح . وقد استجاب له السلطان مراد الأول(٢) على أن يدفع الاتاوة المتأخرة ، وأن يستولى على مدينة سيليستره (Silistria)، ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهما قبل توقيع معاهدة السلام واستؤنفت الحرب من جديد(٣) . وهاجم العثمانيون المسلمون وعلى رأسهم على باشا مدينة نيقوبوليس مرة أخرى وحاصروها ، وشددوا الهجوم على حامية المدينة . وخرج سيشمان ومعه زوجته وأولاده أمام على باشا ، فأحالهم الأخير الى السلطان العثماني مراد الأول الذى عفا عن صهره وأبقى على حياته وحفظ له عرشه(٤) .

أما لازار ملك الصرب ، فضايقه ما حدث ، وقام بجمع القوات الباقية من أعضاء الحلف الصليبي ، واستعدت هذه القوات الصليبية المتحالفة لمعركة فاصلة ، وغرت ملك الصرب هذه القوات الكبيرة العدد التي حشدها ،

---

(١) نيقوبوليس : معناها مدينة النصر أسسها الامبراطور الروماني تراجانوس المتوفى سنة ١١٧م .

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٦ — ٤٧ ،
Inalcik: op. cit., pp. 10-11.

(٣) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ص ٢٦ ، Creasy: op. cit., pp.28-29.

(٤) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٠٦ .

وداخله الفخر ، والثقة فى النفس ، حتى أنه أرسل الى السلطان مراد الأول العثمانى يتحداه الى معركة فاصلة . (١)

تولى السلطان مراد الأول بنفسه القيادة ، وجمع مجلس الحرب ، ومجلس الشورى ، ليناقشهم فيما اذا كان من الأصوب مهاجمة أعدائه ، الذين يفوقون قواته فى العدد ، ورأى الكثير من قادته أنه من الأصوب وضع الجمال بحمولتها فى الصف الأمامى للجيش ، حتى تكون ستارا حاميا ، وفى الوقت نفسه تحدث الاضطرابات فى خيول الأعداء بمنظرها ، ورائحتها . لكن الأمير بايزيد الأول الابن الأكبر للسلطان مراد الأول عارض هذا الرأى وقال : ان القدرة الالهية تساند دائما البيت العثمانى الذى يجاهد فى سبيل الله ولاعلاء كلمة التوحيد ، ونشر دين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، " وأنه يجب علينا أن نواجه أعداء الله وجها لوجه ، وأن يكون هذا العدو هو هدفنا فى الشهادة أو النصر" . ثم فتح الأمير بايزيد القرآن الكريم على الآية التى تقول (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ...) . (٢) ثم هذه الآية (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال

---

(١) بروكلمان ، نفس المرجع ، ص٦٢ ، يوسف أصاف ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٨ ، سالم الرشيد ، محمد الفاتح ، ص ٣٠ .

(٢) سورة البقرة — آية ٢٤٩ .

ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) (١) واستبشر المسلمون بالنصر ، وما النصر الا من عند الله .(٢) وقضى السلطان مراد الليل بطوله ضارعا الى المولى سبحانه وتعالى فى صلاة حارة ، طالبا منه العون على أعدائه الصليبيين ، والشهادة فى سبيل الله واعلاء كلمة لا اله الا الله . (٣)

أما الجانب الآخر الصليبى ، فلم تنته مداولات أمرائه الطويلة الى نتيجة حاسمه ، فالبعض نصح بقيام هجوم مباغت على العثمانيين فى الليل ، وذلك للانتقام من مأساة نهر ماريتزا ، (٤) قبل ذلك بست وعشرين سنة . ولكن الفريق الآخر عارض هذا الرأى ، وذلك لما يحويه من مخاطرة كبيرة ، فالعدو بذلك يكون له فرصة الهرب فى الليل ، وذلك خلافا للنهار ، حيث لا تكون لديه أية فرصة للهرب من النصر المرتقب . وكأن القدر وحده هو الذى كان يقودهم للهزيمة الشنعاء ، كيلا يستطيعوا هم الفرار فى الليل من وجه العثمانيين المسلمين ، وذلك فى وقعة قوصوه (Kossova) (٥).

---

(١) سورة الأنفال ، آية رقم ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٢٦ .

(٣) على سفيم ، الترك والاسلام ، ص ٥٧ ،
Creasy: op. cit., pp. 29-30.

(٤) أنظر ما سبق ص ٥٨ .

(٥) الشناوى ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ص ٦٠٦ ،
Inalcik: op. cit., p. 15; Ostrogarsky: op. cit., pp. 546-547.

وأخيرا أشرق النهار على المعسكرين ، وعند الفجر هطلت أمطار غزيرة أزاحت الغبار ، وبدت هذه الأمطار للسلطان مراد الأول وأتباعه كعلامة تدل على أن الله معهم . وتوقفت الأمطار بعد قليل ، وخرج الجيشان من الخيام الى ميدان المعركة استعدادا للقتال ، ونظم العثمانيون صفوفهم على الطريقة المعتادة ، حيث كان الأمير بايزيد الأول يقود الميمنة ، وكان أخوه الأمير يعقوب يقود الميسرة ، هذا فى الوقت الذى كان السلطان مراد الأول بنفسه فى القلب مع قواته الرئيسية ، وفرسان حرسه ، أما فى الجانب المسيحى الصليبى ، فقد كان الملك لازار Lazar يقود القلب ، وابن أخيه يقود الميمنة ، وملك البوسنة يقود الميسرة . (١)

واندفع الجيشان فى حماسة وقوة ، والتقيا بعنف ، وكانت أحداث ذلك اليوم متأرجحة قليلا ، فقد تراجعت القوات الآسيوية فى الجناح الأيسر لجيش المسلمين أمام محاربى الصرب الذين أخذوا يدفعونهم الى الجناح المسيحى الأيمن . ولكن الأمير بايزيد أحضر نجدات من الميمنة ودخل المعركة ، وحارب بنفسه وبدروعه الثقيلة فى قلب المعركة . (٢)

وانجلت المعركة أخيرا عن انتصار المسلمين انتصارا باهرا ، وحاسما ،

---

(1) Creasy: op. cit., p. 31.

(2) Creasy: op. cit., p. 31.

وأغتيل السلطان مراد الأول قبيل نهاية المعركة بيد أحد نبلاء الصرب حيث طعنه بخنجر (١) ، وأسر لازار ملك الصرب ، وقتله الانكشارية انتقاما منهم لمقتل سلطانهم مراد الأول . ووقع الكثير من المتحالفين الصليبيين فى الأسر من أمراء وملوك أوربا ، وكانت هذه هى أحداث موقعة قوصوه (Kossova) كوسوفا فى سنة ٧٩٢ هـ / ١٥ من يونيو سنة ١٣٨٩ م . (٢)

وبهذه الهزيمة النكراء فى قوصوه (Kossova) ، فقدت الصرب استقلالها ، وانتشر الاسلام بين الصربيين ، حيث تحول عدد كبير من الأشراف الاقطاعيين القدامى الى الاسلام بمحض ارادتهم اذ وجدوا انه من المتعذر عليهم الهجرة الى البلاد المسيحية المجاورة ورغبوا فى الحفاظ على امتيازاتهم القديمة من ناحية أخرى . وكان العثمانيون قد قرروا ، الابقاء على هذه الامتيازات لمن يعتنق الاسلام . كذلك فقد البلغار

---

(1) Lodge: The Close of the Middle Ages, p. 503.

(٢) هامرتن ، تاريخ العالم ، المجلد (٥) ، ص ٤١١ ، محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٧ — ٤٨ ، فيشر ، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ق ٢ ص ٤٥٠ — ٤٥١ ،
Creasy: op. cit., pp. 31-32; Charles Diehl: History of the Byzantine Empire, p. 163.

ممتلكاتهم فى البلقان (١) ، وأتيح بذلك للقوات العثمانية المسلمة أن تنساب مرة أخرى جديدة فوق الأراضى البلقانية. وبهذا ظهر للعالم المسيحى الصليبى بأن الأتراك العثمانيين المسلمين يمكن أن يبقوا فى منطقة البلقان كقوة كبرى متفوقة ، ولا يمكن الوقوف فى وجه التوغل الاسلامى العثمانى فى شرق أوربا . (٢)

أعلن بايزيد الأول الذى يطلق عليه الصاعقة سلطانا بعد مقتل أبيه فى قوصوه ، فجنى بذلك ثمار النصر الذى دفع والده السلطان مراد الأول حياته ثمنا له . وفى تلك الأثناء توفى الامبراطور البيزنطى حنا الخامس سنة ١٣٩١م ، فخلفه ابنه مانويل الثانى الذى اضطر هو الآخر الى الاعتراف بالتبعية العثمانية . (٣)

ورأى السلطان بايزيد الأول أن يقيم علاقات ودية مع ما تبقى من دولة الصرب ،وقد استهدف السلطان بايزيد الأول من وراء هذه السياسة اتخاذ الصرب دولة حاجزة بينه وبين دولة المجر ، ولذلك لم يجد ستيفن بن لازار

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، جـ١ ، ص٤٩٢ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص٦٠٧ — ٦٠٨ ، Creasy: op. cit., p. 32.

(٢) سرهنك ، نفس المرجع ، ص٤٩٢ — ٤٩٣ ، على سفيم ، الترك والاسلام ، ص ٨ ، نبيه عاقل ، نفس المرجع ، ص٣٤٨ .
Gibbons: The foundation of the Ottoman Empire, pp. 198-199.

ملك الصرب بدا من أن يعلن خضوعه ، وتبعيته للسلطان بايزيد الأول الذى تزوج من أخته المسماه أوليفيرا ، (Olivera) (١) .

ومضت الفتوح الاسلامية العثمانية بعد ذلك فى البلقان بلا عائق . وقد بعث السلطان بايزيد الأول بجيوشه الى بلغاريا فاكتسحها ، واستولى على اقليم ولاشيا (رومانيا الحالية) . وسقوط مدينة تيرنوفو (Tirnovo) فى سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣ م فى يد العثمانيين ، تمت سيطرتهم على كل بلغاريا . (٢)

وكانت الأحوال فى أوربا فى ذلك الوقت خلال الربع الأخير من القرن الثامن الهجرى — أى الربع الأخير من القرن الرابع عشر — كانت تبدو مهيأة لحروب صليبية ، حيث كان الضغط العثمانى على الحدود الجنوبية الشرقية للبلاد الأوربية يدعو لقيام حرب صليبية ، وكان لسقوط ويدين Widdin فى أيدى العثمانيين ما جعل سجسمند (Segismund) ملك المجر يثير أتباع المسيحية الكاثوليكية ضد هؤلاء الأعداء الجدد لهم وهم العثمانيون المسلمون . يضاف الى ذلك أن الفتوحات الاسلامية فى شمال نهر الدانوب قد أحدثت أيضا رعبا لدى المجريين ، والولش وغيرهم ، فوجود تلك

---

(١) الشناوى ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ص ٦١٠ .
(٢) الشناوى ، نفس المرجع ، ج ١ ص ٦١١ ، Ostrogorsky: op. cit., p. 849. ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

الحامية العثمانية الاسلامية الصغيرة فى مدينة نيقوبوليس هو الذى شجع المسيحيين فى كثير من البلدان للاشتراك فى هذا التحالف الصليبى الأوربى (١) .

وفى سنة ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م أصدر البابا بونيفاس التاسع Boniface IX فى مدينة روما مرسومين صليبيين ، يدعو فيهما الى حملة صليبية فى شرق أوربا ، مع منح الغفران لكل من يشترك ضد العثمانيين المسلمين . (٢)

وانتشر دعاة الحملة الصليبية التى يقودها سجسمند والبابا بونيفاس التاسع وكثير من أعضاء الكنيسة اللاتينية ، فعلى سبيل المثال اجتمع مائة فارس فرنسى عند مدينة بودا (BUDA) ومنحوا ملك المجر خدماتهم ضد المسلمين ، وساعدهم على ذلك توقف حرب المائة عام بين انجلترا ، وفرنسا فى ذلك الوقت وتوقيع الهدنة بينهما . (٣)

وفى نفس الوقت حصل وليم مارشال برجنديا على تعليمات بالذهاب الى بودا ليخبر سجسمند باستعداد دوقات برجنديا ، وأورليان ، ولانكستر للاتفاق على مشروع هذه الحملة الصليبية . وفى سنة ٧٩٨ هـ / سنة ١٣٩٥م

---

(1) Atiya: The Crusade in the later; p. 436.

(٢) سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٣٢؛
Atia: op. cit., p. 436/ Hidden: op. cit., p. 27.

(3) Atiya: op. cit., p. 436 ; Creasy: op. cit., p. 35.

بدأت المفاوضات لاعداد الحملة الصليبية فى جمهورية البندقية التى كان موقعها الجغرافى مناسبا لكل الأطراف المتحالفة وكان لموافقتها ، وتعاونها من الأمور الأساسية لنجاح أية حملة صليبية ضد المسلمين العثمانيين. ووصل الصليبيون الى مدينة بودا (BUDA) ، وكان هذا على وجه التقريب فى سنة ٧٩٩ هـ / يوليو سنة ١٣٩٦م ، ووصلت الفرقة الانجليزية أيضا فى نفس الوقت تقريبا. واشتركت فى الحملة الصليبية أوربا كلها ، بقواتها وفرسانها ، ألمانيا ، وانجلترا ، واسكتلندا ، وسويسرا ، ولوكسمبورج ، والأراضى المنخفضة الجنوبية ، وبعض الامارات الايطالية . وقدمت البندقية الأموال والأسطول اللازمين .. كما انضمت الى الحملة قوات من بولنده ، واقليم ولاشيا ، واقليم ترنسلفانيا .. وتجمع حوالى مائة وعشرين ألف مقاتل من مختلف هذه الجنسيات بقصد القضاء على توسع الدولة العثمانية الاسلامية داخل الدولة المسيحية الصليبية وخاصة الدولة البيزنطية .(١)

وبعد أن عقد مجلس الحرب للنظر فى الخطط الحربية الصليبية ، رغب الملك سجسمند فى اتباع تكتيكات عسكرية دفاعية ، وانتظار العثمانيين فى قواته المجرية . ولكن اقتراحات الملك سجسمند لقيت رفضا كبيرا من جانب قادة الفرق الأوربية الأخرى الذين أتوا كما ذكر المؤرخ المعاصر (FROISSART) " لغزو دولة الأتراك كلها والمسير الى امبراطورية فارس ، ومملكة الشام والأراضى المقدسة " . ونجحوا فى فرض ارادتهم على الملك المجرى وخصوصا النبلاء الفرنسيين. وسارت الجيوش المتحالفة

---

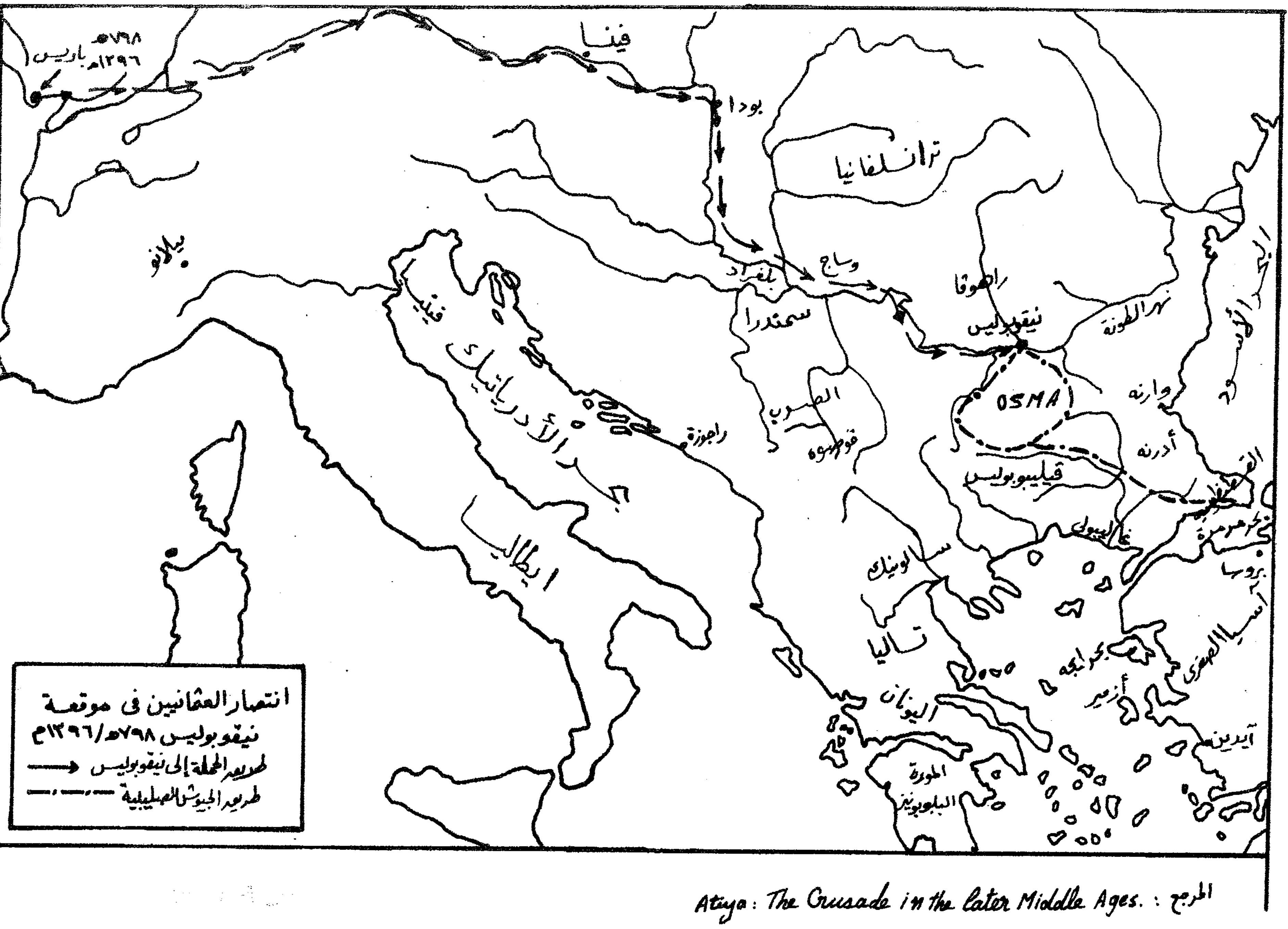
(١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٢٨ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦١٣ الرشيدى ، نفس المرجع ، ص ٣٢ ،
Vasiliev: History of the Byzantine Empire, pp. 629-630.

ضد الاسلام والمسلمين على ضفاف نهر الدانوب حتى وصلوا الى مدينة أورسوفا ، (ORSOVA) (١). وعبر الصليبيون البوابة الحديدية على مقربة من المدينة ، واندفع الفرسان الفرنسيون فى المقدمة وخرجت باقى القوات المسيحية على دفعات ، ففريق اتخذ طريق ترانسلفانيا ، وولاشيا ، وفريق آخر عبر الصرب الى الممتلكات العثمانية ، ومع ذلك فقد ظل ملك الصرب مخلصا على تحالفه مع السلطان بايزيد الأول ، مما كان له أثر سىء عليه وعلى مواطنيه فقد عوملوا بقسوة وشراسة ، من جانب الجيش الصليبى الذى أحدث فيهم جرائم مروعة ، وخصوصا تجاه رعايا الصرب من الارثوذكس الفقراء ، فكانوا يسلبونهم ممتلكاتهم ، وفى طريقهم الى نيقوبوليس استولى الصليبيون على مدينة ويدين Widdin وكان يحكم هذه المدينة أمير بلغارى تحت حماية عثمانية ، فسلم المدينة بدون مقاومة ، الا أن الصليبيين بغدرهم المعهود ذبحوا طائفة الأتراك المسلمين الموجودين بها . كما استولى الصليبيون على مدينة راهوفا (RAHOVA) ، ولكنهم واجهوا فى حصارها بعض المشكلات الكبيرة ، وذلك لأن المدينة كانت محاطة بسورين عظيمين ، وكانت تحميها حامية عثمانية مسلمة قوية ، فلما رأى العثمانيون مصير زملائهم فى مدينة ويدين ، قاوموا مقاومة شديدة وراء تحصيناتهم ، للدفاع عن المدينة حتى الشهادة فى سبيل الله . (٢) ومع ذلك سقطت

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦١٦ ، Atiya: op. cit., p. 443.

(2) Atiya: op. cit., p. 443.



المرجع: Atiya: The Crusade in the Later Middle Ages.

المدينة أخيرا بعد عناء كبير فى أيدى الصليبيين الذين قتلوا سكانها غدرا ، ما عدا الأغنياء من السكان الذين قبض عليهم طمعا فى فداء كبير من المال وذلك بعد أن أشعلوا النار فى المدينة كلها. (١)

وسار الجيش المسيحى الى نيقوبوليس ، التى كانت تقع على مقربة من مدينة OSMA وتواجه وادى ألوتا (ALUTA) وتتحكم فى طرق الدانوب الرئيسية التى تصل مابين بلغاريا ، وولاشيا ، ويشكل موقعها مشكلة كبيرة حيث كان يحيط بها سوران عظيمان وأبراج عاليه . وأقامت فى نيوقوبوليس حامية تركية قوية تحت قيادة قائد تركى مسلم يسمى دوجان بك (Dogan Bay) أو يوجلون بك (Yoglan Bay) (٢).

وقام القائد التركى المسلم بالدفاع عن المدينة — دفاع المستميت الذى يطلب الشهادة فى سبيل الله — خير قيام على أمل أن السلطان بايزيد الأول لن يترك هذه المدينة الهامة تسقط فى أيدى أعدائه . (٣)

وكان السلطان بايزيد مشغولا فى ذلك الوقت بحصار القسطنطينية . وعندما وصله أخبار التحالف الصليبى بين دول أوربا المسيحية ، لم

---

(1) Atiya: op. cit., p. 443.

(٢) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦١٦ ، Hidden: op. cit., p. 27. ; Atiya: op. cit., p. 444.

(3) Creasy: op. cit., pp. 36-37. / Hidden: op. cit., pp. 27-28.

يشغله حصار القسطنطينية عن دعوة كل قوات العثمانيين فى آسيا وأوربا فاجتمع لديه كل فرق الجيش ومنها أحد عشر ألفا من السباهى فى عاصمته ٠

اجتمعت الجيوش العثمانية فى أدرنه ، عاصمة العثمانيين فى ذلك الوقت ، واضطر السلطان بايزيد الأول لرفع الحصار عن مدينة القسطنطينية ليواجه التجمع الصليبى فخرج من أدرنه الى وادى مارتيزا ، ثم الى مدينة فيليبولى ، حيث اكتمل عدد الجيش العثمانى بكل فرقه ٠ (١)

أخذت الجيوش العثمانية الطريق المباشر عبر جبال البلقان وتقدمت الى منطقة نيقوبوليس على نهر الدانوب ، وأقامت معسكرها فى ٢٤ من سبتمبر سنة ١٣٩٦ م / سنة ٧٩٩ هـ على مرتفعات حصينة على مقربة أربعة أميال جنوب الدانوب ٠ وكان يقع بينهم وبين النهر سهل فسيح كانت تطل عليه مدينة نيقوبوليس ، ثم بعد ذلك تحصينات المدينة نفسها ٠ وكانت قيادة السلطان بايزيد الأول للجيش العثمانى المسلم أحسن بكثير من قيادة أعدائه الصليبيين وخاصة الفرنسيين الذين اجتاحهم الغرور ، والثقة فى أنفسهم حيث كانوا يتخيلون أنهم أمام معركة بسيطة ، وأنهم أمام قوم بعيدين كل البعد عن النظام ، والطاعة للأوامر ، ولم يتوقعوا انهم أمام قوة المسلمين جنود الله فى الأرض ٠ ولم يتصوروا أنهم يحاربون أناسا باعوا أنفسهم لله

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦١٦ — ٦١٧ ٠

ورسوله من أجل نشر العقيدة المحمدية ، يحاربون ، ولا يهابون المـوت ، ولذلك أهمل الصليبيون حمل الآلات الحربية للحصار والتى كانت تستخـدم آنذاك بحيث لم يكن أمام الصليبيين الا أن يحاصروا المدينة ، حتى يموت سكانها المسلمون جوعا وتسلم لهم . وبدأ الضعف يدب بينهم ، وانتشر الفساد بين المحاربين الصليبيين ، اذ قضوا أوقاتهم فى المقامرة ، وشـرب الخمر ، وارتكاب الجرائم ، والرذائل رغم نصائح رجال الدين المسيحى لهم (١)؛ واعتقد الصليبيون أيضا أن بايزيد لن يستطيع عبور البسفور هو وجنوده ، هذا فى الوقت الذى كان فيه السلطان بايزيد الأول يعبر البسفور بسرعـة كبيرة ، وتكتم عظيم ، ويتقدم بقواته المنظمة ، الى أن أصبح على بعـد ستة فراسخ منهم . (٢)

وبلغ من غرور الصليبيين ان كان الكونت نيفارا وفرسانه الفرنسيين فى مجلس الحرب فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٣٩٦ م / سنة ٧٩٩ هـ حينما وصل اليهم الرسـل معلنين أن بعض أفراد جنود الاستطلاع رأوا جيشا عثمانيا كبيرا على مقربـة منهم. وقطع الفرنسيون آذان الرسل ونظروا اليهم على أنهم يعملون لمصلحة العثمانيين . (٣) ولما تأكدت الحقيقة للصليبيين ، أقدموا على ذبح ألـف

---

(1) Creasy: op. cit., p. 37 ; Atiya: op. cit, p. 445.

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٢٨ ، عزيز سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب ص ٩٦ .

(٣) المازنى ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٥ ; Atiya: op. cit., pp. 445 - 446.

أسير عثمانى ، كانوا قد وقعوا فى أيديهم فى أثناء زحفهم من بودا (BUDA) عاصمة المجر الى مدينة نيقوبوليس • (١)

وكان الخلاف فى مجلس الحرب الصليبى على أشده فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٣٩٦ م / سنة ٧٩٩ هـ ، حيث ظهرت الخلافات فى الرأى الصليبى بينهم بشكل خطير• وكان هذا الخلاف سببا من أسباب الكارثة التى حلت بهم فى النهاية• واقترح سجسمند الملك المجرى — الذى كان على علم تام بالتكتيكات العثمانية فى حروبهم — أن يكون خط الهجوم الأول فى الجيش الصليبى من الفرسان الولاشيين ، وذلك ضد مقدمة القوات العثمانية ، وأن يشكل فرسان المجر خط الهجوم الثانى ، أما الفرسان الفرنسيون ، فاقترح أن يكون وضعهم فى خط الهجوم الثالث ، بحيث يشكلون قلب الجيش الصليبى ، ليقابلوا خيرة القوات العثمانية المسلمة ، ثم تقف فى مؤخرة الجيش باقى القوات المجرية ، والألمان ، والبشناق ، وسائر الفرق الصليبية • ومع أن القادة الكبار رأوا الأخذ بنصيحة سجسمند الا أن الكونت نيفارا القائد الفرنسى ، وبعض القادة الشبان عارضوا ذلك تدفعهم روح التعصب الصليبى الأعمى ، وروح التحدى والرغبة فى الحصول على شرف الانتصار ، مؤكدين أن الفرسان الفرنسيين لن يجعلوا المجريين فى حاجة الى دخول المعركة•

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦١٧ •

وقوبل ذلك باستحسان كبير من النبلاء الفرنسيين (١) ، وضع السلطان بايزيد الأول قوته الرئيسية فى سهل على مقربة من المعسكر الصليبى حيث كان هناك مرتفع من الأرض فى الوسط ، حجب الأتراك العثمانيين عن أعين أعدائهم الصليبيين . وأرسل السلطان بايزيد قواته غير النظامية الى الأمام معضدين بقوة من الانكشارية وبقسم كبير من الفرسان ، واستبقى أربعين ألفا من خيرة قواته فى هذا السهل . (٢)

أما فى الجانب الآخر فان الفرسان الفرنسيين البالغ عددهم ستة آلاف من الفرسان الأقوياء ، فانهم هجموا باندفاع كبير ، غير منتظرين معاونة من القوة الرئيسية المجرية ، والتى كان يقودها الملك سجسمند بنفسه ، والتى كانت تتقدم ببطىء شديد فى ذلك الوقت . واخترق الفرنسيون قوات الأتراك الغير نظامية بكل سهولة ، ثم هاجموا قوات الانكشارية المتقدمة فتخلخلت صفوفهم . ووصل الفرنسيون الى قوات الأتراك النظامية ، الذين كانوا يحاولون تغطية انسحاب اخوانهم . وغرر هذا النجاح فى بداية الموقف بالفرنسيين ، وقام النبلاء الفرنسيون وعلى رأسهم الكونت نيفارا بتتبع السباهى المسلمين حتى وصلوا الى الأرض المرتفعة ، وهم فى حالة من الاعياء الشديد ، معتقدين أن ذلك هو نهاية يوم عظيم . ولكنهم وجدوا

---

(١) عزيز سوريال ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٩٦ ،

(٢) عزيز سوريال ، نفس المرجع ، ص ٩٧ ،
Creasy:op. cit,p. 37.

أنفسهم — ليس أمام الأتراك العثمانيين المنهزمين كما توقعوا بل — أمام غابة قوية من الرماح الاسلامية • فقد كان السلطان بايزيد بنفسه على رأس قواته المحاربة ، والذين بدأوا فى التقدم وأطاحوا بالفرنسيين من كل جانب • أما القوات العثمانية والتى ظنها الفرنسيون أنها قد انهزمت ، فقد عادوا الى الجيش الرئيسى ، وأصبحت فى نفس الوقت خلف الفرنسيين قاطعة عليهم كل أمل فى التراجع أو الهرب • وفزع الفرنسيون وأدركوا أن ذلك لم يكن الا بداية النهاية ، اذ رأوا خلف الأفق فرسان بايزيد الأول وقواته الموالية من جنود الصرب تحت قيادة ستيفان لازار فيتش (Stephane Lazarevitch) (١).

وقاتل الفرنسيون ، ولكن انتهى بهم الأمر بأن أصبحوا قتلى أو أسرى فى جيش المسلمين • ولم ينج منهم الا النزر القليل • (٢)

وبعد الانتهاء من الفرنسيين أعاد السلطان بايزيد الأول تنظيم قواته • وتقدم مباشرة الى حيث ملك المجر سجسمند ، وفى الحال هوب الجناحان

---

(١) عزيز سوريال ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٩٧ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦١٨ ، كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٢٧ •

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٢٧ — ٢٨ ، عزيز سوريال ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٩٦ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦١٨ •

الرئيسيان للجيش المسيحى الصليبى المتحالف لهول ما شاهدوه من المسلمين الشجعان ، وذلك بدون أية محاولة منهم للاشتراك فى المعركة. أما الوسط الذى كان يقوده الملك سجسمند نفسه ، والذى كان يتكون من البافاريين والمجريين ، فلم تسعفهم الفرصة للهرب ، ووقفوا رغم اراداتهم أمام التقدم التركى المنظم. واستطاعوا اجبار الانكشارية على التراجع فى أول الأمر ، ولكنهم فوجئوا بهجمات القوات الصربية بقيادة الملك ستيفان والذين حاربوا كحلفاء لبايزيد فى هذه المعركة . (١)

وانتهى الأمر أخيرا بهزيمة تامة للجيش الصليبى ، ودمرت قوات سجسمند المجرية وقتل كثيرون من النبلاء البافاريين وغيرهم وذلك فى يوم صليبية نيقوبوليس سنة ٧٩٩ هـ / ٢٥ من سبتمبر سنة ١٣٩٦ م. ولاشك أن هذه المعركة قد وطدت مركز العثمانيين فى البلقان بصورة لم يكن أحد من الصليبيين يتوقع حدوثها. فى أوربا كلها ، أو العالم أجمع ، فى ذلك الوقت فى القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى . (٢)

---

(1) Vasiliv: op. cit., p. 629; Creasy: op. cit., p. 39.

(٢) شاكر الحنبلى ، التاريخ العثمانى ، ص٢٥ ، فيشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥١ ، سوريال ، العلاقات، ص ٩٧ و ١٣٤ ، المازنى ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٥ ، يوسف آصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ص ٣٣ ، كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٢٦ / ٢٧، Charles Diehl: op. cit., p. 163

وخرج العثمانيون المسلمون بغنائم كثيرة ، وعدد ضخم من الأسرى وكان بين الأسرى كثير من مشاهير الفرسان النبلاء فى أوربا ، مما جعل السلطان بايزيد الأول يحصل منهم على فدية كبيرة .

أما بقية الصليبيين فحاولوا الهرب عن طريق السهول الغربية ، ولكن قطع عليهم الأتراك العثمانيون محاولتهم هذه فى الهرب . وحاول الآخرون السباحة فى النهر ، ولكنهم غرقوا لثقل ما يحملونه من دروع وأسلحة ، ووقع بقية الصليبيين فى الأسر. (١)

وهنا تجدر الاشارة الى أسباب هذا النصر الكبير الذى أحرزه السلطان بايزيد الأول وجيشه العثمانى المسلم الذى كان لا يهاب الموت ، ويحرص على الشهادة فى سبيل الله . وأهم هذه الأسباب هى الطبيعة الغير المتجانسة للجيش الصليبى ، والأهداف المتعارضة ، والآمال المتعددة بينهم ، والتى كان لها كبير الأثر فى هذه الهزيمة الشنعاء التى منوا بها . والى جانب هذا كان الجانب العثمانى فى هذه الحرب تربطه وحدة الهدف، والتنظيم الكبير الذى أعطى صورة مخالفة تماما للصليبيين . (٢)

وساعد نظام التيمار على تحقيق هذا النصر ، ففى هذا النظام كانت

---

(1) Creasy: op. cit., p. 39 ; Shaw: History of the Ottoman Empire, Vol. I., pp. 33-34.
(2) Atiya: op. cit., p. 447.

الاقطاعات تمنح في مقابل الخدمة العسكرية حسب رغبة السلطان ، وليست مقابل خدمة عسكرية معلومة في عدد من الأيام المحدودة ، كما هو الحال في الغرب . وكان الحاصلون على هذه الاقطاعات يدينون بالولاء للسلطان وحده ، وكان عليهم أن يمدوا جيش السلطان بفارس معد بكامل أسلحته مقابل ٣٠٠ أسبرا (ASPERS)[١] من دخلهم . وبهذه الوسيلة كان في مقدور السلطان العثماني في القرن الثامن الهجري — الرابع عشر الميلادي — أن يجهز جيشا قوامه ٧٥ ألف رجل . وساعد على انتصار العثمانيين الصفات الخلقية لأفراد الجيش العثماني حيث كان ممنوعا في المعسكرات العثمانية[٢] الخمر ، والنساء ، والمقامرة وغالبا ما قضى الرجال أوقات فراغهم في الصلاة . وفوق هذا كله كانت الطاعة هي أعظم ما يتحلون به ، وايمانهم العميق بأنهم انما يقاتلون من أجل الحق ، ولتحقيق قضية مقدسة ، هي الجهاد في الاسلام . والذى شجع الأتراك المسلمين أن لا يخشوا الموت الذى يمنحهم تاج الشهادة والفردوس الدائم . يضاف الى ذلك كله الصفات الخلقية الممتازة التى كان يتميز بها بايزيد الأول بصفته القائد الوحيد للجيش العثماني ، فقد كانت على النقيض تماما بالنسبة للصفات التى كان يتمتع بها سجسمند والتى كانت تتمثل أساسا في ضعف شخصيته فضلا عن الغرور العنيد والمكابرة التى تميز بها أصحابه من الفرنسيين .[٣]

---

(١) أسبرا (ASPERS) عملة نقدية.

(2) The Cam. Hist. of Islam, Vol. I., p. 273.; Atiya : op. cit., pp. 447-448.

(3) Inalcik: op. cit., p. 16 ; Atiya: op. cit., p. 449.

ويصف المؤرخ العربى المعاصر ابن حجر العسقلانى السلطان بايزيد الأول بقوله "(كان أعظم ملوك العالم)" ويستطرد قائلا "كان مرهوب الجانب يحب العلم والعلماء ويقدر كل من كان له المام كبير بعلوم القرآن". (١)

وكانت أساليب الأوربيين فى الحرب أقل كفاءة من أساليب الأتراك العثمانيين ، حيث كانت التكتيكات التى تعتمد على الفرسان المدججين بالحديد قد فقدت تأثيرها المميت أمام خفة حركة الأتراك فى اختراق صفوف المسيحيين ، وفى استخدام السهام (٢).

بعد هذا الانتصار الرائع الذى أحرزه السلطان بايزيد الأول على التحالف الصليبى فى معركة نيقوبوليس سنة ٧٩٩ هـ / سنة ١٣٩٦ م ضيق السلطان العثمانى الخناق على الدولة البيزنطية . فلقد أدى هذا الانتصار العثمانى على هذا التكتل الدولى الصليبى الواسع النطاق الى توطيد أقدام العثمانيين فى البلقان ، حيث انتشر الفزع بين الشعوب البلقانية وتوغل الجنود العثمانيون متعقبين فلول الصليبيين فى ارتدادهم . واقتص السلطان بايزيد من حكام شبه جزيرة المورة اللاتين الذين قدموا مساعدات عسكرية للصليبيين ، وبعد هذا لم يبق أحد من هذه الدولة الصليبية يستطع أن يمد

---

(١) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .
(2) Atiya: op. cit., p. 449.

المساعدة للدولة البيزنطية التى كانت هى الأخرى ترزح تحت وابل الحرب الأهلية . وقد انتهز السلطان بايزيد الأول فرصة هذه الحرب الأهلية وأخضع فى سنة ٨٠٠ هـ / سنة ١٣٩٧ م كلا من أبيروس وتساليا ثم تحول بعد ذلك محاولا الاستيلاء على القسطنطينية ليحقق للمسلمين هذا الحلم فى سقوطها . ومن ثم تحرك على رأس قواته ، وضرب نطاقا محكما من الحصار حول العاصمة وأخذ يضغط عليها ضغطا لا هوادة فيه . وبينما كانت أوربا تتوقع سقوط القسطنطينية بين لحظة وأخرى ، فاذا بالسلطان العثمانى بايزيد الأول ينصرف عن فتح القسطنطينية بعد أن قبل الامبراطور البيزنطى بشروط السلطان بايزيد الأول ، وهى دفع عشرة آلاف قطعة ذهبية كل سنة والتخلى عن أحد أحياء القسطنطينية ليكون مسكنا للمسلمين ، وأن يبنوا بها مسجدا جامعا لاقامة شعائر الدين الحنيف ، وتعيين قاضٍ شرعيٍ للفصل فى دعاوى المسلمين . (١) وكان من أسباب رفع الحصار عن القسطنطينية أيضا هو تصميم السلطان على دفع الخطر المغولى ، وعلى رأسه تيمور لنك الذى جاء بجيش جرار لمهاجمة الدولة العثمانية . (٢)

وكانت الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان بايزيد الأول تستشعر هذا

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٠ ، شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، ص ٢١٨ .

(٢) زينى دحلان ، الفتوحات الاسلامية ، ص ٧٣ ،
Inalcik: op. cit., p. 16.

الخطر المغولي الذى يتهددها من الشرق ، وحال دون استمرار حصار القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وأدرك السلطان منذ توليه الحكم أنه لابد من منازلة هذا الغازى المغولي ، ومن أجل هذا اتجهت همته منذ البداية الى تقوية مركزه فى آسيا الصغرى ، فانتزع قونية من أمير قرمان سنة ٧٩٤ هـ / سنة ١٣٩١ م ، وأدخل تركمان قيصارية ، وسيواس فى طاعته . وفى سنة ٧٩٦ هـ / سنة ١٣٩٣ م سلم أمير قسطمونى ممتلكاته أيضا للعثمانيين . ولجأ الى تيمورلنك من نجا من القتل والأسر من أمراء الأناضول ، وكانوا جميعا يحرضون تيمورلنك على دخول بلاد الترك العثمانيين(١).

وكان المسيحيون أيضا يحرضون تيمورلنك ، كما اتصل الامبراطور البيزنطى حنا السابع بتيمورلنك أيضا ، وكان البيزنطيون فى القسطنطينية قد وعدوا تيمورلنك أنه اذا انتصر على السلطان بايزيد الأول العثمانى أن يدفعوا له الجزية التى يتقاضاها السلطان بايزيد الأول منهم . وكان ملك فرنسا شارل السادس يشجع هذا التدخل لصالح صديقه امبراطور بيزنطة . وأرسل السلطان بايزيد الأول ابنه أرطغرل الى آسيا الصغرى ليصد هجمات تيمورلنك ، ولكن تيمورلنك استطاع أخذ أرطغرل أسيرا لديه وقطع رأسه(٢).

---

(١) البكرى ، المنح الرحمانية ، ورقة ٣ ، Inalcik: op. cit., p. 16.

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥١ ، سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٣٣ — ٣٤ .

وبعد أن تبادل تيمورلنك والسلطان بايزيد الأول بعض الرسائل ، دخل تيمورلنك فى أراضى الدولة العثمانية . (١) وجمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور ولكنه تعجل فى هذا الأمر ، فجمع جيشا صغيرا جدا بالنسبة لجيش خصمه تيمورلنك ، الذى بلغ جيشه ثمانمائة ألف مقاتل . (٢)

وتقابل الجيشان فى سهل أنقره فى ١٩ من ذى الحجة سنة ٨٠٤ هـ / ٢٠ من يولية سنة ١٤٠٢ م . واستمرت الحرب يوما كاملا ، وأظهر بايزيد الأول شجاعة نادرة ، ولكن جيشه ضعف ، وذلك نتيجة لفرار الجنود التتار الذين كانوا فى جيش السلطان بايزيد الأول ، وكذلك انفض عنه فى أثناء المعركة أتراك آيدين ، ومنتشا ، وصاروخان ، وكرمان بعد أن رأوا أمراءهم يحاربون فى صفوف تيمورلنك . ولم يبق مع السلطان بايزيد الأول الا خمسة أو عشرة آلاف انكشارى ، وعساكر الصرب حيث ثبتوا ثباتا باسلا حتى المساء . (٣) ولم يستطع السلطان بايزيد الأول الصمود فى وجه التتار رغم شجاعته واستماتته هو ومن بقى معه من الجند ، حتى يقال انهم عجزوا عن القبض عليه لشجاعته .

---

(١) أنظر ابن عرب شاه ، كتاب تيمور ، مخطوط ، ورقه ٥٨ ، ابن حجر ، أبناء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .
(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٥٩ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٢١٦ ، ابن حجر العسقلانى ، أبناء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .
(٣) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٠٥١ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣١ .

وقوتـه ، فرموا عليه بساطا وأمسكوه • وأخذوه هو وابنه موسى أسيريـن •
وهرب باقى أبناء بايزيد الأول • (١)

وقبض تيمورلنك على السلطان بايزيد الأول ، وأحسن معاملته فى بادئ
الأمر ، لكنه شدد عليه الأسر بعد أن قام السلطان بايزيد الأول بمحاولتين
للهرب ، ولكن السلطان بايزيد الأول توفى فى الأسر فى أول المحرم سنة
٨٠٥ هـ / ٨ من مارس سنة ١٤٠٣ • وعندما سمع تيمورلنك بذلك حزن
حزنا شديدا عليه ، فقد كان بايزيد الأول من أكبر ملوك الاسلام ، وأكثرهم
غزوا فى بلاد الكفار ، وكان ينكر على ملوك عصره تقاعدهم عن الجهاد فى سبيل
الله ، وسمح تيمورلنك بدفنه فى جامع بروسا • (٢)

وأعاد تيمورلنك كثيرا من الامارات الآسيوية الى أصحابها من الأمراء
السابقين الذين دانوا له بالطاعة ، كذلك استعادت الدولة البيزنطية
كثيرا من أملاكها السابقة • واستعادت أيضا الدول الأخرى المغلوبة ،

---

(١) البكرى ، المنح ، ورقة ٤ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، تحقيق محمد مصطفى
ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٦٠ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣١ ،
محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥١ •
(٢) البكرى ، المنح ، ورقة ٤ ، ابن حجر ، أبناء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٢٥
— ٢٢٦ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ج ٣ ، ص ٣١ ، فيشر ، تاريخ أوربا
العصور الوسطى ، ق ٢ ، ص ٤٥ •

كالصرب ، والبلغار ، والمورة ، سيادتها واستقلالها . (١)

وقد أجلت هذه الهزيمة من سقوط القسطنطينية لمدة خمسين عاما أخرى بعد أن أوشكت على السقوط فى أيدى العثمانيين . وكادت هذه الهزيمة أن تقضى على الدولة العثمانية لولا أن هلك تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ/ سنة ١٤٠٥م ، وقسم أبناؤه مملكته ووقعت الخلافات بينهم ، مما أضعف سلطانهم فى آسيا الصغرى وفى أكثر ممالكهم . وتخلص العثمانيون من سلطة المغول ولكنهم عندما تخلصوا من القوة الخارجية ظهر بأسهم بينهم ، فكثر الخلاف الداخلى على السلطة بين أبناء السلطان بايزيد الأول ، مما نتج عنه اشتعال الحرب الأهلية داخل السلطنة العثمانية . (٢)

ودام النزاع بين أبناء السلطان بايزيد الأول ما يقرب من اثنى عشر عاما . انتهت باعتلاء السلطان محمد الأول بن السلطان بايزيد الأول العرش ، الذى يسمى بمحمد جلبى ويعتبر المؤسس الثانى للدولة العثمانية ، وكان أشد أخوته بأسا ، وأوفرهم نشاطا وحيوية . (٣)

---

(١) ابن حجر ، أبناء الغمر ، ج ٢ ، ص٢٢٦ ، أومان ، الامبراطورية البيزنطية ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ، سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص٦٤٢

(٢) فيشر ، تاريخ أوربا ، ق ٢ ، ص٤٥٢ ، Ostrogorsky: op. cit., p. 495 ; Shaw: History of the Ottoman Empire. Vol. I., pp. 37 - 38.

(3) Shaw: op. cit., pp. 38 - 39 - 41.

وعمل السلطان محمد الأول على تنظيم دولته بحيث مهد الطريق أمام من جاء بعده من السلاطين العثمانيين لتكملة عملية الفتوح الاسلامية مرة أخرى فى أوربا .(١) وواصل السلطان محمد الأول جهوده الكبرى لاتمام دار بناء السفن فى غاليبولى ، بحيث يستطيع مواجهة أعداء الدولة العثمانية بحرا اذا لزم الأمر. واستطاع بذلك استعادة القوة الى الدولة العثمانية ، وتوحيد أملاك أبيه ، عندئذ لم يسع الامبراطور البيزنطى وغيره من الأوربيين سوى تقديم فروض الولاء الى السلطان مرة أخرى .(٢) الا أن المنية أدركت السلطان محمد الأول فى سنة ٨٢٤ هـ / سنة ١٤٢١م فأسلم الروح فى مدينة أدرنه بعد أن أوصى للحكم لابنه مراد الثانى .(٣) وكان على السلطان مراد الثانى أن يستأنف حركة الجهاد الاسلامى ضد البيزنطيين وهو موضوع الفصل الثالث .

.. .. ..

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ،ص ٥٤ ، أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٦ ، سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ج ١ ، ص ٦٤٢.

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص٥٤ ، أومان ، نفس المرجع ،ص ٢٥٦.

(٣) البكرى ، المنح الرحمانية ، ورقه ٤ ، Ostrogorsky: op. cit., p. 495.

الفصل الثالث

جهاد السلطان مراد الثانى ضد البيزنطيين

- حصار العثمانيين للقسطنطينية ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢م ونتائجه.
- استعانة الأمبراطور حنا الثامن بالقوى الأوربية ضد العثمانيين.
- هزيمة حملة صليبية أوربية فى موقعة وارنة (فارنة) ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م.

كانت الكارثة التى حلت بالدولة العثمانية فى وقعة أنقرة محنة قاسية ، فقد أدت موقعة أنقره التى وقعت بين السلطان بايزيد الأول ، وبين تيمور لنك فى ١٩ من ذى الحجة سنة ٨٠٤ هـ الموافق ٢٠ من يولية سنة ١٤٠٢ م الى اضطرابات داخلية فى الدولة العثمانية ، تمثلت فى الخلافات الدامية التى وقعت بين أبناء بايزيد الأول ، واستمرت هذه القلاقل وتلك الصراعات مدة تقرب من اثنتى عشرة سنة ، لم تنته الا فى عام سنة ٨١٦ هـ / سنة ١٤١٣ م عندما قضى السلطان محمد الأول بن السلطان بايزيد الأول على تلك الخلافات ، وأعاد الأمن والاستقرار ، والهدوء الى البلاد . (١)

وكان السلطان محمد الأول على نفس مستوى والده السلطان بايزيد الأول ، جم النشاط عالى الهمة ، استهل حكمه باسترداد الامارات العثمانية التى استغلت فرصة الغزو المغولى ، وخرجت عن طاعة الدولة العثمانية ، وهذه الامارات هى امارة آيدين ،(٢) وصاروخان ، ومنتشا Menteche

---

(١) أنظر ما سبق الفصل الثانى .

(٢) " آيدين " واسمها القديم ترالس Tralles مدينة فى آسيا الصغرى على نهر دباع (طباق جاق) (قديما ايدون (Eudon) وهو أحد نهيرات نهر مندرس Meandres . (دائرة المعارف الاسلامية مادة آيدين) .

المطلة على بحر ايجه ، وأضاليا (١) Adalia التى كانت آخر مدينة فى امارة تكا Tekka ، تطل على البحر المتوسط ، وكان السلطان بايزيد الأول قد فتحها سنة ٧٩٤ هـ / سنة ١٣٩١ م . (٢)

واستنفد هذا الأمر من السلطان محمد الأول جهودا كبيرة ، حتى استطاع اعادة السيطرة العثمانية على تلك البلاد مرة أخرى . وما هى الا سنوات قلائل حتى بدأ السلطان محمد الأول يعلن راية الجهاد الاسلامى فى الضغط على جيران الدولة العثمانية حول تخومها الغربية ، وأن يواصل الاغارات على الأراضى المجرية . وكان المأمول أن يحقق هذا السلطان الحازم للدولة العثمانية أمجادا عظيمة ، بعد أن حقق هذه البداية الطيبة فى احياء حركة الجهاد الاسلامى ضد القوى الصليبية ، لكن الموت لم يمهله حتى يكمل خططه ، ومشروعاته حيث توفى فى مدينة أدرنه عام ٨٢٤ هـ / سنة ١٤٢١ م . (٣)

---

(١) أضاليا : ستاليا بالانجليزية (Stalia) وأطاليا عند الأقدمين ، عاصمة سنجق فى ولاية قونية ، وهى احدى موانى البحر المتوسط على خليج يسمى باسمها وتقوم على صخرة منحدرة ترتفع عن سطح البحر بخمسين مترا وشكل تلك المدينة شبيه بحدوة الفرس ، ويحيط بها ثلاثة أسوار بعضها وراء بعض ، وتنمر قواعدها مياه دودن (Duden) ويرجع هذا السور الى العهد الرومانى ، (دائرة المعارف الاسلامية مادة اضاليا ص ٦٩)

(٢) الشناوى ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، جـ ١ ، ص ٦١٠ .

(٣) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٢٢ ، Fisher: op. cit., p. 182.

خلف محمد الأول ابنه السلطان مراد الثانى الذى حمل من بعد أبيه مسئولية استرجاع البلاد التى كانت خاضعة للدولة العثمانية ، والتى كانت قد فقدتها الدولة العثمانية بعد غزوة تيمور لنك . فكانت أولى أعماله ابرام الصلح مع أمير قرمان ، والاتفاق مع ملك المجر سجسموند على هدنه لمدة خمس سنوات ، حتى يتفرغ لارجاع ما شق عصا الطاعة من ولايات آسيا . ولكن حدث ما شغل السلطان مراد عن القيام بمثل هذا العمل ، وذلك أن الدولة البيزنطية حاولت أن تتحرر من الخضوع للدولة العثمانية ، فقد كانت بيزنطة تدفع اتاوة سنوية الى العثمانيين منذ سنة ٧٩٩ هـ / سنة ١٣٩٦ م عقب هزيمة الصليبيين فى معركة نيقوبوليس . وكانت هذه الاتاوة تدفعها أيضا كل من بلاد الصرب ، والبوسنة ، والافلاخ . (١) وتجلت هذه المحاولة البيزنطية فيما طلبه الامبراطور البيزنطى مانويل باليولوجوس من السلطان مراد الثانى . وهو أن يتعهد له بعدم محاربته مطلقا ، وأن يسلمه اثنين من اخوته ليكونا رهائن فى بيزنطة ضمانا لعدم نقضه والتزامه بهذا الشرط . (٢)

وهدد الامبراطور البيزنطى مانويل السلطان مراد الثانى فى حالة رفض طلبه أن يطلق سراح عمه مصطفى ابن السلطان بايزيد الأول ، والذى كان أسيرا فى سالونيك . وكان الغرض من هذا التهديد هو اثارة ......

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٠ .

(2) Creasy: op. cit., p. 62.

المتاعب فى وجه السلطان مراد الثانى ، واثارة القلاقل والفتن وانشغاله بهـا بعيدا عن الدولة البيزنطية . وكان من الطبيعى أن يرفض السلطان مـراد الثانى الاذعان لهذه المطالب .

وحين وصل الى مانويل باليولوغوس رفض السلطان مراد الثانى لكـل شروطه ، أطلق سراح الأمير مصطفى ، عم السلطان مراد الثانى ، وزوده بعشرة مراكب حربية تحت أمرة دمتريوس لاسكاريوس فأتى بها وحاصر مدينـة غاليبولى فسلمت له ما عدا قلعتها التى حاول انتزاعها ولكنه فشل . وفـرض الأمير مصطفى على قلعة غاليبولى حصارا شديدا وذلك لمنع أية امدادات تأتى اليها من جانب السلطان مراد الثانى . ثم اتجه الأمير مصطفى بعد ذلـك الى مدينة أدرنه فى محاولة للاستيلاء عليها ، وذلك بعد أن استطـاع أن يستميل اليه أعدادا كبيرة من الجنود العثمانيين . وقد تمكن الأمـير مصطفى من اثارة الفتنة بهذه الجموع الغفيرة ، الا أن الوزير بايزيد باشـا خرج لمحاربته ، فتقدم اليه مصطفى بجيوشه واستطاع قتل بايزيد باشا . ثم زحف الأمير مصطفى بعد ذلك بقواته عبر الدردنيل الى آسيا بجيش كبـير ، وفى ذلك الوقت تحرك السلطان مراد الثانى لمواجهة عمه ، وأظهر براعـة ومقدرة حربية ممتازة ، وهزم الأمير مصطفى فى القتال ، وانضم كثير مـن قوات الأمير مصطفى الى جيش السلطان العثمانى مراد الثانى ، وفر الأمـير مصطفى الى مدينة غاليبولى ، فسلمه بعض أتباعه الى ابن أخيه مراد الثانـى ،

فأمر بشنقه سنة ٨٢٦ هـ / سنة ١٤٢٢ م .(١)

وحين فرغ السلطان مراد الثاني من فتنة عمه الأمير مصطفى اتجه الى الانتقام من الامبراطور البيزنطي مانويل الثاني باليولوغوس جزاء ما أثاره من مشكلات وفتن . ورأى السلطان مراد الثاني بثاقب نظره أن الضربة الموجعة يجب أن تكون بالاستيلاء على القسطنطينية معقل المسيحية ، وهدف المسلمين الأوائل منذ الفتح الاسلامي ، طمعا في بشرى الرسول عليه الصلاة والسلام " لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش ". (٢)

من هذا المنطلق أراد السلطان مراد الثاني أن يفوز بالشهادة ، وبشرى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في هذا الجهاد العظيم بفتح تلك المدينة ، التي استعصت على من خلفوه من المسلمين الأوائل ، فأخذ أهبته لذلك ، وبدأ في حصارها في سنة ٨٢٦ هـ / أوائل يونية سنة ١٤٢٢ م . (٣) ولما أحس الامبراطور البيزنطي مانويل الثاني بنوايا السلطان مراد الثاني ، حاول استرضاءه ، فأرسل اليه عدة سفارات تحمل اليه الأعذار ، وتحاول اعادة

---

(١) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٠ ، محمد فريد ، الدولة العلية ص ٥٤ - ٥٥ Inalcik: op. cit., 19; Creasy: op. cit., p. 60.

(٢) أنظر أحاديث فتح القسطنطينية في صحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٠ ، الشناوي ، نفس المرجع ج ١ ، ص ٦٢٤ ، Creasy: op. cit., p. 60

الأمور الى ماكانت عليه • ولكن السلطان مراد الثانى كان قد عقد العـــزم على الجهاد فى سبيل الله ، ورفض الاستجابة لهذه السفارات أو قبول هـذه الاعتذارات • وفى يوم ٣ من رمضان سنة ٨٢٦ هـ / ٢٤ من أغسطس سنــة ١٤٢٢ م كان السلطان مراد الثانى يقف على أبواب القسطنطينية ومعـــه عشرون ألفا من أحسن الجنود الذين انتقاهم لهذه الحركة الهامة • (١)

وكانت خطة السلطان مراد الثانى أن يجمع بين حصار القسطنطينية ، وضرب القوات البيزنطية فيما حولها • لهذا أفرد السلطان مراد من جنده عشـــرة آلاف مقاتل تحت قيادة القائد العثمانى ميخائيل بك ووجههم للاغـــارة على أراضى الامبراطورية البيزنطية خارج أسوار القسطنطينية • أما بقيـــة الجيش المسلم فقاده السلطان مراد الثانى بنفسه ، وخصصه لحصـــار القسطنطينية • وقد أحكم السلطان مراد الثانى الحصار على القسطنطينيـــة بمهارة فائقة ، وعبقرية خارقة ، كانت تندر فى العمليات الحربية المعاصـــرة • (٢) وأقام السلطان مراد الثانى خطا للتحصينات على مرمى سهم من أسوار المدينة • وكانت هذه التحصينات تتمثل فى سور ممتد من البحر حتى القرن الذهـــبى ، ليتمكن السلطان مراد الثانى من السيطرة على تلك الأراضى التى حـــول المدينة ، وحصارها • وأقيم هذا الخط من سد ترابى مدعم بأخشاب قوية ،

---

(١) شاكر الحنبلى ، التاريخ العثمانى ، ص ٣٢ ، Hidden: op. cit., p. 45.

(2) Creasy: op. cit., p. 60. ; Hidden: op. cit., p. 45.

ومدرع بصخور قوية لا تؤثر فيها النيران الاغريقية . وفى حماية هذا الخط الاستراتيجى كان جيش السلطان مراد الثانى يستعد للهجوم ، مترقبا اللحظة المناسبة . وأعد السلطان لقواته أبراجا متحركة لتحمل القوات الى أسوار المدينة ، ولتنقل البارود الى المواقع الأمامية . ولأول مرة فى التاريخ استعملت المدافع من جانب العثمانيين المجاهدين فى هذه المعركة . (١)

وقد ذكر بعض الباحثين أن السلطان مراد الثانى أراد اثارة حماس جنوده المسلمين المجاهدين ، وبث روح الجهاد والنعرة الدينية بينهم ، فأعلن أن لكل مجاهد من المجاهدين المشتركين فى عملية الحصار ، والذين سوف تفتح المدينة على أيديهم ، سوف يكون له نصيب من الكنوز الموجودة بالمدينة . غير أنه يجب الاشارة هنا الى أن هناك من الدوافع الدينية والرغبة المتمكنة فى قلوب الجند العثمانيين لفتح القسطنطينية معقل المسيحية ما طغى على كل دافع أو رغبة أخرى .

وبلغ الحماس الدينى ذروته حيث انضم الى الجيش العثمانى خمسمائة من الشباب المتدين تدينا عميقا ، والمتفقه فى علوم الدين ، وكان على رأس هؤلاء شيخ يدعى بالشيخ البخارى ، وهو عم السلطان العثمانى مراد الثانى ،

---

(1) Ostrogorsky: op. cit., p. 497 ; Creasy: op. cit., p. 61.

الذى أخذ بدوره هو وجماعته يبث روح الجهاد بين صفوف الجند العثمانيين ، وأعلنت هذه الجماعة المنضمة الى الجيش العثمانى وعلى رأسهم الشيخ البخارى أنهم سيقودون المسلمين لفتح القسطنطينية . وفى يوم ٤ من رمضان سنة ٨٢٦ هـ / ٢٥ من أغسطس سنة ١٤٢٢ م تقدم الجيش العثمانى بقيادة السلطان مراد الثانى تجاه القسطنطينية . وكان الجنود يسترخصون الموت ، ويطلبون النصر ، ويستعجلون الشهادة فى سبيل الله . وبدأ الهجوم عنيفا ، وقابله الجنود البيزنطيون باستماتة واستبسال ، وقاموا على أسوار المدينة يدافعون عنها . وكان القتال عنيفا على أشده قرب بوابة سانت رومانوس St. Romanus حيث استبسل الفريقان . (١)

حاصر العثمانيون القسطنطينية بضعة شهور ولكن فى أوائل سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م أمر السلطان مراد الثانى برفع الحصار عن المدينة ، ولم تكن للأسباب التى ذكرها بعض الباحثين ، بسبب نقص المدفعية ، ونقص قواته البحرية ، (٢) وانما السبب الرئيسى لفك الحصار هو ما بلغ السلطان من قيام فتنة ضده بجهات الأناضول بتحريض من أخيه مصطفى جلبى الذى شق عليه عصا الطاعة ، وكان الأمير مصطفى قد استعان على أخيه السلطان مراد الثانى

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٥
Hidden: op. cit., p. 45. ; Creasy: op. cit., p. 61.

(٢) أنظر : سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٣٧ .

ببعض أمراء آسيا الصغرى الذين كان تيمورلنك قد رد اليهم أقاليمهم التي انتزعها العثمانيون منهم. وتوجه السلطان مراد الثاني سريعا لاخماد هذه الفتنة. وتمكن من ذلك بعد أن قبض على الأمير مصطفى وقتله في سنة ٨٢٧ هـ / سنة ١٤٢٣ م. (١) ووقع الرعب في قلوب من ساعده من الأمراء. وتنازل أمير قسطموني عن نصف أملاكه للسلطان مراد الثاني ، وزوجه ابنته اظهارا لاخلاصه ، وولائه للسلطان .

وكان من نتيجة حصار السلطان مراد الثاني للقسطنطينية ، أن وافق الامبراطور البيزنطي مانويل الثاني باليولوجس من جديد على دفع الاتاوة السنوية التي كان قد فرضها من قبل السلطان بايزيد الأول على أبيه ، وتقدرها بعض المصادر بمبلغ ثلاثين ألفا من الدوكات ، والبعض الآخر يقدرها بخمسين ألفا من الدوكات . (٢) ووافق الامبراطور البيزنطي أيضا على تسليم المدن الواقعة على البحر الأسود الى السلطان العثماني مراد الثاني ، وأن يتنازل عن جميع ممتلكاته ماعدا مدن القسطنطينية ، وسالونيكا ، ومنطقة البلوبونيز.

---

(١) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٣٣ ، أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٨.

(٢) أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٨ ، والدوكات: هي عملة ذهبية كانت تسكها مدينة البندقية من الذهب الخالص.

وفى السنة التالية ٨٢٨ هـ / سنة ١٤٢٤ م شق قره جنيد حاكم غاليبولى عصا الطاعة على السلطان العثمانى مراد الثانى واستولى على امارة آيدين ، لكن القائد العثمانى حمزه بك أخو الوزير العثمانى بايزيد باشا استطاع هزيمته ، وقهره ، وقبض عليه وأمر بخنقه ، فتخلصت الدولة بذلك من هذا الخائن سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤م . (١)

كما أعاد السلطان مراد الثانى الى أملاك الدولة العثمانية ولايات آيدين ، ومنتشا ، وصاروخان ، وغيرها من الامارات التى شقت عصا الطاعة عليه أثناء فتنة الأمير مصطفى . واسترد كذلك بلاد كرميان بعد أن قتل أميرها محمد بك وعين ابنه ابراهيم واليا عليها مع منحه بعض الامتيازات بشرط أن يتنازل عن اقليم الحميد . (٢) وفى عام ٨٣١ هـ / سنة ١٤٢٧ م فتحت قلعة كوكر جينلك على نهر الدانوب . (٣) وفى عام ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨م توفى أمير كرميان عن غير عقب ، وأوصى بما كان باقيا له من بلاده الى السلطان مراد

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص٥٠٠ ، محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٥ .

(٢) سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٠٠ ، محمد فريد الدولة العلية ، ص٥٥ .

(٣) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، ج ١ ، ص٢٠٣ ، ساطع الحصرى ، البلاد العربية ، ص ٢٠ .

الثانى ، وبذلك آلت امارة كرميان للسلطان مراد الثانى العثمانى ، ويكـون بذلك قد استرد السلطان مراد الثانى جميع ما فصله تيمورلنك عن السلطنـة العثمانية • (١)

وبهذا استطاع السلطان مراد الثانى — بقضائه على تلك الفتن والحروب الأهلية — أن يتفرغ لاسترداد ما فقدته الدولة فى أوربا بعد موت السلطان بايزيد الأول ، فابتدأ السلطان مراد الثانى بمحاربة ملك المجر سجسمند الذى كان منبع اثارة للفتن فى الدولة العثمانية ، ومعطلا لحركة الجهاد الاسلامى • وقامت محاربة شديدة ومعارك عنيفة بينه وبين السلطان مراد الثانى اتم فيها فتح كولمباتز Kolumbatz الواقعة على الشاطئ الأيمن لنهر الدانوب • وأرغم السلطان مراد الثانى ملك المجر على توقيع معاهدة ، تنازل بموجبها الى السلطان العثمانى عن كل البلاد الواقعة على شاطئ نهر الدانوب الأيمن ، بحيث أصبح النهر حدا فاصلا بين أملاك الدولة العثمانية ، والمجر فى سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م • (٢)

وفى سنة ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م أسرع أمير الصرب جورج برنكوفيتش (Georges Brankovitch) الى استرضاء السلطان مراد الثانى ،

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٥ ، Inalcik: op. cit., p.19.

(٢) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٠ ، الشناوى ، أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٦٢٦ •

وتعهد بأن يدفع اتاوة الى الدولة العثمانية قدرها ٥٠،٠٠٠ ألف ، خمسون ألفا من الدوكات الذهب • والتزم بتقديم فرقة من جنوده لمساعدة السلطان مراد الثانى وقت الحرب ، وأن يزوج ابنته ماريا للسلطان مراد الثانى ، وأن يقطع العلاقة القائمة بينه وبين ملك المجر ، وأن يتنازل للدولة العثمانية عن بلدة كروشيفاتش الواقعة فى وسط بلاد الصرب لتجعلها حصنا منيعا تأوى اليه جنودها ، منعا لحصول الفتن • (١)

وفى ٥ من رجب سنة ٨٣٤ هـ / ٢٠ من مارس سنة ١٤٣٠ م أعاد السلطان مراد الثانى فتح قلعة سالونيك (٢) اليونانية ، وكانت من أحصن القلاع اليونانية ، وكانت هى والقسطنطينية توأمان فى كونهما منبع الكفر ، والضلالة ، فى أيدى المسيحيين • وقد كانت سالونيك أشد من القسطنطينية وطأة فى اضرار المسلمين باثارة الفتنة والفساد • وكان السلطان مراد قد تركها للامبراطور البيزنطى مانويل الثانى باليولوغوس طبقا للمعاهدة التى وقعت بعد

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٥٠٠ وكروشيفاتش : تسمى فى كتب الترك (الاجه حصار) وتبعد ٥٦ كم عن مدينة نيش بالقرب من ملتقى نهر مورافا (محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٥) •

(٢) سالونيك أو سلانيك : بلد من أعمال مقدونية فى طرف خليج سلانيك شرقى مصب نهر وردار ، عند سفح تل يشرف عليها من الشمال الشرقى ، وهى البلدة اليونانية القديمة التى شيدها كاساندر (Cassander) على موقع ثرما (Therma) ، وقد أطلق على المدينة اسم زوجته أخت الاسكندر الأكبر• (دائرة المعارف الاسلامية ، مادة سلانيك) •

حصار القسطنطينية سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م ولكن الامبراطورية البيزنطية كانت قد تنازلت عنها للبنادقة الذين كانوا فى ذلك الوقت على عداوة ضد السلطان مراد الثانى . (١) ولهذا وجد السلطان مراد الثانى نفسه فى حل من استردادها وتم له ذلك بعد أن حاصرها خمسة عشر يوما . (٢)

اتجه السلطان مراد الثانى بعد فتحه سلانيك (سالونيك) لمواصلة حركة الجهاد الاسلامى رافعا رايته فى أوربا بادئا بالبانيا ، والمجر . وكانت البانيا تشمل المنطقة الجبلية الممتدة من الساحل الشرقى للبحر الادرياتيكى ابتداء من الجبل الاسود الى خليج آرتا ARTA . وقد تطلع العثمانيون المسلمون الى فتح هذا الاقليم لميزاته الاستراتيجية ، فهو يقع على الطرف الغربى لشبه جزيرة البلقان ، وعند مخرج بحر الادرياتيك الى البحر المتوسط وهو يطل على عنق الزجاجة فى بحر الادرياتيك ، أى فى أضيق مسافة بين الساحل الشرقى والساحل الغربى لهذا البحر ، وبالتالى فهو أقرب مكان فى البلقان الى شبه الجزيرة الايطالية ، وهو على مقربة من الجزر الأيونية ، وفى الاستطاعة اتخاذ موانيه قواعد عسكرية للقوات العثمانية فى جهادها ضد

---

(١) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، جـ ١ ، ص ١٩٩ ، الصرفى ، تاريخ دول الاسلام ، جـ ٣ ، ص ١٠٢ ،

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٥ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٢٦ .

البندقية وغيرها من الدول والامارات الايطالية المسيحية والدول البحرية في حوض البحر المتوسط. وأخضع السلطان مراد الثاني سكان يانينا Janina وأغلب المدن ، دون عناء ، وقد وعدهم السلطان مراد الثاني بعدم التعرض لهم في دينهم وعوائدهم. وألزم السلطان مراد الثاني أمير الجزء الشمالي من بلاد ألبانيا حنا كستريو Jean Castriot أن يسلم أولاده الأربعة رهينة ليدل على صدقه ووفائه . ثم ضم السلطان مراد الثاني أملاكه الى أملاك الدولة العثمانية بعد وفاته سنة ٨٣٥ هـ / سنة ١٤٣١م. (١)

وفي عام سنة ٨٣٧ هـ / سنة ١٤٣٣ م اعترف فلاد (Vlad) حاكم اقليم ولاشيا بسيادة العثمانيين عليه . وكان هذا الاقرار تخلصا من حرب تخشى عاقبتها ، ولكنه ما لبث أن ثار هو وأمير الصرب ، بناء على تحريض من ملك المجر سجسمند لهما ، فحاربهما السلطان مراد الثاني وتغلب عليهما. ثم سار مراد الثاني الى بلاد المجر وخرب كثيرا من البلدان وعاد منها سنة ٨٤٢ هـ / سنة ١٤٣٨ م ومعه الكثير من الأسرى . (٢)

وفي السنة التالية سنة ٨٤٣ هـ / سنة ١٤٣٩ م أعلن العصيان جورج برنكوفيتش أمير الصرب فتوجه اليه السلطان مراد الثاني ، وحاصر مدينة

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٦ ، الشناوي ، نفس المرجع ، ص ٦٢٧ — ٦٢٨ .

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٦ .

سمندرا (١) (Semendra) القريبة من بلغراد (٢) عاصمة بلاد الصرب وضرب الحصار عليها ثلاثة أشهر ، فلما يئس جورج برنكوفيتش من الموقف فر ملتجئا الى الملك ألبرت ملك المجر الذى تولى عرش المجر بعد سجسمند سنة ٨٤١ هـ / سنة ١٤٣٧ م • وتوجه مراد الثانى الى ترانسلفانيا (٣) ، وحاصر أهم مدنها مدينة هومانشتاد (Hermanstad) التابعة لملك المجر • وكان حاكم هذا الاقليم هو حنا هينادى (Jean Hunyade) الذى سيصبح له دور هام على مدى السنوات التالية حتى وفاته سنة ٨٦١ هـ / سنة ١٤٥٦ م • (٤)

وبدأت الرياح تغير اتجاهها فى الميدان الأوربى ضد أمانى السلطان مراد الثانى بدءا بوفاة ملك المجر سجسمند سنة ٨٤١ هـ / سنة ١٤٣٧ م ، وولاية خلفه الملك ألبرت الذى كان قد لجأ اليه جورج برنكوفيتش حين شدد عليه السلطان العثمانى الحصار فى سمندرا • وقد تنادى المجريون بحرب

---

(١) سمندرا : معناها القديس اندريا ، وهى واقعة على نهر الطونة تبعد ٤٥ كم عن بلغراد عاصمة بلاد الصرب •

(٢) بلغراد : معناها المدينة البيضاء ، مدينة حصينة على نهر الطونة بالقرب من مصب نهر (ساف) •

(٣) ترانسلفانيا : معناها البلاد الواقعة فيما وراء الغابات أطلق عليها أهالى النمسا هذا الاسم لوجود غابات كثيفة تفصلها عنها ، ولمجاورتها لبلاد المجر صارت عرضه لكل من أراد الاغارة على بلاد المجر • (محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٦) •

(٤) Creasy: op. cit., p. 62.

صليبية لانقاذ أوربا من العملاق العثمانى المسلم ، الذى استطاع أن يمحوا آثار هزيمة أنقرة أمام تيمورلنك ، وأن يعيد تنظيم قواته الضاربة ، وأن يكتسح خصومه فى أوربا ، والدولة البيزنطية على السواء ، بل أصبح يتهدد الدول الأوربية فى وجودها وكيانها أيضا .

وفى نفس الوقت تحركت الامبراطورية البيزنطية حين أحست بالضغط العثمانى عليها ، فدعا امبراطورها حنا الثامن الى التعاون مع القوات الأوربية لازالة هذا الخطر القادم من الشرق . وقام الامبراطور البيزنطى بزيارة الى ايطاليا ، حيث استطاع اقناع البابا يوجين الرابع Eugeenius IV بقيام وحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية ، كما حاول اغراء بطريرك القسطنطينية بمباركة هذا الاتحاد . وقد أثمرت هذه المحاولة فى اقناع الطرفين حتى أعلن الاتفاق مبدئيا على توحيد الكنيستين فى فلورنسا .(١)

وفى فلورنسا انعقد مجمع دينى فى سنة ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م اتفق فيه الامبراطور البيزنطى والبابا يوجين الرابع على توحيد الكنيستين ، وعلى مبدأ ارسال حملة صليبية جديدة يكون هدفها المقدس اخراج الأتراك العثمانيين من الأراضى الأوربية ، وتخليص القسطنطينية من الخطر الاسلامى المباشر ،

---

(١) عبد القادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٣ ،
Cam. Med. Hist., Vol. 4, pp. 621 - 2622.

الذى أصبح يهددها بعد ذلك التوغل العميق للقوات العثمانية الاسلامية فى البلقان ، حتى أصبحت القسطنطينية مثل جزيرة شبه معزولة ، يحيط بها من كل ناحية موج متلاطم من العثمانيين المسلمين . وقد كان هذا الاتفاق حدثا فريدا ، لأن مابين الكنيستين من خلاف حاد وصل الى اتهام كل منهما بكفر أتباع الأخرى ، واعتبارها خارجة على تعاليم المسيحية . (١)

واستنكر معظم رجال الكنيسة الأرثوذكسية من البيزنطيين ذلك الاتحاد المتوقع ، كما أثار احتجاجات الدول السلافية ، وخاصة روسيا التى رأى رجال الدين فيها أن موافقة بطريرك القسطنطينية على الوحدة الكنسية خيانة للمعتقد الصحيح ، رغم أن ثمن هذه الوحدة الكنسية هو المساعدة العسكرية للامبراطور البيزنطى . (٢) وأصبح موقف الامبراطور البيزنطى حنا الثامن حيال هذه المقاومة ضد وحدة الكنيستين أشد سوءا منه قبل التفكير فيها ، لأنه وجد نفسه لا يستطيع الاعتماد على ولاء رعاياه أو مساعدة الغرب المسيحى الأوربى . (٣)

---

(١) هسى ، العالم البيزنطى ، ص ٢٢٥ ، سعيد عاشور ، أوربا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٦٤٣ ، نوار الشعوب الاسلامية ، ص ٤١ ،

Cam. Med. Hist., Vol. 4., pp. 621-622.

(٢) عبدالقادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٣

Vasiliev: op. cit., pp. 370 - 372.

(٣) هسى ، نفس المرجع ، ص ٢٢٥ .

أما الدعوة الى الحلف العسكرى الصليبى فقد لقيت استجابة سريعة ضد الاسلام المنتصر . وتكون حلف صليبى كبير باركه البابا، وشمل هذا الحلف البابوية رأس الصليبية الحاقدة على العثمانيين المسلمين ، والمجر ، وبولندا ، والصرب ، وبلاد الافلاخ ، (ولاشيا) وجنوه ، والبندقية ، والامبراطورية البيزنطية ، ودوقية برجنديا ، وكذلك انضمت الى الحلف كتائب من الألمان والتشيك ، كل هذا اجتمع ليضرب الدين الاسلامى متمثلا فى الأتراك العثمانيين الذين هددوهم فى عقر دارهم ، ونشروا الاسلام بين ربوعهم .

وأبحر الى مياه الدردنيل أسطول من السفن الفلمنكية ، وسفن جمهورية البندقية لتمنع انتقال العثمانيين من الأناضول الى أوربا . وبرز على سطح الحوادث قائد مجرى مشهور هو حنا هنيادى Jean Hunyade وهو الذى أعطيت له قيادة هذا الحلف الصليبى . وكان من القواد الذين اشتركوا معه ياجلون (Jagellon) ملك بولونيا ، ولادسيلاس Ladislas ملك المجر الجديد . (١)

كانت المعركة الأولى بين القائد الصليبى هنيادى ، والجيوش العثمانية هى معركة هرمانشتاد Hermanstad سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م حيث

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٦ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٣١ ـ ٦٣٢ .

أسرع الصليبيون الى نجدة المدينة ، واستطاعوا رد القوات العثمانية المحاصرة لمدينة هرمانشتاد وقتلوا منهم ٢٠٫٠٠٠ عشرين ألفا منهم قائدهم العثمانى شهاب الدين ، وأرغموا الباقين من العثمانيين الى التقهقر خلف نهر الدانوب. ولما علم السلطان بالنبأ أرسل جيشا آخر بقيادة شاهين باشا ، ولكن هنيادى وجنوده استبسلوا حتى هزموا الجيش العثمانى المسلم ، ووقع شاهين باشا أسيرا فى معركة قرب بلدة يقال لها وازاج أو فاساج (Vasage) (١) سنة ٨٤٦ هـ / سنة ١٤٤٢ م ، وأبيد فى هاتين الهزيمتين جيشان عثمانيان.

وكان السلطان مراد الثانى أثناء هذه المعارك مشغولا بمحاربة ابراهيم أمير بلاد كرميان ، وحين فرغ السلطان مراد الثانى منه ، كان المجريون بقيادة هنيادى قد أحرزوا هذه الانتصارات واتفقوا مع الصربيين على محاربة العثمانيين.

وحين توجه السلطان مراد الثانى لملاقاتهم جهة بلغراد تقهقر المجريون وحلفاؤهم ، ولكنها كانت خدعة صليبية ، فبينما كانت جيوشهم آخذة فى التقهقر ، والعثمانيون يتعقبونهم فاذا بهم فجأة يرتدون كارين على جيوش السلطان الذين كانوا يسيرون خلفهم فى مضيق " نيش ". وقد كانت القوة

---

(١) شاكر الحنبلى ، التاريخ العثمانى ، ص ٣٣ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٣٢ ، Creasy: op. cit., p. 64. ; Miller: The Balkans, pp. 293-294.

الرئيسية الصليبية فى هذه المعارك مكونة من الهنغاريين والصربيين والولاشيين والألمان. وقامت هذه القوات الصليبية بعبور الدانوب قرب سمنــــــدرا (Semendra)[1] ، وقام هنيادى على رأس ١٢٠٠٠ اثنا عشـــر ألفا من الفرسان المختارين واندفع بهم قرب حوائط " نيس " Nissa ، وتبعه الملك لاديسلاس ، والكاردينال جوليان ليصحبهم البولنديون ، وجزء من القوات الهنغارية ، وصليميو ايطاليا. (٢)

وفى سنة ٨٤٧ هـ / ٣ من نوفمبر سنة ١٤٤٣ م أحرز هنيادى انتصـاره على السلطان مراد الثانى عند شاطئ نهر المورافا Morava قرب نيس ، وهزم الجيش العثمانى الكبير ، وتشتت فى البلقان بعد أن خسر تسعة ألويــة و ٤٠٠٠ أربعة آلاف أسير ، وعدة آلاف من القتلى. (٣) وظل هنيـــادى يتعقب فلول الجيش العثمانى الى ما وراء جبال البلقان ، واستولى فى طريقه على مدينة صوفيا التى هيأت له الاستعداد لعبور البلقان ، والتقـــــــدم

---

(1) Creasy: op. cit., p. 64.

(٢) سرهنك ، حقائق الأخبار ، جـ ١ ، ص ٥٠٣ ، شاكر الحنبلى ، التاريخ العثمانى ، ص ٣٣ ، نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص ٤١ ، المازنى ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١ .

(٣) يوسف آصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٤١ ، Creasy: op. cit., p. 64. ; Dielh: History of the Byzantine Empire, p. 164.

الى فيلبوبوليس Philippoplis ،(١)

وكان هناك ممران واعران خلال جبال البلقان الشاقة ، وكان لهما مدخلان فى الشمال قريب أحدهما من الآخر يسمى الغربى منهما مضيق سلوردبندن (Soulourderbend) والآخر شرقا ويسمى اسلادى Isladi أو Slatiza ، وهما يصلان عبر البلقان الى طريق من صوفيا الى " فيلبوبوليس " . وقد لجأ العثمانيون الذين يطاردهم هنيادى الى الدفاع عن هذين الممرين باغلاقهما بأكوام من الصخور . ولما رأوا المجريين يتقدمون صبوا الماء خلال الليل من على منحدرات الجبال ، وأدى ذلك الى أن يتكون فيها عند الصباح حائط من الجليد أمام زحف المسيحيين . ولم يعبأ هنيادى بهذه العوائق ولا السهام التى كانت تصب عليهم من العثمانيين المسلمين المتحصنين خلفها ، وأخذ يحمس جنوده بالنداء ويحثهم على تسلق الصخور عبر الممر الغربى الى أن وصلوا الى مكان آمن . وهناك تراجع المجريون لكى يعبروا من الممر الشرقى الذى كان أقل تحصينا . (٢)

---

(١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، Creasy: op. cit., p. 65.
Miller: op. cit., pp. 293-294.
وفيلبوبوليس : أى مدينة فيليب نسبة الى مؤسسها فيليب والد الاسكندر الأكبر وهى عاصمة الروملى الشرقية . (أنظر ، محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٤٥) .
(٢) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٤١-٤٢ ، Creasy: op. cit., p. 66.

وهناك قضت قوات هنيادى بقية الشتاء تشق طريقها تحت وابل من سهام المسلمين في ذلك البرد القارس ، ولكنهم استطاعوا في النهاية أن يحققوا نصرا على العثمانيين وأن يحتفلوا بعيد ميلاد سنة ١٤٤٣ م على تلك السهول الثلجية عند الطرف الجنوبى للبلقان . وقد هلل الغرب المسيحى الحاقد لهذا النجاح ، كما بارك البابا يوجين الرابع تلك الجهود . (١)

ومن الواضح أنه لم يكن في مقدور هذا التحالف الصليبى وعلى رأسه البابا ، والقائد المجرى هنيادى أن يوقع هذه الهزائم المتعاقبة بالعثمانيين الا في ظروف غير مواتية تمر بها السلطنة ، فقد كان العثمانيون مشتتى القوى لانشغالهم باخماد الفتنة التى أثارها وتزعمها اسكندر بك في ألبانيا . فقد انتهز اسكندر بك فرصة اشتغال السلطان مراد الثانى وجيوشه بمواجهة التحالف الصليبى ، واستطاع أن يثير زعماء شمال ألبانيا بهدف طرد العثمانيين منها . وقد ظلت فتنة اسكندر بك حتى بعد استعادة مراد الثانى لهيبته بانتصاراته في فارنا (Varna) وارنه ولم يخمد حركته الا السلطان محمد الفاتح فيما بعد . (٢)

---

(١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، سعيد عاشور ، أوربا ، ج ١ ص ٦٤٣
Lodge: op. cit., pp. 507-508; Creasy: op. cit., pp. 65-66.

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٨ .
Creasy: op. cit., pp. 62-63.

أزعج السلطان مراد الثانى توالى الهزائم على قواته العثمانية ، فى أوربا ، والحلف الصليبى القوى الذى قام ضده هناك . واضطر العثمانيون — لأول مرة فى تاريخهم الحافل بالأمجاد — أن يطلبوا الصلح . وجرت مفاوضات طويلة انتهت بتوقيع معاهدة فى مدينة سيزيجيدين Szegedin فى ٢٦ من ربيع الأول سنة ٨٤٨ هـ الموافق ١٢ من يولية سنة ١٤٤٤ م والتى تنص على قيام هدنة مع المجر لمدة عشر سنوات . وبمقتضى هذه المعاهدة تنازل السلطان مراد الثانى عن كل ادعاء له فى الصرب مع اعترافه بجورج برانكوفيتش بوصفه حاكمها المستقل ، كما سلمت ولاشيا الى المجر ، ودفع السلطان مراد الثانى ستين ألف من الدوكات الذهبية فدية لزوج أخته محمود تكليبى الذى كان قائد الجيش العثمانى ضد هنيادى وأسر فى المعركة ، وكتبت هذه المعاهدة باللغة الهنغارية واللغة التركية . (١)

وأقسم لادسيلاس ملك المجر على الانجيل ، كما أقسم السلطان العثمانى مراد الثانى على القرآن على احترام الهدنة . وقام السلطان من جانبه بتنفيذ المعاهدة ، وعاد كسير النفس محزونا . وصادف ذلك وفاة ابنه الأكبر علاء الدين فزهد فى الملك وآثر العزلة والتقشف ، فتنازل

---

(١) سوريال عطية ، نفس المرجع ، ص ١٠٢ ، محمد فريد ، نفس المرجع ، ص ٥٧ ، عبد القادر اليوسف ، نفس المرجع ، ص ١٨٣ ،
Creasy: op. cit., p. 66.

عن الملك لولده محمد الثانى الذى كان يبلغ من العمر آنذاك أربعة عشر عاما وسافر هو الى مغنيسيا فى آسيا الصغرى حيث اعتزل الحياة العامة.(١)

لم تمض أسابيع قليلة على توقيع المعاهدة بين العثمانيين والصليبيين حتى طلب البابا والامبراطور البيزنطى من ملك المجر ومستشاريه أن يقسموا على نقض القسم الذى أعطوه للسلطان العثمانى مراد الثانى . وأعلن الكاردينال جوليان الذى كان يتكلم باسم البابا أنه لا يجوز التمسك بقسم أعطى للكفرة غير المسيحيين ويقصد بذلك العثمانيين ، ولكن القائد هنيادى قاوم بشدة محاولات نقض الهدنة . ولكنه سرعان ما نسى مبادئ الفروسية ووافق على الاشتراك فى هذا الغدر الصليبى ، حينما لوحوا له بأنه سيصبح ملكا على بلغاريا عندما يطرد منها الأتراك العثمانيون . كما أوهموه بأنه ليس مقيدا بأى شرط من شروط معاهدة سيزيجيدين حيث أنه لم يوقع عليها ، ولم يشترك فى آداء اليمين على احترام أحكامها .(٢) لكنه طلب منهم تأجيل نقض الهدنة الى جمادى الأولى سنة ٨٤٨ هـ الموافق أول سبتمبر سنة ١٤٤٤م حتى يتحقق للقوات المتحالفة السيطرة على الصرب حينما يتم انسحاب

---

(١) شاكر الحنبلى ، التاريخ العثمانى ، ص ٣٣-٣٤ ، هسى ، العالم البيزنطى ، ص ٢٢٥ ، الشناوى ، نفس المرجع ص ٦٣٣ .
(٢)محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٧ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ص ٣٨ ، نوار ، نفس المرجع ،ص ٤٣.
الشناوى ، نفس المرجع ، ص٦٣٣ ، فيشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق٢ ، ص ٤٥٦ ،؛ Creasy: op. cit., p. 68.

العثمانيين منها طبقا لشروط المعاهدة ، وهذا وحده كسب كبير لهم . وكان العثمانيون فعلا صادقين فلقد أقسموا على القرآن الكريم أن يصدقوا في تطبيق المعاهدة ، وأخذوا بالفعل يجلون عن الصرب .

وفي الموعد الذي حدده هنيادي أول سبتمبر سنة ١٤٤٤ م سار الملك لادسيلاس والمندوب البابوي الكاردينال جوليان ، وهنيادي وفاجأوا العثمانيين ، وقد حركوا معهم جيشا كثيفا من البولنديين والمجريين يحفزهم على ذلك استهانتهم بالسلطان الصغير محمد الثاني بن مراد الثاني ، وظنهم أن السلطان محمد الثاني لن يستطيع تدبير الأمور لدفعهم ، أو كسر شوكتهم الصليبية واطمأنوا الى ابتعاد السلطان مراد الثاني عن الحياة السياسية ، والعسكرية ، واعتزاله في مغنيسيا . وتقدم الصليبيون الى ولاشيا وهناك انضم اليهم أميرها دراكول مع قواته . وأخذ الجيش المسيحي الواثق من نفسه ، المغرور المطمئن الى ضعف خصومه ، يعبر نهر الدانوب وهو ممتلىء ثقة بالفوز والغلبة . وساروا عبر بلغاريا حتى وصلوا الى البحر الأسود . وهناك ابتدأوا يتحركون الى الجنوب على طول الشاطىء ، حيث دمروا التحصينات عند كوندجك (Koundjik) . وساعدتهم المفاجأة وعدم توقع العثمانيين للخيانة فاستسلمت لهم حصون كثيرة . (١) وكذلك هاجموا

---

(١) شاكر الحنبلي ، التاريخ العثماني ، ص ٣٤ ، الشناوي ، نفس المرجع ص ٦٣٤ .

تحصينات سانيوم (Sunnuim) وبرش (Perech) وأبيدت الحاميات العثمانية فى هذه الأماكن . وواصلوا زحفهم بعد ذلك على كافارونا (Kavarna) واستولوا عليها ، ثم وصلوا الى مدينة فارنا (Varna) وارنه الشهيرة وفرضوا عليها الحصار. وظلوا يشددون عليها حتى استسلمت للقائد هنيادى. (١)

وكان امتلاك التحالف المسيحى الصليبى الحاقد لمدينة وارنه هو قمة النجاح الذى حققوه ضد الامبراطورية العثمانية الاسلامية فى أوربا ، ونهاية المد الذى وصلت اليه انتصارات هنيادى. (٢) ولقد عسكر الصليبيون المنتصرون بالقرب من وارنه التى استسلمت لهم ، وظنوا أن الأمور ستجرى كما يشتهون .

وفى الجانب الآخر نجد وزراء الدولة العثمانية قد أحسوا بهذا التدهور الحاد فى موقف الجيوش الاسلامية العثمانية ، فاتجهوا الى السلطان مراد الثانى حيث كان يعتزل الناس فى مغنيسيا ، وأبلغوه بهذه الأنباء المزعجة وطلبوا اليه العودة ليمسك زمام السلطة من جديد ، لانقاذ الدولة من

---

(١) يوسف آصاف ، نفس المرجع ، ص ٤١ ، Creasy: op. cit., p. 68.

(٢) سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٠٤ ، Creasy: op. cit., p. 69.

الانهيار أمام المد الصليبي الزاحف من شواطئ البحر الأسود ، والخطر الكبير الذى يوشك أن يستأصل دولة الاسلام من عدوة أوربا . ولم يجد الرجل بدا من أن يستجيب الى وزرائه ، وينهض للأمر الذى ندبوه له فترك عزلته وعاد يتولى زمام الأمور ، وأنعشت هذه العودة آمال الجنود فى أن تعود أيام النصر المشرقة . (١)

وشكل السلطان مراد الثانى جيشا كبيرا ، وثارت حمية السلطان لنقض أعدائه وأعداء الدين الاسلامى عهودهم ، واستهانتهم بالقسم الذى أقسموه ، وأعطاه ذلك قوة واندفاعا ، فتقدم ومعه أحسن المقاتلين فى آسيا التركية حيث حملهم الجنويون على سفنهم وكان عددهم ٤٠,٠٠٠ أربعين ألفا (٢) على رأسهم السلطان العثمانى مراد الثانى بنفسه ، وعبروا البوسفور مقابل أجر أخذه الجنويون وذلك للتمويه على الأسطول البابوى الذى كان يقوم بدورياته فى مياه البوسفور . (٣)

---

(١) نوار ، نفس المرجع ، ص٤٣ ، ٤٤ ، سوريال عطية ، نفس المرجع ، ص ١٠٣ ، زينى دحلان ، الفتوحات الاسلامية ، ص ٧٥ ، المازنى ، نفس المرجع ، ص ٢٢.

(٢) الفاخورى ، تحفة الأنام ، ص ٢٠٦ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص٦٣٤
Creasy: op. cit., pp. 68 - 69.

(٣) سوريال عطية ، نفس المرجع ، ص١٠٣ ، الوشيدى ، نفس المرجع ، ص ٤٥ ،
Creasy: op. cit., p. 68.

وفوجئت الجيوش الصليبية بالأخبار المزعجة لهم، وانهم الآن على مقربة من جيش عثمانى مسلم عبر اليهم البوسفور من حيث لا يعلمون ، وانهم لا يواجهون الآن تدبير الصبى محمد الثانى ، وانما عاد اليهم الرجل المحنك مراد الثانى مرة أخرى ، وان هذا الجيش الغاضب لخيانتهم ، وغدرهم يسعى اليهم مسرعا ، وأنه أصبح الآن على بعد أربعة أميال من وارنه .(١)

وساعد الجيش العثمانى عامل آخر ، فقد كان المتوقع أن الجيش الصليبى وهو يزحف صوب الجنوب سيجد نفسه بين أرض مسالمة ، وشعب مسيحى يرحب بهم ، ولكن سوء تصرف هذا الجيش ، وحدة التعصب المذهبى أفسدت عليه هذه الميزة ، لأنه عامل بقسوة وشراسة بعض القوى المسيحية التى قاومته ، واستمرأ السلب والنهب وهو فى طريقه جنوبا .(٢) ومضت تسبق زحف الجيش الصليبى تلك السمعة السيئة وتلك الأخبار المروعة عن التدمير والتخريب ، مما جعل طريقه الى الجنوب محفوفا بالأشواك . وكان الجيش الصليبى نفسه يحمل فى ذاته عوامل مدمرة ساعدت على انهاء أيام زهوه وانتصاراته ، فمع روح الغدر ، ورذيلة القسوة كانت أحقاد القادة وحسد بعضهم لبعض واضحة ، وكانت الخلافات بين قيادات الجيش الصليبى

---

(١) فيشر ، نفس المرجع ، ق ٢ ، ص٤٥٦ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص٦٣٤ ،
Creasy: op. cit., p. 69.

(٢) شاكر الحنبلى ، نفس المرجع ، ص ٣٤ ، زيادة ، دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ ، نوار ، نفس المرجع ، ص ٤٤.

تزداد عمقا مرحلة بعد مرحلة ، والخلافات الجوهرية تطـل برأسها مع كـل موقف حول الخطة التى يجب أن تنفذ ضد العثمانيين •

كان هنيادى يدعو الى شن حرب هجومية فى حين كان قائد آخر هـو فلاد دراكيل (Vlad - Dracul) يفت فى عضد المقاتليـن الأوربيين ، ويدعو الى تأجيل الحملة الى السنة القادمة حتى يتمكن مـن اعداد حملة تكون أكثر عددا ، وأقوى تسليحا وتماسكا ، الا أن وجهة نظـر هنيادى هى التى تغلبت • (١) وكان هناك فى نفس الوقت من يحسـد هنيادى على ما حصل عليه من صيت وشهرة ، وتناقل عن بطولته وشجاعته حتى أصبح بطلا شعبيا ، فكان هناك من يسعى الى أن يحل محله فى زعامة الحركة الصليبية الجديدة ، ويأمل أن يقترن النصر المرتقب باسمه هو شخصيـا لا باسم هنيادى • (٢) وكان من بين هؤلاء الحاقدين المنافسين لادسيـلاس ملك المجر الذى كان يصر بأى شكل من الأشكال على أن يكون هذا النصـر باسمه هو ولكن دون أن يعلن الخروج على هنيادى •

---

(١) نوار ، الشعوب ، ص ٤٤ •

(٢) سرهنك ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص٥٠٤ ، بروكلمان ، نفس المرجـع ، ج ٣ ، ص ٣٩ ، بولجير ، تاريخ العالم ، المجلد ٥ ، ص ٦٠٥ •

عرفنا من قبل أن العثمانيين قد التزموا بكلمتهم ، ووفوا بعهدهم ، وانسحبوا من صربيا ، وانتهزها هنيادى فرصة وقام بالهجوم على بلغاريا بجيش مكون من عشرة آلاف ، حتى حاصر وارنه ، وانضم اليه فلاد (Vlad) حاكم ولاشيا بقوة بلغت خمسة آلاف مقاتل. وكان هذا الحاكم يسخر من قلة عدد الحملة الصليبية قائلا " ان حاشية السلطان التى تخرج معه للصيد أكثر من هذه الحملة الصليبية ".

ومع ذلك فان هذه القوة الصليبية كان على رأسها حشد من القادة والحكام ورجال الدين منهم ملك المجر لاسيلاس ، وحاكم ولاشيا ، والقائد هنيادى ، والقاصد الرسولى واثنان من الأساقفة . وأخيرا وصل السلطان مراد الثانى بجيش عثمانى قوامه أربعون ألفا حتى أصبح فى مواجهة الجيش الصليبى. ووقع الاشتباك فى ٢٨ من رجب سنة ٨٤٨ هـ الموافق التاسع من نوفمبر سنة ١٤٤٤ م . (١)

وكانت الطريقة التى عبأ بها هنيادى قواته تدل على ثقته الكبيرة المغروسة فى نفسه . فانه رفض النصيحة التى أبداها بعض مستشاريه العسكريين بأن يعمل تحصينات حول معسكرهم ، وينتظر حتى يهجم السلطان مراد الثانى.

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٦٣٤ ، الرشيدى ، نفس المرجع ، ص ٤٥ ــ ٤٦ ، نوار ، نفس المرجع ، ص ٤٥ ،
Diehl: op. cit., p. 164.

ولكنه أصر على المبادرة بالتقدم نحو عدوه (١). في حين أن السلطان مراد الثانى أقام بعناية تامة خندقا عميقا حول معسكره واتخذ التحصينات اللازمة. وكان الجناح الأيسر المسيحى يتكون بصفة رئيسية من قوات ولاشية ، وفى الجناح الأيمن أحسن القوات الهنغارية ، ومعهم أيضا صليبيوا الفرنجة تحت قيادة جوليان. وكان الملك لاسيلاس فى الوسط مع حرسه الملكى ، وكثير من النبلاء. أما المؤخرة فكانت من البولنديين بقيادة أسقف بيتروارديـن ، وتولى هنيادى القيادة العامة للجيش كله . (٢)

أما فى الجانب العثمانى فقد كان الصفان الأولان يتكونان من الفرسان ، وقوات غير نظامية — وكان بيلر بك حاكم الروميلى(٣) يقود الميمنة وبيلر بك آخر هو حاكم أنطوليا يتولى الميسرة ، ومن خلف هذه الصفوف اتخذ السلطان موقعه مع قواته ، والفرسان النظاميين من حرسه . وعلقت صورة من

---

(1) Creasy: op. cit., p. 69.
(2) Creasy: op. cit., p. 69.
(٣) الروميلى : أوروميليا : يطلق الاسم روم ايلى (أى بلاد الرومان Romans) بمعناها الأخص على الولاية نفسها التى تحمل هذا الاسم ، وهى تضم تراقيا ، ومقدونيا ، أى المنطقة التى تحد شمالا بالبلقان ، وشرقا بالبحر الأسود والبوسفور ، وجنوبا ببحر مرمرة وبحر ايجه المعروف بالبحر المتوسط ، ثم بسلسلة جبال أوليمبوس ، وتحد غربا بجبال بندوس Pindos وبارنوس Barnos وشاردانج (شاربلانينا) وهى المنطقة التى تضم الممتلكات السابقة لتراقيا ، وبلغاريا ومقدونيا والصرب والبانيا (أنظر دائرة المعارف الاسلامية ، الروميلى ، المجلد ١٠)

المعاهدة التى نقضت على سارية عالية تتقدم صفوف العثمانيين لتكون شاهدا على خيانة هؤلاء الغادرين ٠ وقد بدت المعركة فى ظاهر الأمر وكأنها ستنتهى بانتصار حاسم للمسيحيين ٠ (١)

وأجرى هنيادى تنظيمات فى توزيع الجيش تتسم بالحيطة ، والحذر الشديدين ٠ وطلب الى الملك لادسيلاس مشددا ألا يغادر موقعه المعين له ، الا عندما يعطيه الاشارة ٠ وفى الوقت نفسه بدأ هنيادى عملياته بطريقته الخاصة ، وأحرز تقدما كبيرا حيث قاد الميمنة ، وهاجم القوات الآسيوية بشدة ، واكتسح صفوفها ، وأجلاهم عن مواقعهم ، وكذلك الجناح الآخر الصليبى تحرك فيه الولاشيون مهاجمين فرسان غرب روميليا (AZABS Roumelia) ٠ وحصلوا على نجاح مباشر فى هجومهم ٠ (٢) ولكن الملك لادسيلاسى الحاسد الحاقد الذى اعتقد أن الفوز قد لاح ، والنصر أصبح مضمونا ، خشى أن يحرم من هذا الفخار ، فأمر فرسانه بالهجوم من القلب فتراجعت القوات العثمانية التى كانت فى مواجهتهم وانساقوا وراءها يوالون هجومهم ٠ وبهذا تكون جميع فرق الصليبيين قد حققت أول المعركة انتصارا سريعا مرحليا ٠ ولكن تكتيك العثمانيين كان يعتمد على حدة الهجوم ، وعلى

---

(١) فيشر ، نفس المرجع ، ق ٢ ، ص ٤٥٦ ، نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص ٤٥
Creasy: op. cit., p. 69.

(٢) بولجير ، تاريخ العالم ، م ٥ ، ص ٦٠٥ ، الصوفى ، تاريخ دول الاسلام ، ج ٣ ، ص ١٠٤ ،
Creasy: op. cit., p. 70.

القوات الانكشارية التى كانت تحصيناتها عند المرتفعات الواقعة شمال المدينة. واندفع لادسيلاس وفرسانه فى هجوم عنيف قاصدا الهجوم على السلطان مراد الثانى نفسه الذى كان واقفا على تل مرتفع يعطى الأوامر لجيشه فاذا به يصطدم بالقوات الانكشارية الهائلة . وهنا أطبقت الجيوش العثمانية الاسلامية على لادسيلاس وجنوده وأبيدت القوات المجرية . وقاتل الملك لادسيلاس حتى سقط عن فرسه ، وقتله الجنود العثمانيون لحنقهم عليه بسبب غدره ، ونقضه للمعاهدة ، ورفعوا رأسه على عمود الى جوار صورة المعاهدة التى نقضها [1] ودب الرعب والفزع فى قلوب من بقى من الجنود وفروا هاربين تأخذهم سيوف العثمانيين فى كل مكان . وصار هنيادى قائد الصليبيين يجمع فلول العساكر ، ويحرضهم على الرجوع ، والثبات ، فلم ينجح فى ذلك لأن الرعب كان قد استولى على قلوبهم ، وقتل منهم فى ذلك اليوم ما يزيد على عشرة آلاف . وغنمت القوات العثمانية فى هذه المعركة (وارنة) غنائم لا تحصى ، وكان ذلك فى ٢٨ من رجب سنة ٨٤٨ هـ / التاسع أو الثانى عشر من نوفمبر سنة ١٤٤٤ م. [2]

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص٥٠٤ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢٥٢ ، يوسف آصاف ، نفس المرجع ، ص ٤٢.

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٣ ، ص ٣٨ ـ ٣٩ ، سوريال عطية ، نفس المرجع ، ص١٠٣ ، كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٢٦

Atiya: The Crusade in the later Middle Ages, p. 467. ;
Shaw: History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol. I, pp. 51 - 52.

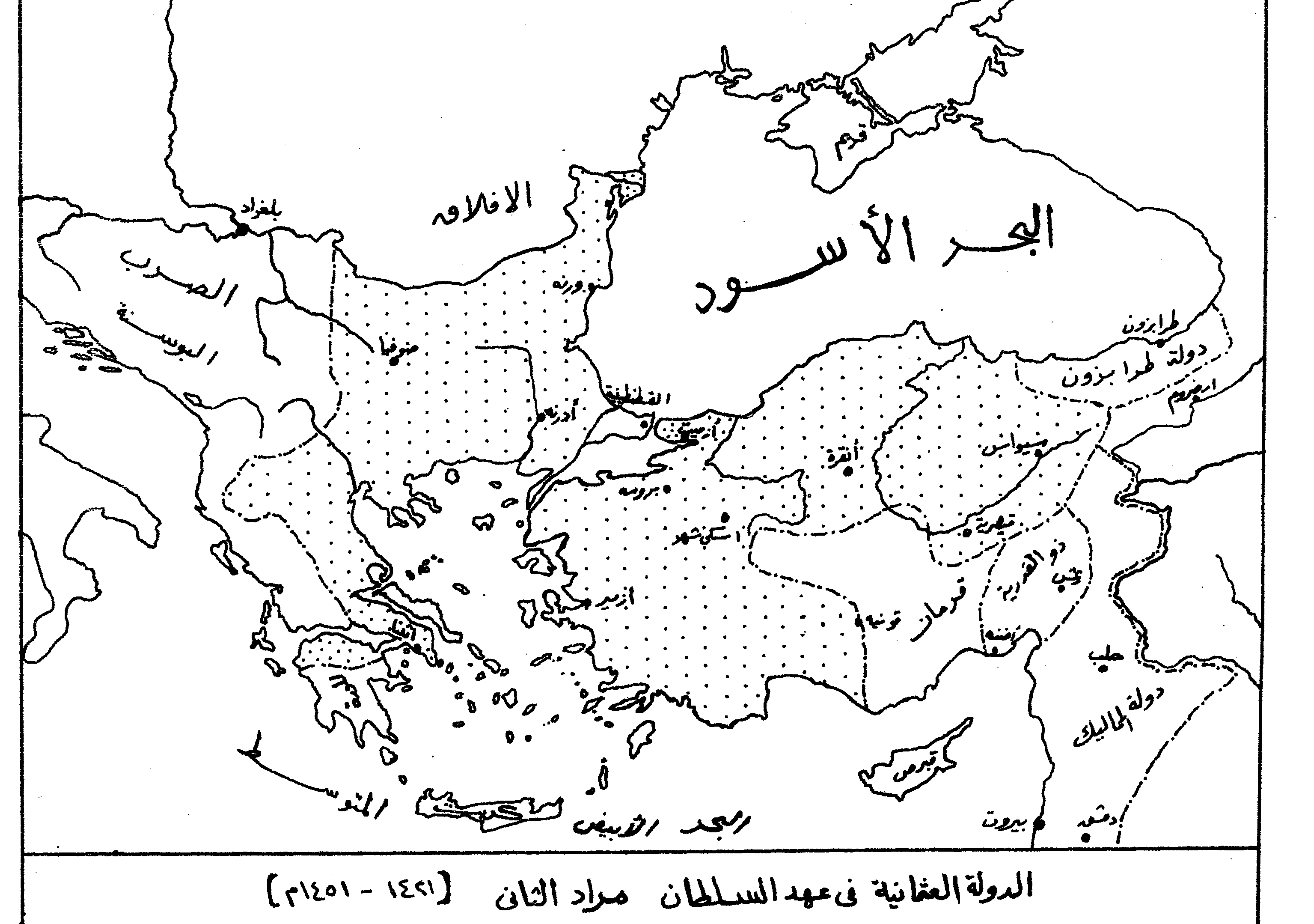
وبهذه النهاية ملأ الرعب قلوب النبلاء المجريين ، وولى القلب كله هاربا فى فوضى ، وفشل هنيادى فى زحزحة القوات العثمانية المسلمة — وأخيرا فر هنيادى مع بقايا قواته ، ومع الولاشيين الذين تجمعوا حوله (١) . أما المجريون الذين كانوا يمثلون المؤخرة ، فقد استسلموا مع قادتهم . وقتل غير ملك المجر الكاردينال جوليان المبعوث البابوى والذى كان السبب المباشر فى نقض معاهدة (سيزيجيدين) . ولم تسبب هذه الهزيمة تدمير المجر مباشرة ، ولكنها كانت قاسية على السلافيين جيران العثمانيين ، والذين كانوا قد انضموا الى ملك هنغاريا .

واكتسح العثمانيون مرة أخرى كلا من الصرب ، والبوسنة (٢) ، وكان سكان الصرب ، والبوسنة يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية ، ولهذا كانوا يعاملون من اخوانهم مسيحى المجر وبولندا الذين كانوا يتبعون الكنيسة الكاثوليكية — معاملة سيئة ، وينظرون اليهم كما ينظرون أيضا الى الكنيسة البيزنطية نظرتهم الى الهرطقة . وتحكى المصادر الصربية أن جورج برنكوفيتش سأل مرة هنيادى عما سيتبعه من الناحية الدينية اذا تحقق له النصر ، فأجابه هنيادى بأنه

---

(١) بولجير ، تاريخ العالم ، م ٥ ، ص ٦٠٥ ، سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٠٣ ، اليوسف ، نفس المرجع ، ص ١٨٣ ،
Cam. Med. Hist. Vol. 8, p. 577.

(٢) أحمد شلبى ، نفس المرجع ، ص ٨٨ ، ٤ ،
Creasy: op. cit., pp. 70 - 71.



الدولة العثمانية فى عهد السلطان مراد الثانى [١٤٢١ - ١٤٥١م]

سيجبر الجميع على اتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وانه أيضا وجه نفس السؤال للسلطان مراد الثانى فأجابه بأنه سيبنى بجوار كل مسجد كنيسة ، وسيترك للناس حرية اتباع عقائدهم. (١)

وهذا يوضح تماما أن المسلمين ماكانوا يعمدون الى اكراه الناس على اعتناق الاسلام . وهذه الصفات التى اتصف بها السلطان مراد الثانى من السمو بالمعانى الانسانية ، وروح التسامح الكريمة التى أملاها عليه دينه ، وعقيدته كانت سببا فى جذب قلوب المسيحيين وتعلقهم بالدولة العثمانية الاسلامية بعد مقارنتهم بين ما أعلنه هنيادى وبين ما أبداه السلطان مراد الثانى من التسامح الدينى . فلا غرابة اذ كان النصر دائما فى جانب العثمانيين المسلمين ضد المسيحيين المتعصبين ، ولا غرابة أيضا أن يزوج أمير الصرب جورج برانكوفيتش ابنته للسلطان مراد الثانى والتى تدعى مارا Mara بعد أن لمس فى السلطان روح التسامح الدينى وكانت هذه الزيجة سببا فى توثيق التحالف بين الدولة العثمانية وبين الصرب التى رفضت تقديم أية مساعدة للقائد هنيادى حينما حاول أن يثأر لهزيمته فى وارنه سنة ١٤٤٨م (٢)

---

(1) Creasy: op. cit., pp. 70 - 71 - 72. (١)

(٢) الشناوى ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٦٣٥ ، توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٢٣.

وقضى الانتصار الرائع الذى حققه السلطان مراد الثانى على الصليبيين فى معركة وارنه سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م على آخر آمال الغرب الأوربى الصليبى فى انقاذ الدولة البيزنطية من الانهيار التام وأدى الى السقوط المخزى للقسطنطينية فى يد السلطان محمد الفاتح بعد ذلك بتسع سنوات تقريبا .

وقد أراد السلطان مراد الثانى أن يعود مرة أخرى الى عزلته لكنه لم يكد يفعل ذلك حتى ثار الانكشارية فى أدرنه سنة ٨٤٩ هـ / سنة ١٤٤٥ م ، فرأى السلطان مراد الثانى أن ابنه محمد الثانى أصغر من أن يقبض على زمام الموقف (١) فعاد السلطان مرة أخرى ، واستطاع القبض على زمام الأمر وخضع له الانكشارية. وواصل السلطان مراد الثانى حركة الجهاد الاسلامى بادئا ببلاد اليونان وذلك بعد أن قضى على كل بارقة أمل للغرب الصليبى فى انقاذ الامبراطورية البيزنطية الآيلة للسقوط فى أيدى المسلمين المجاهدين .

عاود السلطان مراد الثانى الجهاد الاسلامى مرة أخرى بادئا ببلاد اليونان حيث كان يحكم أثينا فى ذلك الحين دوق فلورنسى يدعى نيريو اكسييفولى (Nerio Acciaivali) وكان يدفع الجزية للدولة العثمانية . فلما شغل السلطان مراد الثانى بحروبه ضد التحالف الصليبى انتهز قسطنطين حاكم الموره

---

(١) زينى دحلان الفتوحات الاسلامية ، ص٧٦ ، محمد فريد ، نفس المرجع ، ص ٥٧ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٣٤.

وأخو الامبراطور البيزنطى هذه الفرصة فتعدى على هذا الدوق وطرده من امارته ، وشيد سورا ضخما على برزخ كورنثه بمعونة أخيه توماس ثم استقر فى المورة . (١) ولكن هذا السور لم يعق الجيوش العثمانية الاسلامية ، فلقد سلط عليه السلطان مراد الثانى مدافعه التى أحدثت ثلما فى السور دخلت من خلاله الجيوش الاسلامية العثمانية الى مدينة كورنثه . وبذلك تم فتح المدينة ، وقبل قسطنطين أن يدفع اتاوة سنوية للسلطان وكان ذلك سنة ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م. (٢)

ثم وجه السلطان مراد الثانى جهوده بعد ذلك الى ألبانيا حيث لقى عدوا لدودا كان من مثيرى الفتن فى البلاد العثمانية أثناء حروب السلطان مراد الثانى مع الصليبيين وهذا العدو هو جورج كاستريوتا G. Kastriota الذى اشتهر باسمه الاسلامى اسكندر بك أمير ألبانيا الشمالية . وكان كستريوتسا والد جورج هذا قد سلم الى السلطان مراد الثانى أبناءه الأربعة ليكونوا رهائن عنده ، ومات منهم ثلاثة أطفال وبقى منهم أصغرهم وهو جورج كاستريوتا . وأحبه السلطان مراد حبا عظيما ، وكان يحنو عليه حنو الأب على ابنه . ونشأ جورج كاستريوتا فى القصر العثمانى نشأة اسلامية ، وعنى مراد بتربيته عقليا وجسميا حتى بلغ درجة كبيرة من الثقافة ، ومهر فى ركوب الخيل

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٧ .

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٧ — ٥٨ .

والضرب بالسيف ، وأساليب القتال . وعهد اليه السلطان مراد الثانى بولاية من ولايات الدولة العثمانية ، ولقبه اسكندر بك ، ولما انهزم العثمانيون فى نيش سنة ٨٤٧ هـ / سنة ١٤٤٣ م واضطرب أمرهم اغتنم اسكندر بك هذه الفرصة وأسرع فى الفرار واتبعه ثلثمائة من مواطنيه الألبانيين الذين ناصروه . ووصل اسكندر بك الى كرويا Kruya (آق حصار) (١) وهى حاضرة أسرة كاستريوتا فرحب به الناس على أنه الوالى الجديد من قبل السلطان مراد الثانى . ثم دعا الجيش الألبانى وزعماءه الى حمل السلاح للدفاع عن حرية بلدهم فلبوا نداءه وأجمعوا على اختياره زعيما لهم وقائدا . وأصبح اسكندر بك السيد المطاع فى ألبانيا وارتد عن الاسلام الى النصرانية وأعلن حربا صليبية جديدة على الأتراك العثمانيين . (٢)

وبلغ جيش اسكندر بك اثنين وعشرين ألف رجل . واتخذ كرويا قاعدة لأعماله الحربية . فلما سير السلطان مراد الثانى جيشه بعد ذلك بقيادة على باشا هزمه اسكندر بك شر هزيمة . وحاول السلطان مراد الثانى بعد انتصاره فى معركة وارنه سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م أن يستميل اسكندر بك اليه بالحسنى فكتب اليه يدعوه الى الطاعة ويعده بالعفو فلم يزده ذلك الا تمنعا

---

(١) توماس أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٠٥ ،
(آق حصار) مدينة بألبانيا فى سنجق اسقودره وتسمى اليوم " آقجه حصار "
(أنظر دائرة المعارف الاسلامية مادة آق حصار) .

(٢) محمد فريد ، نفس المرجع ، ص ٥٨ ، الرشيدى ، محمد الفناتح ، ص ٤٩ .

واستكبارا ، واصرارا على الكفر والصليبية . وكتب الى السلطان مراد الثـــانى يرد دعوته ، ولقب نفسه بجندى المسيح ، وأمير الألبانيين والابيروسيين .

وفى سنة ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م خرج السلطان مراد الثانى بنفسه الـى ألبانيا وأمضى فيها نحو ثمانية عشر شهرا . واستطاع برغم ما أظهره اسكنـدر بك ورجاله من البسالة والاستماتة فى القتال أن يستولى على سفيتجـــراد Sfetigrad ودبرا Dibra . (١)

وكان هنيادى منذ هزيمته الأولى فى معركة وارنه لا يهدأ عن التأهـــب والاستعداد لينتقم لنفسه من تلك الهزيمة ، لذلك انتهز هنيادى فرصـــة انشغال السلطان مراد الثانى فى حربه مع اسكندر بك ، فحشد جيشا عظيمـا لقتاله بعد أربع سنوات من هزيمته فى وارنه أى فى أواخر رجب سنة ٨٥٢ هـ/ أواخر سبتمبر سنة ١٤٤٨ م وزحف هنيادى بجيش كبير يتكون من الألمـــان ، وسكان ولاشيا ، وبوهيميا ، والمجر ، وترانسلفانيا ، فلما بلغ ذلك السلطان مراد الثانى غادر ألبانيا من فوره ، وأسرع للقائه . وكان هنيادى قد أدخـل فى تقديراته حينما زحف ليقاتل العثمانيين معاونة الصرب ، والألبانيين لـه ، الا أن شيئا من هذا لم يحدث وذلك لأن الالبانيين كانوا مشغولين بصـــد

---

(١) سرهنك ، حقائق الأخبار ، ص ٥٠٥ ، محمد فريد ، نفس المرجع ، ص ٥٨ .

الحملات التى كانت تبعثها الدولة العثمانية عليها تباعا ، أما الصرب فكـــان السلطان مراد قد تزوج من ابنة أمير الصرب جورج برانكوفيتش فكانت هـــذه الزيجة سببا فى توثيق التحالف بين الدولة العثمانية وبين الصرب الـــتى كانت تود أن تتخلص من حكم المجر • وتقابل الجيشان المسلم والصليـــبى فى سهل قوصوه Kossova • وقبل أن ينشب القتال بين الجيشـــين بعث السلطان مراد الثانى الى هنيادى وفدا ليفاوضه فى العدول عـــن الحرب وسفك الدماء ، ولكن هنيادى أخذته العزة والصلف ، وظن أن هـذا ضعفا وعجزا من السلطان مراد الثانى على الحرب ، وما لبثت المعركة أن نشبت بين الجيشين المجرى والعثمانى الاسلامى فكانت حربا حامية دامية طيلة ثلاثـة أيام كاملة فى شعبان سنة ٨٥٢ هـ / أكتوبر سنة ١٤٤٨ م • وللمرة الثانيـــة شهد سهل قوصوه انتصارا عظيما ساحقا للعثمانيين ، وكانت المرة الأولى فــى عهد السلطان مراد الأول سنة ٧٩١ هـ / سنة ١٣٨٩م• (١)

أما هنيادى فانه عندما لمح بوادر الهزيمة على جيشه انفلت من بين عساكره ولاذ بالفرار ، وهام على وجهه ، وكان من نتيجة هذه الهزيمة القاسية فـــى كوسوفا (قوصوه) الثانية أن فقدت الدولة البيزنطية خاصة والدول الأوربيـــة عامة آخر أمل فى احياء الحروب الصليبية ضد الدولة العثمانية الاسلاميـــة

---

(١) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٥ ، محمد فريد ، الدولة العليـة ، ص ٥٨ ،

الفتية ، وانقاذ الدولة البيزنطية والقسطنطينية من مصيرها المحتوم ، كما أخرجت هذه المعركة بلاد المجر لعشر سنوات على الأقل من عداد الدول التى تستطيع النهوض بعمليات حربية هجومية ضد الدولة العثمانية الاسلامية . وهكذا ضاع أمل الصليبيين الغربيين ومن ورائهم الدولة البيزنطية فى القضاء على الدولة العثمانية الفتية وانقاذ المسيحية الشرقية من الانهيار وذلك بانهيار وسقوط القسطنطينية الذى بات متوقعا بين لحظة وأخرى .

وفى أواخر السنة التالية لمعركة قوصوه الثانية قصد السلطان مراد الثانى ألبانيا سنة ٨٥٣ هـ / سنة ١٤٤٩ م وحاصر كرويا Kruya وقد صحبه فى هذه الحملة ابنه محمد الثانى فأظهر من الهمة والنشاط والجلد ما أكسبه اعجاب جنده . ورغم الجهود العظيمة الجبارة التى بذلها السلطان مراد الثانى فقد امتنعت عليه مدينة كرويا ، وأخذ اسكندر بك كلما جن الليل يرهق الجيش العثمانى بهجمات عنيفة متواصلة . واضطر السلطان مراد الثانى آخر الأمر ان ينسحب بجنوده بعد أن فقد منهم عددا غير قليل ، وعاد الى عاصمته أدرنة ليجهز جيشا جديدا كافيا لقمع هذا الثائر ولكنه توفى فى يوم ٥ المحرم سنة ٨٥٥ هـ / ٩ فبراير سنة ١٤٥١ م . (١) ولاشك أن

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٨ ، سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٠٥ ،
Diehl: op. cit., p. 164.

انتصارات السلطان مراد الثانى فى أوربا قضت على آمال الغرب الأوربـــى فى انقاذ الدولة البيزنطية من قدرها المحتوم الذى كان ينتظرها على أيـدى العثمانيين ٠ وكان على السلطان الجديد محمد الثانى بن مراد الثانـــى أن يحقق حلم المسلمين وأملهم فى القضاء على الدولة البيزنطية والاستيـلاء على عاصمتها القسطنطينية وهو موضوع الفصل الرابع ٠

•• •• ••

الفصل الرابع

السلطان محمد الثانى وفتح القسطنطينية

- أحوال الدولة البيزنطية قبيل حصار العثمانيين للقسطنطينية .
- استعدادات السلطان محمد الثانى لفتح القسطنطينية.
- موقف القوى الأوربية من الفتح العثمانى للقسطنطينية.
- انتصار الإسلام وسقوط القسطنطينية .

قضت معركة وارنه سنة ٨٤٨ هـ/١٤٤٤م على آخر آمال الغروب الأوربى الصليبى فى انقاذ الدوله البيزنطيه من مصيرها المحتوم على أيدى العثمانيين المسلمين . وصمم العثمانيون على فتح القسطنطينيه عاصمة البيزنطيين ، ومعقل المسيحيه فى شرق أوربا بعد أن استعصت هذه المدينة الحصينه على الغزاة الفاتحين منذ عصر صدر الاسلام . فقد شهد القرن الاول الهجرى القرن السابع والثامن الميلادى حملتين كبيرتين لفتح القسطنطينية ، وكانت أولى المحاولات الاسلامية الجادة لغزوها عام ٤٩هـ / ٦٦٩ م ، حيث جهز معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه جيشا عظيما لفتح القسطنطينية ، وكان الجيش بقيادة يزيد بن معاوية ، وخرج معه من الصحابه سفيان بن عوف ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وأبو ايوب الانصارى ، وسار الجيش الاسلامى حتى بلغ القسطنطينية ، واقتتل المسلمون والروم فى بسالة نادرة ، ولكن الجيش الاسلامى لم يتمكن من فتح المدينة ، وتوفى ابو ايوب الانصارى أثناء الحصار ، ودفن تحت اسوار القسطنطينية . وانتهى حصار المسلمين للمدينة بعد فشل الحملة ، ولكن المسلمين ظلوا يحسون بهتاف ابى ايوب الانصارى بهم ، ودعائه لهم بأن يعاودوا الكرة ، حتى لا يظل جثمانه فى ارض العدو . (١) أما الحملة الثانية فكانت فى عهد الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك وذلك سنة ٩٦ هـ سنه ٧١٤ م ، وكان قائدها مسلمة بن عبدالملك بن مروان الذى عرف بالشجاعة

---

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٣٢

والقوة ، ووصلت هذه الحملة الى القسطنطينية وحاصرتها ، ولكنها رغم ذلك لم تحقق هدفها المنشود وباءت الحملة بالفشل بعد ان تفشى المرض بين رجالها . (١)

وهكذا أخفقت جهود المسلمين الاولى فى فتح العاصمة البيزنطية ، ومقر الكنيسة الشرقية الارثوذكسيه ، حتى جاء عهد العثمانيين الذين وضعوا نصب أعينهم فتح القسطنطينية ليحققوا ماعجزت عن تحقيقه المحاولات الاسلاميه السابقة ، وليرفعوا راية الاسلام عالية خفاقة ، فى سماء اوروبا . وتحققت هذه الامنية أخيرا فى عهد السلطان محمد الفاتح . بعد أن مهد له أسلافه من العثمانيين طريق الفتح فى القارة الاوربية .

تولى محمد الثانى (الفاتح) السلطنة فى السادس عشر من المحرم سنه ٨٥٥ هـ ، ١٨ من فبراير سنه ١٤٥١ م وكانت سنه فى ذلك الوقت لا تتجاوز الثانية والعشرين من عمره ، وكان السلطان محمد الفاتح يملك شخصية فذة حيث بز كل اقرانه منذ حداثته ، وهو يتلقى العلم فى مدرسة الامراء . وأبرز ماعرف عن السلطان محمد الفاتح هو اجادته كثيرا من اللغات المعروفة ، كما كانت ميوله لدراسة التاريخ وغيره من العلوم ، وانتفع بهذه الدراسة

---

(١) الطبرى ، الامم والملوك ، المقدسى الحنبلى ، قلائد العقيان ، ورقه ٤١ ، وورقه ١٥ ، مخطوط .

فى معرفة سير الشخصيات الكبرى ذات الشهرة فى ميادين القتال والادارة .(١)
واستطاع السلطان محمد الثانى فى السنة الاولى من حكمه ان يعيد تنظيم دواوين الدولة ، ومصالحها المختلفة وخاصة الناحية المالية التى عمد فيها الى محاربة البذخ والتقليل ايضا من الترف ، كما نظم البلاط السلطانى ، واهتم بالسجلات الخاصة بالجيش ، وزاد من رواتب الجند ، ثم اتجه الى حكام الاقاليم فرفع بعضهم الى أعلى المناصب ، وعاقب المقصرين ، واستبدل البعض الآخر ، وقد تم كل ذلك بروح دبلوماسية عادلة مما جعل الجميع يثنون على كفائته ، ومقدرته . (٢)

وأدرك السلطان محمد الثانى ان المعركة الفاصلة بينه وبين الامبراطور البيزنطى قد حان وقت وقوعها ، فأصلح امور كل المقاطعات الآسيوية بقضاءه على الخلافات الداخلية ، وعقد هدنه لمدة ثلاث سنوات مع القائد هنيادى المجرى ، وعقد معاهدات مع مدينة البندقية ، ومع أمراء الافلاق ، والبوسنة ، ومع فرسان الاسبتارية (القديس يوحنا) فى رودس ، ومع الحاكم الألبانى اسكندربك ، ومع الجنويين وغيرهم .(٣)

---

(1) Lane - Pool: op. cit., p. 101; Alderson, op. cit., 123.
(2) Adlerson: op. cit., p. 123.
(٣) سوريال عطيه ، العلاقات ، ص ١٣٧ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٣٩ ، كمال الدسوقى ، نفس المرجع ، ص ٣٧

وبدأ السلطان محمد الثانى فى بناء قلعة على الجانب الأوربى لمضيق البوسفور ، وتسمى " روم ايلى حصار " ، وهى على بعد خمسة أميال من القسطنطينية ، فى مكان يضيق فيه البوغاز وتقابل تماما قلعة اناضولى حصار التى بناها السلطان بايزيد الاول على الشاطئ الاوربى . (١) وأراد محمد الثانى من تشييده لقلعة روم ايلى حصار التحكم فى هذا الممر عند حصار القسطنطينية والحيلوله دون وصول أية مساعدات قد تأتى الى البيزنطيين من البحر الاسود . وأراد السلطان محمد الثانى أيضا عزل الدولة البيزنطية سياسيا ، وعسكريا عن بقية الدول الاوربية .

وتحول موقف الامبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر من التعالى والتهديد ، الى الخنوع والخضوع ، حينما بنى السلطان محمد الثانى قلعة روم ايلى حصار . وازدادت مخاوف الامبراطور قسطنطين ، وحاول الحصول على معونة من القوى الاوربية المسيحية ، دون جدوى ، لان الدولة البيزنطية قبيل الحصار العثمانى للقسطنطينية كانت فى نظر القوى الاوربية وقتذاك تعانى من امراض الشيخوخة ، بالاضافة الى التفكك الناشئ عن الحروب الاهلية ، والصراع حول العرش البيزنطى . (٢)

---

(١) أومان الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٢ ، سوريال عطيه ، العلاقات ص ١٣٧ ، نوار ، الشعوب الاسلامية ص ٤٩ .

(٢) سعيد عاشور ، اوربا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٦٥٦ ، نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص ٣٢

ولم تكن الحروب الاهلية وحدها سببا فى ضعف الدولة البيزنطية ، بل كانت هناك الناحية الاقتصادية ايضا ، والتى بلغت من السوء أن خزانة الدولة كانت تعانى من نقص الموارد المالية رغم الضرائب الباهظة التى فرضتها الدولة على رعاياها ، ولم يقف تدهور الدولة البيزنطية عند هذا الحد بل ان الأباطرة اتجهوا الى الاستدانة ، حتى انهم باعوا جواهر التاج ورهنوها ، وانتشرت المجاعات بسبب التدهور الاقتصادى الذى اثر بدوره على قوة الجيش البيزنطى ، لدرجة ان استخدمت الدولة فئات كثيرة من الجند المرتزقه . (١)

ولما أرادت الدولة البيزنطية الاستعانة بدول الغرب الاوربى كانت فرنسا وانجلترا قد انهكتها حرب المائة عام . وفى نفس الوقت كانت ألمانيا ممزقة ، لا تستطيع الوقوف على قدميها . ومن اجل ذلك اصبح الامبراطور البيزنطى وحيدا فى مواجهة الجيش العثمانى دون معاونة تذكر من القوى الاوربية المعاصرة . (٢)

ولم يبق امام الامبراطور قسطنطين الحادى عشر الا ان يستغيث

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٥٦٦ ، عمر توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢١ ، فيشر ، نفس المرجع ، ق٢ ، ص ٤٤٢ .

(٢) سعيد عاشور ، اوربا فى العصور الوسطى ، ج ١ ، ص٤٦ ،

Cam. Med. Hist., Vol. 4, p. 695.

بالبابا نيقولا الخامس وينذره بانه اذا سقطت القسطنطينية فى يد العثمانيين فانهم سيتجهون بعد ذلك الى ايطاليا نفسها • واعلن قسطنطين للبابا قبوله باتحاد الكنيستين ليحصل فى نظير ذلك على معونة البابا مهما كلفه ذلك من ثمن •(١) ووجد هذا العرض من قسطنطين الحادى عشر قبولا من البابا نيقولا الخامس واوفد البابا فى سنه ٨٥٦ هـ/١٤٥٢م الى القسطنطينية وفدا يتكون من خمسين رجلا على رأسهم الكاردينال ايزيدور (Isidore) الذى اقام قداسا دينيا على الطريقة الكاثوليكية برئاسة الامبراطور فى كنيسة القديسة صوفيا ، وحضر مراسيم الاتحاد ، واقامة الشعائر الامبراطور واعوانه ، الامر الذى اثار الغضب والسخط فى نفوس رجال الدين وعامة الناس فى الامبراطورية الذين كانوا يعارضون مشروع توحيد الكنيستين • (٢)

ولما اشتد غضب رجال الدين على هذا التصرف ، كتب احدهم منشورا هاجم فيه مشروع توحيد الكنيستين • وترتب على هذه المعارضه

---

(١) كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٣٦ ، الرشيد ، محمد الفاتح ، ص ٢٨٧ ، Mijattovich: The Last Emperor of the greeks p. 45 FF.

(٢) عزيز سوريال عطيه ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٢٨ ، الشناوى نفس المرجع ، ص ٦٤٢ ، الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٣٦ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٨٨ •

ان الاساقفة البيزنطيين عندما دعاهم الامبراطور ليقدموا كنوزهم ، وماعندهم من الاموال لأعداد السلاح للدفاع عن القسطنطينية كانت اجابتهم للامبراطور هى الاتهام بالهرطقة . وعارضت الكنيسة الارثوذكسية تصرفات الامبراطور ، لدرجة ان بطريرك الكنيسة الارثوذكسية لوكاس ناتوراس Lucas Natoras اعلن بصراحة انه يفضل ان يرى عمامة السلطان محمد الثانى فى كاتدرائية القديسة صوفيا بدلا من ان يرى قبعة البابا نيقولا الخامس بابا روما فى القسطنطينية . (١)

وهكذا اتضح ان مشروع توحيد الكنيستين قد اسفر عن ازدياد سخط سكان بيزنطه ، على الامبراطور واعوانه من اللاتين ، ومن اجل ذلك تبدد حماسهم للدفاع عن عاصمتهم ، ولم يبالوا بمصير مدينتهم ماداموا متمسكين بمذهبهم الارثوذكسى . (٢)

وبعث البابا نيقولا الخامس الى حكام ايطاليا ، وفرنسا ، والمانيا وغيرها لجمع المال اللازم ، واستنهاض همم الملوك والأمراء لنجدة القسطنطينية

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٢ ، الرشيد ، محمد الفاتح ، ص ٨٨ ، Cam. Hist. of Islam, I, p. 283 F.

(2) Creasy: op. cit., p. 79.

وأرسل البابا قوة صغيره من الجنود المحترفين . أما المدن الايطالية والاسبانية التى كانت لها علاقات تجارية مع القسطنطينية ، فقد اظهرت اهتماما كبيرا بأمر القسطنطينية ، فارسلت بعض القوات للدفاع عنها . وكان أهم المحاربين فى هذه الجماعة القائد الجنوى المغامر جان جستنيان (Jean Justinian) الذى وصل فى ١٨ المحرم سنه ٨٥٧هـ/٢٩ يناير سنه ١٤٥٣م مع سفينتين حربتين وثلاثمائة من الرجال المختارين الذين وصلوا الى القسطنطينية قبل الحصار بقليل .(١)

أما السلطان محمد الثانى فانه بذل جهدا كبيرا فى الاستعداد والتأهب للحصار ، ودرس الموقف دراسة شاملة فاحصة من جميع النواحى ، وجمع أحسن قواته الموجودة فى أدرنه ، وجهز أعدادا كبيرة من جميع فرق الجيش ، ولم يأت ربيع سنه ٨٥٧هـ/١٤٥٣م الا وكانت قواته قد بلغت أوجها فى الاستعدادات ، واكتملت معداتها خاصة من المدافع الثقيلة ذات المرمى البعيد ولم يكتف السلطان محمد الثانى بما لديه من مدافع قوية ، بل عمل على شراء عدد كبير من المدافع الحديثة التى لم ير مثلها قبل ذلك فى أية حرب سابقة . (٢)

---

(١) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٨٧ ،
Gibbon, Bowen: Islamic Society and the West, Vol. I, p. 177 FF.

(٢) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٣ ،
Creasy: op. cit., pp. 77 - 78.

واستطاع السلطان محمد الثانى ان يعتمد فى جلب هذه المدافع على رجـــل مجرى مشهور من أشهر صناع المدافع فى زمانه يسمى اوربان Uroban وكان هذا الرجل يعمل فى خدمة الامبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر ، ولكنه وجد أن قسطنطين لايعطيه من أثمان بضاعته الا النزر القليل من المال ، وانتهز السلطان محمد الثانى سخط أوربان المجرى على الامبراطور البيزنطـــى ، ووعده بالعطاء السخى ، والجوائز الثمينة ، له ولكل من يعاونه فى حصار وفتـــح القسطنطينية ، ولم يكتف السلطان محمد بالحفاوة بأوربان والأغداق عليه بالعطايا ، والجوائز المجزية ، بل فتح له أبواب خزائنه ، وغمره بأموال كثيره . (١)

وفى مقابل هذا السخاء من جانب السلطان محمد الثانى ، صنع أوربـان مدفعا ضخما للعثمانيين فكان هذا المدفع موضع اعجاب من العثمانيين ، كمـــا كان موضع رعب وفزع للبيزنطيين حيث كان وزن الكرة التى يرمى بها هـــذا المدفع كما يقال ـ اثنى عشر ألف رطل (حوالى ٣٠٠ كيلو جرام) ، ومـــدى مرماه اكثر من ميل . ويقال انه كان يلزم لتحريك هذا المدفع الضخم ونقلـــه من مكان الى آخر حوالى مائة ثور و ٧٠٠ من الرجال ، وتحتاج قذيفة هـــذا المدفع لنحو ساعتين حتى يتم اعدادها . ولما كان هذا المدفع بهذا الحجم والوزن فقد استغرق نقله من أدرنه الى موضعه أمام أسوار القسطنطينية نحـــو شهرين ، مع ان الطريق من أدرنه الى القسطنطينية كانت تقطع فى يومين عادة ،

---

(١) جيبون ، سقوط الامبراطورية الرومانيه ، ص ٣٤٥ ، ٣٦٨ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٣ ، Creasy: op. cit., p. 77.

وبلغ من استعظام العثمانيين لهذا المدفع ان نسبوه الى السلطان محمد الثانى واطلقوا عليه المدفع السلطانى ٠ (١)

ولم تقف عبقرية أوربان واخلاصه للعثمانيين عند تقديم هذا المدفع وانما صنع عدة مدافع أخرى أدت دورها فى رفع معنويات الجيش العثمانى ، كما ألقت الرعب فى حامية القسطنطينية ٠ وبجانب هذا المدفع كانت هناك اعدادا كبيرة من البنادق التى كانت ذات فائدة كبيرة فى معاونة الجيش العثمانى ٠ وأصبحت كل هذه المعدات الحربية من كل نوع تؤدى دورها فى مواقعها المختلفة ٠ (٢)

وكان السلطان محمد الثانى وهو يعد الخطة المحكمة لحصار القسطنطينية قد كلف المهندسين من ضباطه برسم المدينة وأسوارها وحصونها ، كما كلفهم بدراسة مخططات المدينة جميعها ، وتحديد المواقع ، والأماكن التى سوف توضع بها المدافع والذخيرة ، كما طلب تعيين أماكن لكل فرقة من القوات العسكرية ٠ وهكذا كان السلطان المجاهد محمد الثانى على جانب

---

(١) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٧ ، شاكر الحنبلى ، التاريخ العثمانى ، ص ٣٦ ــ ٣٧ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٣ ، ابو الحسن الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ١٦٠

(2) Creasy: op. cit., p. 77.

كبير من الخبرة العسكرية ، والدقة المتناهية فى تصرفاته ، بحيث لاتمر عليه صغيرة ولا كبيرة الا بعد دراسة شاملة وتحليل دقيق . ولما انتهى السلطان محمد الثانى من هذه الدراسة العسكريه ، والمواقع الاستراتيجية ، تبين له ان الطريق الى القسطنطينية من ناحية البسفور لاتزال مفتوحة حيث كانت السفن تدخل من هذه الناحية الى المدينة وتخرج فى حرية كاملة . ورأى بثاقب فكره أن يسرع فى بناء سفن جديدة تقف فى هذه الناحية لمنع تسرب أى سفينة صليبية تحمل المعدات والمؤن للمدينة ، وتحول بينها وبين الوصول الى الميناء . (١)

وبلغ عدد السفن العثمانية الاسلامية حوالى ٣٢٠ سفينة من مختلف الاحجام ، ولكنها كانت أقل كفاءة من الاسطول البيزنطى ومع ذلك خشى البيزنطيون ان تدخل هذه السفن الاسلامية الى ميناء القرن الذهبى ، فسدوا مدخله فى سنه ٨٥٧هـ/ ١٢ من ابريل سنه ١٤٥٣م بسلسلة ضخمة من الحديد ، حيث احتمت السفن البيزنطية وراءها . وعهدوا بحراسة الميناء الى البحارة الجنويين . (٢)

---

(١) اومان ، الامبراطوريه البيزنطية ، ص ٢٦٣ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٩٣ .

(٢) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٧ ، شاكر الحنبلى ، التاريخ العثمانى ، ص ٢٧ ، يوسف آصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٤٥ ، نبيه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٥١ .

وبعد أن أتم السلطان محمد الثانى استعداداته زحف بجيوشه الى القسطنطينية ، وحينما وصلت الجيوش العثمانية الى مشارف المدينة وقف السلطان محمد الثانى ، وخطب فى رجاله خطبة بليغة ، حثهم فيها على الجهاد فى سبيل الله ، وصدق القتال ، وقرأ عليهم كثيرا من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة المبشرة بفتح القسطنطينية ، وعرفهم بأنهم سيحصلون على الفخر والنصر ، بالفتح العظيم لمعقل المسيحية ، وان هذا الفتح سيعيد للاسلام عزته وكرامته ، ويرفع منارته ، كما كان فى عهد الخلفاء الراشدين . (١)

ولم يكد ينتهى من خطبته العظيمة التأثير فى نفوس جنده . حتى تعالت صيحات جنوده المسلمين مدوية مجلجلة تشق عنان السماء ، الله اكبر ، الله اكبر . وكان فى طليعة الجيش الاسلامى عدد كبير من كبار العلماء المسلمين الذين كان لهم دور كبير فى رفع الروح المعنوية ، وتعبئة الشعور الدينى واشعال الحماس فى قلب كل جندى ، ومن هؤلاء العلماء الذين لهم التأثير الروحى الكبير فى الجند المقاتله ، الشيخ آق شمس الدين . الذى اكتشف قبر أبى ايوب الانصارى رضى الله عنه ، والشيخ آق بيق ده ، والمولى احمد الكورانى . ورفع العلماء اكف الضراعة سائلين المولى عز وجل ان ينصر الجيش الاسلامى ، ويعز دينه ، ويحفظ كتابه ، وأخذوا يرددون حديثا

---

(١) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٩٣ .

نسب الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول " لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش " (١)

وانطلق طوفان الجنود حتى بلغ أسوار القسطنطينية ، وضرب الحصار حولها . واحكمت الخطط التى استفادها السلطان محمد الثانى من والده السلطان مراد الثانى ، وزاد عليها السلطان محمد الثانى دعم التحصينات، واعداد فرقة من الجيش أمام الاسوار البحريه .

واستعدت فرق المشاه للقيام بواجبها فى قذف السهام الى الحائط الحاجز الذى كان يظهر عليه المدافعون عن المدينة من الجيش البيزنطى . كما اعدت المجانيق (٢) على طول الخطوط تحمل قطعا ضخمة من الصخور لدك الاسوار الحصينة ، حول القسطنطينية . ومن المظاهر التى تدل على

---

(١) صحيح مسلم ، الجزء الثامن ، شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، ج ٢ ص ٢١٤ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ٩٤ .

(٢) المجانيق أو المنجنيقات جمع منجنيق وهى آلة حربية لقذف الاحجار والنفط ، د . نظير حسان سعداوى : جيش مصر فى عهد صلاح الدين أو عبدالرحمن زكى : السلاح فى الاسلام .

اخلاص السلطان محمد الثانى فى جهاده ، والاعلان عن صدق نيته فى رفع راية الاسلام ، انه كان محافظا على الصلاة فى اوقاتها ، وكلما حضر وقت الصلاة ، نشر سجادته ، واستقبل القبله ، وكبر للصلاة ، ومعه جنوده البواسل مكبرين فى صوت كله خشوع مما افزع الاعداء ، ونشر الرعب بينهم . وكلما سمعوا صوت الحق مكبرا به المسلمون ايقنوا ان مصيرهم ومصير مدينتهم قد اصبح وشيك الوقوع فى ايدى العثمانيين المجاهدين .(١)

ثم اخذ السلطان محمد الثانى يشدد الحصار على القسطنطينية بقواته العسكرية ، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد الجنود العثمانيين المحاصرين لمدينة القسطنطينية ، وترددت اقوالهم مابين سبعين الفا ، ومائة وخمسين الفا ، ومائتين وخمسين الفا ، وثلثمائة الف مقاتل .(٢) ولاشك ان الذين بالغوا فى عدد الجيش العثمانى قد تأثروا بالنتائج الباهرة التى تحققت فى فتح القسطنطينية ، واعتقدوا ان هذه النتائج لايمكن تحقيقها الا اذا كان الجيش يحوى عددا خياليا يصل فى تقديرهم الى ثلثمائه الف مقاتل ، وانهم بتقديرهم هذا اغفلوا عن عوامل النصر التى كانت كامنه فى الجيش العثمانى ،

---

(١) أومان ، الامبراطوريه البيزنطية ، ص ٢٦٣ ،
Creasy: op. cit., p. 79.

(٢) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٥٩ ، سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٦ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٢ ، الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٣٧ .

وهى بعيدة كل البعد عن كثرة العدد ، وهى بطولة الجنود العثمانيين ، وقوة عقيدتهم ، وحرصهم على الموت فى سبيل الله . وانهم بهذه الصفات لم يكونوا بحاجة الى هذه الاعداد الكبيرة من الجند لاسيما وان القوة البيزنطية المدافعة عن القسطنطينية لم يزد عددها فى رواية بعض المؤرخين عن تسعة آلاف مقاتل ، ويزيد عددهم الى اربعين الفا فى الروايات الاخرى . ومن اجل هذه الاعتبارات يتضح ان الرأى الذى يكون قريبا من الحقيقة هو ان عدد الجيش العثمانى لم يزد عن سبعين ألفا ، وذلك بالاضافة الى المقومات الاخرى للجيش الاسلامى وهى قوة العقيدة والتنظيم الادارى والحربى . (١)

وكانت مدينة القسطنطينية أشبه بمثلث متساوى الساقين محاط من كل جانب بالأسوار ، رأسه بارز شرقا فى مياه البوسفور والجانب الشمالى منه واقع على مياه القرن الذهبى ، والجزء الجنوبى منه يطل على بحر مرمرة . أما القاعدة فهى الاسوار الغربية التى تفصل المدينة عن باقى القارة الاوربية . والمدينة من كافة نواحيها محاطة بالأسوار الا أن أسوار القسم الواقع على القرن الذهبى كانت مهملة بعض الشىء لاعتقاد البيزنطيين بأن مهاجمة المدينة من هذه الناحية بعيدة الاحتمال . (٢)

---

(١) اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٣ ، Creasy: op. cit., p. 79.

(٢) جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثمانى ، ص ١٥٦ـ١٥٨ ، كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٣٩ .

وكان هناك في الجهة الغربية خطان من الاسوار طولهما أربعة أميـــال يمتدان من شاطئ بحر مرمرة الى شاطئ القرن الذهبي ، ويبلغ ارتفـــاع السور الداخلي منهما نحو اربعين قدما ، وقد دعم بابراج ارتفاعها ستـــون قدما ، وتبلغ المساحة بين كل برج وآخر نحو مائة وثمانين قدما ، ويبلـــغ ارتفاع السور الخارجي نحو خمسة وعشرين قدما ، وقد حصن ايضا بابـــراج شبيهة بابراج السور الاول وان كانت أصغر حجما . وهذا السور الخارجـــي وحده ، كان من القوة والمناعة بحيث يكفي لحماية أية مدينة من مدن العصـــور الوسطى . كما حفر البيزنطيون خندقا واسعا الى جوار السور الخارجي ، يبلغ عرضه ستين قدما ، وعمقه مائة قدم ، ويعتبر هذا الخندق خط الدفـــاع الاول عن القسطنطينية . وللسور الخارجي لهذه المدينة ابواب كثيرة ، اهمهـــا باب أدرنه ، وباب القديس رومان ، (Saint-Roman) وبـــاب المدفع ، والباب العسكري الثالث . (١)

أقام السلطان محمد الثاني جنوده تجاه السور الخارجي ، وقسمهـــم الى ثلاثة اقسام هي :ـ القسم الاول وهو الميمنـة ، وتتألف من جنـــود الاناضول ، بقيادة اسحق باشا ومحمود بك ، ويواجه جزءا من السور ، يمتد الى نهايته من الجنوب عند بحر مرمرة الى باب القديس رومان . والقسم الثانـــي وهو الميسرة ، وتتألف هذا القسم من جنود روملي والمتطوعين من غيـــر

---

(١) الرشيدي ، محمد الفاتح ، ص ٩٦ ، محمود زياده ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، ج ٢ ، ص ٥٣٠ ـ ٥٣١



مواقع الجيوش العثمانية أثناء حصار القسطنطينية

المرجع
كتاب: سالم الرشيدي (محمد الفاتح)

الانكشاريين تحت قيادة قره جه باشا ، ويواجه جزءا من السور يمتد من أقصى الشمال عند ميناء القرن الذهبي الى باب أدرنه . والقسم الثالث وهو القلب ، ويتألف من الانكشارية والجنود المختارة ، تحت قيادة السلطان محمد الثاني نفسه ، ويواجه هذا القسم الجزء الاوسط من السور والذى يمتد من باب القديس رومان الى باب أدرنه . ويعتبر هذا الجزء من السور هو أضعف جزء فيه ، اذ يقع فى وادى نهر ليكوس (Lycus) . (١)

وأقام السلطان محمد الثاني مركزا للقيادة العامة والأشراف على حركات الجند وسير الحصار والقتال ، خلف مركز القلب ، كما أقام عند كل باب مراقبا خاصا ، وعسكر زغنوس باشا احد قادة السلطان محمد الثاني مع فرقة من الجند فى المرتفعات المشرفه على غلطة لمراقبة الجنويين بها ، ومنعهم من امداد القسطنطينية بالمؤن والعتاد ، ومراقبة الشاطئ الشمالى من القرن الذهبى . وأمره السلطان محمد الثاني أن يقيم جسرا عند نهاية الميناء لتسهيل الاتصال ، ونقل الجنود من احدى الضفتين الى الضفة الاخرى وليتمكن من الاشتراك فى الهجوم على المدينة من ناحية البر عند الحاجة . وقد استمر حصار القسطنطينية حوالى ٥٣ يوما متواصلة من ٢٧ من ربيع الاول سنه ٨٥٧ هـ/ ٢٠ من جمادى الاولى سنه ٨٥٧/ ٦ من ابريل سنه ١٤٥٣ م — ٢٩ من مايو سنه ١٤٥٣م .(٢)

---

(1) Lane - Pool: Turkey, p. 108 FF.

(٢) جيبون ، نفس المرجع ، ص ٣٤٥ ، والصفحات التالية .

وفى يوم ١٦ من ربيع الثانى سنه ٨٥٧هـ/ الثامن عشر من ابريل سنه ١٤٥٣م أمر السلطان محمد الثانى ، الذى قاد قلب الجيش ، بالهجوم على منتصف سور المدينة ، عند وادى نهر ليكوس(Lucus)، ودام الهجوم أربع ساعات فى قتال عنيف مرير . وكان السلطان قد نصب المدافع والمجانيق وأحكم وضعها وتنسيقها امام السور البرى ، كما نصبت مدافع أخرى امام باب القديس رومان ولكن القوات البيزنطيه المقابلة بقيادة جستنيان ، قائد قوات جنوة استطاعت ان تصد ذلك الهجوم . وبدا للمسيحيين أنهم سيتمكنون من المقاومة لمدة طويلة ، خاصة وأنه بعد مضى يومين فقط من هذا الهجوم ، استطاعت اربع سفن قادمة جنوية ، وسفينة يونانية أخرى من خيوس من شق طريقها بالقوة بين الاسطول العثمانى ، وتمكنت ايضا هذه السفن من دخول القسطنطينية والانضمام الى المدافعين عنها . وكانت هذه السفن الخمس محملة بالقمح والشعير والنبيذ والخضروات ، وبها جنود وبحارة على درجة جيدة من التدريب والمهارة . (١)

وفى صبيحة اليوم الثامن عشر من ربيع الثانى سنه ٨٥٧هـ/ العشرين من ابريل سنه ١٤٥٣م أمر السلطان محمد الثانى جزءًا من اسطوله بتتبع الخمس سفن المسيحية التى كانت تنساب بسرعة وثبات عبر البسفور . كما قام

---

(١) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٦٠ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٤ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٠١ ،
Lane - Pool : op. cit., p. 108 FF.

البيزنطيون بزيادة اعداد المدافعين عن الاسوار ، بينما كان العثمانيون مجتمعين على الشاطئ يشاهدون هذا التدخل . وركب السلطان محمد الثانى جواده واتجه بنفسه الى حافة الماء لمراقبة الموقف ، لكن السفن المسيحية كانت جيدة التسلح ، محمله بالرجال واقتحمت طريقها بين اعدائها الشجعان من العثمانيين المسلمين الذين لم تمكنهم كفائتهم من اجادة ركوب البحر والقتال فيه حتى يتمكنوا من صد هجوم السفن المسيحية ، وادى ذلك الى حدوث ارتباك وبلبلة فى الاسطول العثمانى حتى أخذت سفنهم تصدم بعضها ببعض ، وارتفعت أصوات البيزنطيين بالفوح من أعلى اسوار المدينة . (١)

وأعطى هذا النصر الموقت الذى حققه هذا الاسطول الجنوى الصغير دفعة قوية من الثقة بالنفس للجنود الذين يدافعون عن القسطنطينية . وما كان السلطان محمد العثمانى بالرجل التى تثنيه تلك المقاومة الهزيلة عن عزمه ، أو تعوقه عن مشروعه ، لذلك حاولت السفن العثمانيه اكثر من مرة النفاذ الى القرن الذهبى للسيطرة عليه ، وتحطيم هذه السلسلة الضخمة القائمة عند مدخله ، ولكن السفن الاسلامية العثمانية لم توفق . وهنا لاحت فكرة عسكرية جديدة امام مخيلة السلطان محمد الثانى وهى نقل السفن العثمانية من مرساها فى البسفور الى القرن الذهبى برا . واختمرت الفكرة فى رأس السلطان

---

(١) شاكر الحنبلى ، التاريخ العثمانى ص ٣٧ ، كمال الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٤٠

محمد الثانى حيث قرر تسيير السفن الحربية على اليابس مسافة ٣ أميال ، وقد أمر مهندسية بتغطية الارض التى يراد سحب السفن عليها باسطوانات من خشب الصنوبر ، المدهون بالشحم حتى يمكن سحب السفن عليها ، وكان عددها يقرب من سبعين سفينة . واختار السلطان محمد الثانى الخفاف من السفن ، وأمر بدفعها على هذه الاسطوانات الخشبية المدهونة بالشحم ونشرت أشرعتها وجرها الرجال بقوة فسارت على الاخشاب ، ونزلت هذه السفن على الجانب العلوى من القرن الذهبى حيث المياه الهادئة والمنطقة ضيقة ووجد الاسطول المصونه من كل من الشاطئين . وهكذا اصبحت واجهة المدينة البحرية الداخلية فضلا عن واجتها الخارجيه محاصرة بالعثمانيين .(١)

واستيقظ اهل القسطنطينية فى صباح يوم ٢٠ من ربيع الثانى سنه ٨٥٧هـ/ ٢٢ من ابريل سنه ١٤٥٣م على صيحات المسلمين المدويه ، وهتافاتهم المتصاعدة ، وتكبيراتهم القوية عقب نزولهم داخل الميناء . وزاد من أهمية هذه العملية الحربية ، ما احدثته من رعب وفزع فى صفوف سكان القسطنطينية ، وما بعثته من ثقة فى صفوف الجند العثمانيين . وبدأت تلك

---

(١) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٧ ، سوريال عطية ، العلاقات ، ص ١٣٩ ، أوزمان ، نفس المرجع ، ص ٢٦٤ ، يوسف آصاف ، نفس المرجع ص ٤٥ ، نبيه عاقل ، نفس المرجع ص ٣٥١ ، سلوك سبيل الرشاد للسلطان مراد ، مجهول المؤلف ، ورقه ١٨ ، مخطوط ، The Cam. Hist. of Islam, Vol. I, pp. 295 - 296; Greasy: op. cit., p. 81.

السفن فور وصولها الى الميناء في قذف المدينة وأسوارها بوابل من القذائف الثقيلة ٠ (١)

كما أمر السلطان محمد الثاني مهندسيه ان يبنوا الى جانب هذه السفن جسرا عائما صنع من البراميل والصناديق الخشبية ، وشد بعضها الى بعض بالحبال الضخمة ، وثبتت عليها الالواح الخشبية ٠ ولما كانت نهايته الغربيه قريبة من زاوية الساحل ومن حائط الميناء ، نصبت عليه المدافع لقذف ذلك الجانب من اسوار القسطنطينية والمطل على الميناء وتهديده ، وبذلك أصبحت السفن البيزنطية وغيرها هنالك محاطة بالسفن الاسلامية من الجانبين ، وادركها الفزع والذعر الشديد ٠ وحاول القائد البيزنطي جستنيان — ولكن دون فائدة يعاونه الجنويون والاسطول اليوناني — ان يدمر الجسر ويحرق الاسطول العثماني ٠ كما حاولت البنادقة أيضا بدون نجاح ، ولهذا اضطر الامبراطور البيزنطي قسطنطين الحادى عشر أن يضع في هذا الجانب من السور عددا كبيرا من الجند لمراقبته (٢) ٠

---

(١) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٧ ، عزيز سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٣٩ ، اوبان الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٤ ، يوسف آصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٤٥ ، سلوك سبيل الرشاد ، مجهول ، ورقه ١٨ ٠
The Cam. Hist. of Islam, Vol. I, pp. 295-296.

(٢) عزيز سوريال عطيه ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٣٩ ، الرشيدى محمد الفاتح ، ص ١٠٧ ، Creasy: op. cit., p. 82.

ولما اشتدت رحى الحرب ، وملك العثمانيون زمام الموقف ، وأحكموا الحصار حول مداخل المدينة ، بدأ أهل القسطنطينية يشعرون بتناقص الطعام . وفى اوائل مايو سنه ١٤٥٣م اضطر كثير من الجند المسيحيين ان يتركوا مواقعهم ليبحثوا عن غذائهم ، وغذاء عائلاتهم ، فكان ذلك أول الوهن وبداية الانهيار ، حيث اشتد بهم القلق وخاصة بالامبراطور البيزنطى الذى اسقط فى يده ، وغابت كل آماله لعدم وصول نجده اليه من أوربا . وفى ذلك الحين شن العثمانيون هجوما عنيفا على اسوار القسطنطينية ، واشتد الضيق والكرب على المحصورين . كذلك شددت السفن العثمانية ضغطها فى هجومها على ميناء القرن الذهبى المرة تلو الاخرى ، كما نشطت الحاميات البرية فى اطلاق مدافعها من البر . وفى نفس الوقت كان السلطان محمد يوالى الهجمات ، واطلاق القذائف فى البر والبحر ، على غير انقطاع ليلا ونهارا ، حتى انهك فيها الحاميات البيزنطية وجعلهم لايستطيعون الراحة بعدما اجتاحتهم حالة يأس شديدة . وكان السلطان محمد الثانى قد قسم عساكره المجاهدين الى فرق تحت قيادة أمهر ضباطه . ونادى مناديه فى المعسكر بأن أول من يتسلق سور المدينة من العسكر سوف يوليه السلطان ولاية من أغنى الولايات ، وينعم عليه بالعطايا الوافرة ، والانعامات الجزيلة .(١) واخذ يخطب فيهم ويستحثهم ، فسار المتطوعون امام العسكر يحملون الأحجار والاخشاب

(١) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، الرشيدى ، نفس المرجع ، ص ١١٣ ، الشناوى ، نفس المرجع ص ٦٤٧ .

ملئت
معاكياس بالطين والرمل ليلقوها بالخندق لتكون كالجسر يعبرون عليه لامتلاك المدينة . ولما صدر لهم الامر بالسير اندفعوا كالسيل الجارف وصاروا يلقون مابايديهم بالخنادق ، فانصبت عليهم من اعلى السور نيران الاعداء وقتل منهم العدد الكثير ، واظلم الجو من دخان المدافع ، وقابلتهم سهام المدافعين . كل ذلك والجيوش المنتظمة لم تبد أقل حركة ، حتى نصب عسكر الامبراطور البيزنطى ، فعند ذلك تحركت تلك الفرق وزحفت على الاسوار بقلوب لا تهاب الموت ، وامامهم قلعة شامخة من الخشب على عجل يجرها الجند مكسوة من الخارج بمواد كيميائية خاصة على الدوام لتمنع تأثير النيران التى كان يقذفها المحاصرون . وكانت تحمل فى اسفلها التراب والاحجار ، والاخشاب لردم الخندق ، وفى اعلاها سلالم من الحبال عصبت فى اطرافها كلاليب يلقونها على اعلى السور فتنشب فيه ليمر عليها الجند كالقنطرة ، بينما كان الجند الآخرون يصوبون نبالهم الى كل من يطل برأسه على السور من المدافعين . وشرع النقابون فى نقب الاسوار ، واشتبك القتال وقويت نيران الاعداء بعد ضعفها ، وفتحت مدافع العثمانيين افواهها ورغم ذلك فلم يكن بوسع المدافعين استعمال مدافعهم الكبيرة من فوق الاسوار لان اهتزازها عند الانطلاق كان يزلزل السور ويهدمه . (١) وهال اهل القسطنطينية أمر هذه القلعة الجبارة ، وقال المؤرخ البندقى باربارو الذى شهد هذه القلعة بنفسه " لو اجتمع جميع نصارى القسطنطينية على ان يصنعوا

---

(١) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١١٤

مثل هذه القلعة لما صنعوها فى شهر ، قد صنعها المسلمون فى ليلة واحدة بل فى اقل من اربع ساعات .(١) ومع ذلك فقد استطاع الامبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر تركيز الضرب بالنيران على القلعة واحراقها فى النهاية .

ومضى على الحصار العثمانى للقسطنطينية سبعة أسابيع ، وهذا الحصار قائم على قدم وساق ، حتى بدأت اثاره تظهر ، اذ دمرت أربعة من الابراج الكبيرة للمدينة ، واحدثت ثغرة كبرى فى حائط المدينة قرب بوابة سانت رومان ، وامتلأ الخندق بالانقاض بعد أن كلت ايدى المحصورين عن رفعها . واعتقد السلطان محمد الثانى أن الميعاد قد حان للهجوم الاخير على القسطنطينية ، فارسل آخر انذار الى الامبراطور البيزنطى قسطنطين للتسليم قبل أن يراق المزيد من الدماء . وبدت الروح الكريمة ، والمعاملة النبيلة ، التى ابداها السلطان محمد الثانى من هذا الانذار ، فقد بعث رسولا الى الامبراطور البيزنطى يخبره بأنه ان سلم المدينة بغير قتال ، فان السلطان سيمنح جميع الرعايا الحرية التامة ، ولايتعرض لهم فى شىء اصلا ،

---

(١) انظر سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٤٧ ، Creasy: op. cit., p. 82.

ويهب الامبراطور بلاد الموره ليكون اميرا عليها ، فلم يقبل الامبراطور البيزنطى هذا العرض من السلطان العثمانى ورد ردا غير كريم ، ونسى أن مصير مدينته قد تقرر بالفعل ، واصبح وشيك الوقوع . (١)

وفى مساء ١٨ من جمادى الاول سنه ٨٥٧هـ/ ٢٧ من مايو سنه ١٤٥٣م أوقد الجنود العثمانيون النيران والمشاعل والقناديل ، واشعلت الشموع على رءوس الرماح حول معسكر المسلمين ، وتعالت صيحاتهم وهم يهتفون فرحين بأعلى صوتهم " لا اله الا الله " . ودقت الطبول ، ونفخ فى الابواق ، وارتفعت الاناشيد الحماسية . واخذ فريق من الشيوخ والعلماء ينشدون القصائد التى تثير الحماس ، وتقوى الروح المعنوية ، ويستغيثون بالخالق سبحانه وتعالى ليهبهم النصر ويعلى راية الاسلام . وامضى السلطان محمد الثانى اليوم التالى ١٩ من جمادى الاولى سنه ٨٥٧هـ/ ٢٨ من مايو سنه ١٤٥٣م فى اكمال استعداداته الاخيرة ، فطاف بالسور مرة اخرى ليتعرف جيدا هو وجنوده مناطق الضعف فيه .

وعاد السلطان محمد الثانى الى خيمته ودعا اليه كبار رجال جيشه ، واصدر اليهم التعليمات الاخيرة قائلا : " اذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث من أحاديث رسول الله ومعجزه من معجزاته ، وسيكون من

---

(١) حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، عبدالعزيز نوار ، الشعوب الاسلامية ، ص ٥٠ ـ ٥١ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٧ ـ ٦٤٨ ،
Creasy: op. cit., p. 83.

حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير ، فأبلغوا العساكر فردا فردا ، ان الظفر العظيم الذى سنحرزه سيزيد الاسلام قدرا وشرفا ، ويجب على كل جندى ان يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينه فلا يصدر عن احد منهم مايجافى هذه التعاليم ، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى ، وان يتركوا القسس والضعفاء ، والعجزة الذين لايقاتلون ٠ (١)

أما فى القسطنطينية فقد قطع البيزنطيون كل أمل فى مجيىء النجدة الاوربية من الغرب ، ووضعوا كل املهم فى هذا السور الضخم الذى لم تنقطع عنه المدفعية العثمانية طوال تلك الايام الماضية ولمدة سبعة اسابيع وبذلك ارهقت اعصاب الكثير من المحاصرين داخل المدينة وفروا الى معسكر المسلمين لينشدوا لانفسهم الامن والسلامة ، ولقوا فى المعسكر الاسلامى كل ترحيب وأمن ٠ كما التجأ ايضا الى المعسكر الاسلامى فيمن التجأ الراهب بترو فى ثلاثمائة من اصحابه ، فاكرمهم المسلمون ، واحسنوا معاملتهم وكان لذلك وقع طيب فى نفس الراهب وشرح الله صدره للاسلام فاسلم ، وعرف منذ ذلك الحين بمحمد بترو وكان خير معين للمسلمين فى الهجوم العام على القسطنطينية ، حيث دلهم على عورات المدينة وقد اجزل له السلطان محمد الثانى العطاء ٠ (٢)

---

(١) محمود زيادة ، دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ج ١ ، ص ٤٨١ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٢٦

(٢) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٢٧٠

وكان السكان البيزنطيون فى القسطنطينية يتغلبون على الفزع بالتمسك بالاعتقاد فى اساطيرهم الدينيه التى تقول بأن القديسين والملائكة سيساعدون هؤلاء الذين لايستطيعون مساعدة انفسهم . ونشب النزاع ، والشقاق بين اليونانيين واللاتين المدافعين عن القسطنطينية ، فعندما طلب جستنيان القائد الذى كان يتولى الدفاع عن الثغرة الكبرى عند بوابة سانت رومان ، مزيدا من المدافع من الدوق نوتاراس الذى كان له الاشراف على التموين العام رفض ذلك بحجة عدم ضرورتها . (١)

وفى ليلة ٢٠ من جمادى الاولى سنه ٨٥٧هـ/ ٢٩ من مايو سنه ١٤٥٣م أدى الامبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر القداس فى كنيسة آياصوفيا ، ثم توجه الى القصر الامبراطورى الكبير حيث قضى فترة من الزمن فى انحائه حيث حكم اسلافه قرونا عدة ، وعندما خرج قسطنطين من القصر سأل الناس المغفرة ، وطلب منهم العفو عن اى عمل قد يكون عمله حيالهم . ووسط الدموع والصلوات التى عقدها الجميع ، ذهب آخر القياصرة البيزنطيين الى ساحة القتال . (٢)

أما فى المعسكر العثمانى فكان كل شئ يعد للاستشهاد فى سبيل المولى عز وجل ، حيث كانوا مؤمنين بالاسلام عن عقيدة ، كما كانوا

---

(١) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١١١ـ ١١٢ ،
Creasy: op. cit., pp. 82-83.

(2) Creasy: op. cit., p. 83.

موءمنين بسلامة الهدف وبوجوب طاعة سلطانهم فكانوا يتطلعون الى الشهادة في تواضع ، فرحين بوعد الله ، وما اعد لهم من نعيم مقيم في الجنة .

وهكذا كانت القوات العثمانيه تعلم ان نعيم الآخرة قبل الدنيا لمن نصر دينه وجاهد في سبيله وحاز الشهاده . ومن وراء هذه الاحاسيس كانت مواعظ العلماء تعرض على مسامع المجاهدين سيرة المجاهدين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والموءمنين الذين سقطوا من قبل تحت أسوار هذه العاصمة . ومن بين هوءلاء المجاهدين جند الله الانكشارية الذين كان السيف سلاحهم . والاسلام دينهم وعقيدتهم . وقبل المعركة استعدوا للشهادة فذهبوا يتطهرون ويسجدون لربهم في صلاة خاشعة ، ويذكرونه في ايمان عميق بعدما طهرت نواياهم .

وما كادت الساعات الاولى من يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ من جمادى الاولى سنه ٨٥٧هـ/ ٢٩ من مايو سنه ١٤٥٣م تنشر نورها على القسطنطينية حتى اعطيت الاشارة بدق الطبول ، والبوقات العثمانية ايذانا ببدء المعركة ، والهجوم الشامل ، فتعالت التكبيرات ، وتجاوبت اصوات المهللين ، والمكبرين في البر والبحر مع دقات الطبول ، وصهيل الخيول ، وجلبة الزحف العسكرى ، بينما كان السكون الحزين يخيم على مدينة القسطنطينية . وتتابع وثوب الجنود العثمانية على موجات تتلوها موجات متلاحقة تدق اسوار المدينة ، ولا سيما ان السلطان محمد الثاني قد أمر بتركيز الهجوم على الجزء الواقع

بين (سانت رومان) فى الجنوب ، وباب أدرنه الشمالى ، حيث كان هـــذا الجزء من السور قد اصابته قذائف المدافع العثمانية فهدمت منه جزءا كبيـــرا . وحاول قائد البيزنطيين جستينان ان يقيم المتاريس فى الجزء المتهدم أمـــلا فى تحصينه .(١)

وتعاون الاسطول العثمانى مع القوات البرية فاخذ يضرب التحصينـــات الممتدة على طول الميناء . وجعل السلطان محمد الثانى جنوده يقاتلـــون فى مناطق ثلاث ، وعلى ثلاثة أقسام :(٢) القسم الاول : كان موءلفا مـــن جنود الروملى والمتطوعين الحديثى العهد بالقتال وكان هوءلاء الجنـــود من اجناس مختلفة . وتقدم هوءلاء الجنود الى الامام حتى صاروا قرب الســـور بحوالى مرمى سهم تقريبا ، وعندئذ توقفوا عن السير ، واخذوا يقذفون المدافعين بالسهام والنبال . ثم اندفع تحت هذا الوابل من القذائف الفتاكه كثيـــر من المهاجمين نحو سور المدينة ، واقاموا عليه السلالم لتسلقه . وكـــان المدافعون اسرع منهم فقلبوا هذه السلالم بمن عليها وقذفوهم بالصخور الضخمة .

---

(١) عزيز سوريال عطيه ، العلاقات ، ص ١٣٨ ، أومان ، نفس المرجـــع ، ص ٢٦٥ ، Creasy: op. cit., p. 83.

(٢) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، عزيز سوريال عطية ، العلاقـــات ص ١٣٨ ، نبيه عاقل ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٥٢ .

واستمر القتال على هذا النحو لمدة ساعتين قتالا عنيفا بين الجانبين ، كان السلطان محمد الثانى يرقبه من فوق صهوة جوادة ، وكان يدرك تماما بأس وشدة المدافعين عن المدينة ، وكذلك حسن موقعهم الاستراتيجى بالنسبة للمهاجمين . ويبدو أن السلطان محمد كان يريد من وراء هذه الهجمة — للقسم الاول من قواته — ارهاق المحصورين ، وانهاك قواهم ، واضعاف روحهم ومعنوياتهم وتبديد طاقاتهم ، قبل ان يضربهم الضربة القاضية ، والاخيرة . (١)

وبعد ان استمر القتال ساعتين دبر السلطان خطة جديدة عمد فيها الى سحب قواته الباقية خلف الذين ارهقوا ليحل محلهم القسم الثانى من الجيش وهم جنود وقوات الاناضول . وظن المدافعون عن القسطنطينية ان المسلمين يئسوا من الحصار وانسحبوا الى غير رجعه . لكنهم فوجئوا قبل ان يتنفسوا الصعداء بهجوم أشد بأسا ، وحنكة من الهجوم الاول ، فهؤلاء الجنود كانوا أحسن تدريبا ، وتنظيما ، واكثر مراسا فى القتال . وكان اشد الهجوم عند بوابة سانت رومانوس . وادرك الامبراطور البيزنطى قسطنطين خطر الموقف هذا ، فاحضر الى هذا المكان المزيد من المدافعين ، وآلات الرمى والقذائف . ونشط جيتسنيان وجنوده الشجعان بدروعهم ، وقاوموا

---

(١) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، الرشيدى محمد الفاتح ، ص ١٢٣

هذا الهجوم العنيف مقاومة المستميت ، وصبوا نيرانهم وقذائفهم المحرقة على العثمانيين ، وقلبوا السلالم بمتسلقيها من المسلمين ، الا ان هذا كان له اثر قوى على العثمانيين فزادت حماستهم واستماتوا للوصول الى أعلى السور ، واستطاع بعضهم الوصول فعلا الى السور . وبذلك انتقلت ارض المعركة الى اعلى اسوار المدينة ، حيث التحم المهاجمون ، والمدافعون فى صراع جسدى مميت ، وتردد النصر بين الفريقين ، وقتل الكثير من العثمانيين من كثرة السهام ، والقذائف ، ولذلك أمر السلطان محمد الثانى بسحب جنوده واستعمال المدافع مرة أخرى . واغتبط من فى العاصمة وعلى رأسهم جستنيان للمرة الثانية بانسحاب العثمانيين وارتفعت صيحات الفرح والنصر من جانب السور . (١)

ولم يمهل السلطان محمد الثانى البيزنطيين ، فلم يكد يسحب جنوده البواسل حتى انطلقت المدافع مدوية مرة اخرى ، ولكنها اشد تدميرا . وجاء دور القسم الثالث من جنود السلطان محمد الثانى وهم الانكشارية ، فقد كانوا اكثر حنكة ، وتدريبا ، وبسالة فهم خير الجند العثمانية . وكانت خطة الهجوم هذه المرة اكثر احكاما ، وتنفيذها أكثر دقة وانتظاما ، ومن ورائهم كان الشيوخ والعلماء يشجعونهم ويستحثونهم على صدق القتال

---

(١) الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٣٢ _ ١٣٣

والجهاد . ووصل السلطان محمد الثانى بنفسه الى حافة الخندق ، وهناك أمر الرماة والنبالة بأن يمطروا المدافعين البيزنطيين بالسهام والنبال . وتحت هذا الهجوم المكثف زحف الانكشارية حسب الخطة الموضوعة . (١)

وحمى وطيس القتال ، وبلغ اقصاه من العنف لاسيما عند بوابة سانت رومانوس وباب ادرنه . وتقدم احد الانكشارية الشجعان وكان يدعى حسن الوباد (طولوباتلى) واندفع هذا الفدائى المجاهد ، ومعه ثلاثون من زملائه المجاهدين ليحتل بقايا أحد الابراج المحطمة والتى تسيطر على الثغرة ، واستطاعوا الوصول اليها رغم القذائف البيزنطية المميته التى انهمرت عليهم من فوق السور لتثنيهم عن عملهم هذا ، ولكنها كانت تزيدهم عنادا لاسيما بعد ان صرعت ثمانية عشر مسلما منهم . وتسلق حسن الوباد وبقية رفاقه المجاهدين السور واسرع اليهم المدافعون ونشب بينهم صراع دام وعنيف ، واظهر حسن الوباد ، ورفاقه بسالة منقطعة النظير ، اشاد بها المؤرخ البيزنطى فرانتزتس(Frantezets) الذى شاهدها بنفسه ، وذكر ان هذا الجندى المسلم الشجاع أصيب بقذيفة قوية اوقعته أرضا ، ولكنه وقف على ركبتيه ، وظل يقاتل فى حماس شديد . وتكتل الصليبيون عليه فخر صريعا بعد أن فتح لاخوانه المسلمين المجاهدين طريق الوصول الى القسطنطينية واقتحامها من اعلى السور . وزادت بطولة حسن الوباد من حماس المسلمين ،

---

(١) اومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٦٥ ، عمر توفيق ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٢٠ .

فضاعفوا جهدهم وقوتهم فى الهجوم • ونتيجة لهذا وجه احد الجنود العثمانيين طعنه الى جستنيان قائد الجيش البيزنطى اصابته بجرح عميق اضطره لترك موقعه فى المعركة ليموت على سطح سفينته فى الميناء ، فكان وقع الخسارة بموت جستنيان شديدا • ولما لاحظ قادة الانكشارية ضعف المقاومة فى هذا الممر الذى تركه جستنيان عززوا هجماتهم لا قتحام هذا الممر وزاد الهجوم الانكشارى عنفا وقوة ، وارتقى كثير منهم انقاض السور وثبتوا اقدامهم فى هذه المنطقة •(١)

واشترك السلطان محمد الثانى بنفسه فى هذه المرحلة الاخيرة من المعركة فاجتاز الخندق بحصانه ، وأخذ يدير القتال بنفسه ، وتأكد من سقوط القسطنطينية • وأخذ يحمس جيشه ويغريهم بكل الحوافز المعنوية والمادية فيشعل الحماس الدينى بواسطة رجال الدين والعلماء • واعلن السلطان محمد الثانى عن مكافآت سخية لكل من يظهر بطولات عسكرية فى اقتحام المدينة •(٢)

ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى انطلقت صيحات عالية مدوية من الجهة

---

(١) انومان ، نفس المرجع ، ص ٢٦٥ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٣٥ ، عمر كمال توفيق ، نفس المرجع ، ص ٢٣٠ ، Lane - Pool: op. cit., Creasy: op. cit., p. 84.

(٢) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ج ١ ، ص ٥٠٩ ، محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٦٠ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٧ ــ ٦٤٨ •

الشماليه للسور ، مالبثت ان سرت في جميع انحاء المدينة ، وهي تدوى : دخل العثمانيون المسلمون المدينة . والتفت الامبراطور البيزنطي قسطنطين الحادى عشر ، فاذا بالاعلام العثمانية ترفرف على بعض الابراج القريبة من باب ادرنه . وكان يقود القوات العثمانية في هذه المنطقة القائد العثماني المجاهد قره جه بك الذي استطاع زعزعة المدافعين عن اماكنهم ، ووثبت جنوده على الانقاض المتراكمة للسور الى جنوب هذا الباب ، وتمكنوا من قتل قائد الحامية البيزنطي وبمقتل قائد الحامية البيزنطي ، انهارت مقاومة المدافعين عن هذا الموقع فولوا الادبار ، ودخل العثمانيون القسطنطينية .

ولما رأى الامبراطور البيزنطي قسطنطين الحادى عشر ، ان كل شيء قد انتهى ، لم يجد امامه الا الحفاظ على شرفه كقائد يتحتم عليه الموت في الميدان . وعاجلة احد الجنود المسلمين **بضربة** سيف قاتله خر صريحا على اثرها . وزاد ذلك **من** فزع سكان القسطنطينية .

أما عن القتال الدائر من جانب البحر فقد اخذ العثمانيون يناجزون المدافعين وذلك من فوق سفنهم الراسية في بحر مرمرة ، والقرن الذهبي ، وظلوا على ذلك الى أن رفعت الاعلام العثمانية فوق الابراج القائمة على السور البحرى . وحين رآها المدافعون **خارت** قواهم ،

فمنهم من استسلم ، ومنهم من فر يطلب النجاة مع الفارين . (١)

وفى ظهر يوم الاربعاء ٢٠ من جمادى الاولى سنه ٨٥٣هـ/ ٢٩ من مايو سنه ١٤٥٣ دخل السلطان محمد الثانى الذى لقب بالفاتح المدينة من البوابة الرئيسية سانت رومانس وهو لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره فخلد بذلك اسمه بين عظماء الفاتحين . ولم يدمر السلطان محمد الفاتح المدينة ، ولم يقتل اهلها كما فعل الصليبيون والمغول من قبل فى المدن التى قاومتهم ، وانما اظهر السلطان محمد الفاتح تسامحا منقطع النظير ، فقد أمر جنده بوقف القتال ، وامام الباب الرئيسى لكنيسة القديسه صوفيا Sainte Sophia ترجل السلطان محمد الفاتح عن جواده ، ودخل القبة فى ايا صوفيا ، والتفت السلطان محمد الفاتح الى احد العلماء يأمره بصعود المنبر ، وان تقرأ هناك صيغة التشهد الاسلامى ، وهكذا دوى صوت الحق جل وعلا " الله اكبر الله اكبر اشهد الا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله" . (٢)

---

(١) سرهنك ، حقائق الاخبار ، ص ٥٠٩ ، محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٦١ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٨ ، الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٤٣ ، يوسف آصاف ، تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٤٥ ، عبد القادر اليوسف ، نفس المرجع ، ص ١٨٤ ، عمر توفيق ، نفس المرجع ص ٢٣٠ ، نبيه عاقل ، نفس المرجع ، ص ٣٥ .

(٢) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، م١ ، ص ٢٣٧ ، يوسف المقدسى ، قلائد العقيان فى فضائل آل عثمان ، مخطوط ، ورقة ١٤ ، البكرى ، المنح ، ورقه (٥) ، اومان ، نفس المرجع ، ص٢٦٤- ٢٦٥ ، Cam. Med. Hist. Vol. 4, p. 695; Ostrogosky: op. cit., pp. 507 - 508.

وأخذ المؤذنون الذين كانوا يسيرون في ركاب السلطان محمد الفاتح ايضا يؤذنون للصلاة . ولما فرغ المؤذنون من آذانهم المدوى ، وصعد السلطان محمد الفاتح الى مذبح الكاتدرائية وادى الصلاة شكرا لله الواحد القهار ايذانا بتحويلها الى مسجد . واطلق على مدينة القسطنطينية اسلامبول Islamboul أى عاصمة الاسلام . (١)

وهكذا قدر للمدينة التى شادها قسطنطين الاول ان تطوى آخر صفحاتها فى عهد سميه قسطنطين الحادى عشر . ومن المفارقات حقا ان المدينة التى جعلها قسطنطين رمزا للامبراطورية المسيحية ، أصبحت منارا اسلاميا ، ومنطلقا لتوجيه الدعوة الاسلامية على يد العثمانيين المجاهدين الى جهات أوربا الشرقية . فقد حقق العثمانيون ماعجز عن تحقيقه المسلمون الاوائل . واكملوا بذلك مابدأه السلف الاسلامى .

وسلك السلطان محمد الفاتح نحو أهل القسطنطينية سياسة التسامح والرأفة ، فأمرجنوده بحسن معاملة الاسرى ، وافتدى السلطان محمد الفاتح عددا كبيرا من كبار الاسرى بماله الخاص . ومنح السلطان محمد الفاتح أهل جنوة من سكان حى غالطة بالقسطنطينية شروطا مناسبة للصلح ،

---

(١) اومان ، نفس المرجع ، ص ٢٦٦ ، الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٨ - ٦٤٩

البحر الأسود

بلغراد

صوفيا

ورنة

ادرنة

القسطنطينية

ازمنيد

سلانيك

بروسة

اسكي شهر

انقرة

سيواس

طرابزون

ارضروم

الأناضول

قيصرية

ذو القدرية

قونية

ازميد

اثينا

أضنة

حلب

كريت

قبرص

البحر الأبيض المتوسط

دولة المماليك

بيروت

دمشق

الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني [١٤٥١ - ١٤٨١م]

لانهم التزموا الحياد أثناء الحصار ، فضمن لهم حرية العيش بأمان لقاء تسليمهم اسلحتهم جميعا ، كما ضمن لهم حرية التجارة ، مقابل اداء الضرائب والكوس التي فرضت عليهم . (١) كما اعطى السلطان محمد الفاتح لكبار رجال الدين المسيحى حرية دينية كاملة بل زاد من سلطانهم بأن وكل اليهم امر القضاء المدنى ، والفصل فى القضايا الخاصة بالاحوال الشخصية للمسيحين من رعايا كنيستهم . وبعد ثلاثة ايام من فتح العاصمة ، أمر السلطان محمد الفاتح بانتخاب بطريرك جديد ، وفاز بالمنصب البطريرك جناديوس Jennadius وهو أحد رجال الكنيسة الارثوذكسية المشهورين وقد تمت مراسيم تنصيبه للكرسى البابوى فى احتفالات ضخمة ، ونظر البيزنطيون من سكان اسلامبول بعين الرضا للسلطان محمد الفاتح القائد المسلم . وعلى هذا فقد رجع كثير من اليونانيين الفارين الى العاصمة اسلامبول بعدما شاهدوا تسامح السلطان محمد الفاتح وعدله ، وقد تمتعوا فى ظل الحكم العثمانى بالحرية الكاملة فى ظل الدولة العثمانية الاسلامية الكبرى . (٢)

وكان من نتائج فتح القسطنطينية تحولها من معقل المسيحية الحصين فى الشرق الاوربى الى عاصمة اسلامية ، فكانت منبع التسامح الاسلامى ،

---

(1) The Cam. Hist. of Islam, Vol. I, pp. 295-296.

(٢) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٥٢ - ٦٥٣ ، الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٤٥

وقاعدة الفتوح الاسلامية فى اوربا المسيحية حتى بات العثمانيون يهددون بفتح روما ، والوصول الى الكرسى البابوى بها . (١)

كما أصبحت اسلامبول (استانبول) مصدر اشعاع للفكر الاسلامى فى اوربا حيث انشئت فيها المدارس والمجالس العلمية والادبية ، كما انشئت بها المساجد والمكتبات والمعاهد ، وتوافد اليها أهل العلم من كل بقاع العالم الاسلامى والاوربى ايضا ، فكانت بذلك منبع العلم والعلماء ودعمت بها حركة التأليف والترجمة لنشر المعارف بين الرعايا المسلمين وغير المسلمين ، مما كان له اكبر الاثر فى تاريخ الحضارة الانسانية جمعاء . (٢)

وبسقوط القسطنطينية انتقلت العاصمة العثمانية من ادرنه العاصمة الاولى للدولة العثمانية فى اوربا الى القسطنطينية بعد تسميتها اسلامبول ، وصارت للاتراك العثمانيين المسلمين مرفأ تجاريا من أهم المرافئ البحرية على بوغاز البسفور والدردنيل حتى صاروا أقوى امة فى البحر الابيض المتوسط بعد ذلك . (٣)

---

(١) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٦٦

(٢) المقدسى الحنبلى ، قلائد العقيان ، ورقة ٢٣ ، مخطوط .

(٣) الشناوى ، نفس المرجع ، ص ٦٤٩ ، الدسوقى ، الدولة العثمانية ، ص ٤٤ ، اومان ، نفس المرجع ، ص ٢٦٦ .

هذا وقد اهتزت اوربا كلها لسقوط القسطنطينية ونظرت الى هذا الحدث الجلل على انه مصاب ضخم للمسيحية وانتصار رائع للاسلام. ولم تلبث ان تحولت فكرة القتال ضد العثمانيين الى القتال ضد المسلمين كافة وغزو بلادهم امعانا فى الانتقام واخذ الثأر لمدينة القسطنطينية. (١)

اما فى الشرق الاسلامى فقد عم الفرح والسرور بين المسلمين فى ربوع آسيا وافريقيه لهذا الفتح الاسلامى العظيم. وما ان وصل رسل السلطان محمد الفاتح الى مصر والحجاز وفارس يحملون نبأ هذا الفتح حتى هلل المسلمون وكبروا، وأذيعت البشائر من منابر المساجد، وأقيمت صلوات الشكر، وزينت المساجد والحوانيت، وأمضى الناس فى هذه البلاد أياما كأحسن ماتكون ايام الاعياد الاسلامية روعة ورنقا وبهاء. وندع هذا المؤرخ المصرى المعاصر أبا المحاسن بن تغرى بردى يصف شعور الناس وحالهم فى القاهرة بعد ان وصل اليها رسل السلطان محمد الفاتح فى الثالث والعشرين من شوال سنه ٨٥٧هـ (٢٧ أكتوبر سنه ١٤٥٣م) بنبأ فتح القسطنطينية ومعهم الهدايا واسيران من عظماء الروم. قال " قلت ولله الحمد والمنة على هذا الفتح العظيم وجاء القاصد المذكور ومعه اسيران من عظماء اسطنبول وطلع بهما الى السلطان (انيال) وهما من أهل قسطنطينية وهى الكنيسة العظمى باسطنبول، فسر السلطان والناس قاطبة

---

(١) الرشيدى، محمد الفاتح، ص ١٦٠

بهذا الفتح العظيم سرورا زائدا ودقت البشائر لذلك ، وزينت القاهـــرة بسبب ذلك أياما . (١)

وقد بعث السلطان محمد الفاتح بعدة رسائل الى ملوك وسلاطيـــن الدولة الاسلامية ، يزف اليهم البشرى بفتح القسطنطينية معقل المسيحية ، وانتصار الاسلام والمسلمين . وقد سجل لنا التاريخ صورة هذه الرسائـــل والرد عليها بمظاهر الفرح والسرور ، مما يدل على ان العالم الاسلامى ، كان يعتبر نصر العثمانيين نصرا للاسلام فى كافة البلاد الاسلاميـــــة . وهكذا توج جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين بفتح القسطنطينية .

... ...

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٧ (حوادث سنـــة ٨٥٧ هـ) .

الخاتمة

أهم النتائج التي توصل إليها البحث

رأينا فى الفصول السابقة كيف أن العقيدة الاسلامية واكبت الفتح العثمانى ، حيث أخذ سكان البلاد الأوربية المسيحية يدخلون فى الاسلام أفرادا وجماعات . ورغم هذا التسامح الدينى الذى واكب الفتح العثمانى الاسلامى ، فقد حاول كثير من المؤرخين أن يجعلوا من تلك الفتوحات العثمانية الاسلامية ، توسعا اقليميا عسكريا نتيجة دوافع اقتصادية ، ولكننا استطعنا بعون الله سبحانه وتعالى أن نثبت أن فتوحات العثمانيين فى أوربا ضد الدولة البيزنطية لم تكن الا لنشر الدين الاسلامى والجهاد فى سبيل الله طمعا فى ثواب الدنيا والآخرة . فقد وضع العثمانيون نصب أعينهم منذ قيام دولتهم ضرورة فتح القسطنطينية عاصمة المسيحية الأرثوذكسية وقاعدة دولة الروم ، التى كانت حاجزا كبيرا أمام انتشار الاسلام فى شرق القارة الأوربية . ولذلك فقد وضع العثمانيون خططهم التى قامت على أساس تطويق القسطنطينية والالتفاف حولها من جميع النواحى .

وكان أول موطئ قدم للعثمانيين فى أوربا حسب خطة الالتفاف هى مدينة غاليبولى ، القلعة الحصينة ، ومنها الى مدينة أدرنة التى اتخذها العثمانيون عاصمة اسلامية ، ليستطيعوا من خلالها توجيه حركة الجهاد الاسلامى ضد الدولة البيزنطية ، وقد كانت الدولة العثمانية بعد فتح أدرنة سنة ٧٧٢هـ / سنة ١٣٧٠م ، قادرة تماما على فتح القسطنطينية ، حيث كانت الدولة البيزنطية فى حالة ضعف شديدة ، ولكن تبعا لخطة العثمانيين فى عملية الالتفاف وحصار القسطنطينية من جميع جوانبها ، فقد أراد السلطان مراد الأول

فى ذلك الوقت أن يقضى أولا على أعداء الدولة العثمانية من الصربيين والبلغار أولا وكذلك أمراء آسيا الصغرى الخارجين ، حتى لا يكون هناك ما يعرقل الدولة العثمانية الاسلامية فى فتوحاتها العظيمة ، وعلى رأسها الفتح الأكبر للقسطنطينية .

وأثبتت الدراسة أيضا كيف وقفت الدولة العثمانية الاسلامية حاجزا منيعا أمام التحالفات الصليبية التى كانت تريد القضاء على الاسلام فى شخص الدولة العثمانية ، وأن تلك الحروب كانت دينية بين الاسلام فى شخص الدولة العثمانية والمسيحية فى شخص الدولة البيزنطية ومن وقف معها من القوى المسيحية الغربية . واستطاع العثمانيون بقوة عقيدتهم وتمسكهم بالجهاد فى سبيل الله تحقيق انتصاراتهم الرائعة على المسيحية بسقوط القسطنطينية فى أيدى المسلمين العثمانيين وتحويلها الى عاصمة اسلامية كبرى فى أوروبا ، انطلق منها المجاهدون لينشروا الدين الاسلامى الحنيف فى باقى البلدان الأوروبية .

كما حققنا ما تورط فيه كثير من الباحثين من تعمد المبالغة فى عدد الجيوش العثمانية والتقليل من جيوش البيزنطيين ليصلوا من وراء ذلك الى أن النصر الاسلامى العثمانى كان بسبب كثرة العدد ، ولم يكن لقوة العقيدة ، والتفانى فى سبيل نشر الاسلام . ويرى ذلك واضحا عندما استطاع العثمانيون - على سبيل المثال لا الحصر - تحقيق انتصار كبير وحاسم على التحالف

الأوربى ضد الاسلام والمسلمين ، وذلك فى موقعة نيقوبوليس سنة ٧٩٨ هـ / ١٣٩٦ م ، وفى موقعة فارنا (وارنة) سنة ٨٤٨ هـ / سنة ١٤٤٤ م ، وفى فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ / سنة ١٤٥٣ م .

وبرهنت الدراسة على أن المسلمين المعاصرين أدركوا بأن نصر العثمانيين نصر للاسلام والمسلمين جميعا ، فكانت كل البلاد الاسلامية تنظر لهذه الفتوحات العثمانية الاسلامية خاصة ضد الدولة البيزنطية ، على أنها الوثبة الثانية فى الاسلام . ويتضح ذلك جليا من خلال تلك المراسلات التى كانت تتبادل بين السلاطين والأمراء المسلمين المعاصرين ، وبين السلا طين العثمانيين الذين وصلت اليهم الرسائل العثمانية بأنباء وأخبار الفتوحات الاسلامية فى أراضى الدولة البيزنطية خاصة، والأراضى الأوربية المسيحية بصفة عامة .

وبعد أن سقطت القسطنطينية فى أيدى العثمانيين المسلمين ، وانتشر الاسلام فى كثير من بلدان أوربا المسيحية ، اتضح للمسلمين أنهم اذا قويت عقيدتهم واشتد ايمانهم . فانهم يستطيعون أن يحققوا للاسلام عزته ، وكرامته مهما كانت قوة أعدائهم . وقد دل هذا النصر العثمانى الاسلامى العظيم على تلك الروح الاسلامية العظيمة التى تربى عليها العثمانيون الأوائل وتأدبوا بآدابها حيث انعكست على أفعالهم فى البلاد المفتوحة وشعر بها ولمسها رعايا هذه البلاد على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم ، مما جعل

الكثير من هؤلاء المسيحيين يتجهون الى الاسلام واعتناقه اقتناعا بما يلاقونـــه من حب ورحمة ومساواة من جانب العثمانيين الفاتحين .

وفى الختام أرجو من المولى القدير أن يكون هذا البحث قد حقـــــق الغاية المرجوة له . والكمال لله سبحانه وتعالى وحده .

الملاحق

ملحق رقم (١) : رسالة السلطان مراد خان الثاني إلى سلطان مصر الأشرف بارسباي يخبره ويهنئه بفتح قلعة سلانيك على يديه ويعزيه في موت ولده يوسف .

ملحق رقم (٢) : رسالة السلطان محمد الفاتح إلى سلطان مصر الأشرف إينال يخبره فيها بفتح القسطنطينية .

ملحق رقم (٣) : جواب سلطان مصر إلى السلطان محمد الفاتح .

ملحق رقم (٤) : رسالة السلطان محمد الفاتح إلى شريف مكة (وقد أرسلها إليه عن طريق سلطان مصر) .

ملحق رقم (٥) : جواب شريف مكة إلى السلطان محمد الفاتح .

.....

الملحق رقم (١)

رسالة السلطان مراد الثانـــى
الى سلطان مصر الأشرف برسبـاى
يخبره ويهنئه بفتح قلعة سلانيك على يديـــه
ويعزيه فى موت ولده يوسـف (١)

الحمد لله الذى أعلا أعلام الدين باعلاء كلمة الحق المبين ، ورفع لــواء أهل الايمان بلمعان بارقة سيوفهم على ظلمات الكفرة والمشركين ، وفتح علينا أبواب النصر والظفر بكسر أحزاب الشياطين ، وتخريب بلاد الكفار والملاعين ، نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ، وسرور هذه البشرى أزال الأحزان عن قلوب عباده المخلصين ، بعد أن يبلوهم بنقص من الأولاد بقوله تعالــى " وبشر الصابرين " الآية ، والصلوة على خاتم المرسلين محمد المصطفـــى الأمين وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا شرايع الدين ... وأن يبدل أحزان هذه المصيبة بمسرات خير ظفر المسلمين وغلبة المجاهدين على أعــــداء الدين وأحزاب الشياطين لعنة الله عليهم أجمعين ، ولاسيما بفتح سلانيك التى هى أحصن القلاع الافرنجية وأصعب الديار الحربية ، هى والقسطنطينية

---

(١) فريدون بك : مجموعة منشآت السلاطين ، المجلد الأول ، ص ١٩٨ ـ ٢٠٠

توأمان فى كونهما منبعى الكفر والضلالة فى أيدى الكفرة الفجرة ، ومظهرى العدوان والغواية فى تصرف مشركى الفسقة بل هى أشد من القسطنطينية فى اضرار أهل الاسلام بالفتنة والفساد فعزمناها وحاصرناها بخلوص الطوية والاعتقاد ، فشاهدناها مشيدة البروج والبنيان ، مرصصة الجدران والأركان ، وقللها بأوج السماء محاذية ، ومرهفاتنا من رؤس أهاليها دانية ، فدعونا أهلها الى الاسلام أوالجزية فأبوا عنها ولم ينفعهم تكرار الدعوة ، فخضنا عقائدنا لمجرد اعلاء كلمة الله العليا بقطع النظر عن أغراض الأموال وزخارف الدنيا . ففى غدوة اليوم الخامس من شهر رجب سنة اثنتين وثلثين وثمانمائة بالتكبير والتهليل شرعنا بالحرب ، فلما نصبت الرايات الاسلامية المنصورة المنسوبة الى آيات الفتح والظفر على الكفار وجاء نداء " نصر من الله وفتح قريب " من اليمين الى اليسار وآية " جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا " من الفوق ففتحت بالصولة الأولى قبيل الضحوة الكبرى من ذلك اليوم فذلك الآية من آيات القرآن العظيم وبركة أفيضت علينا من معجزات النبى الكريم حيث قال عليه التحية والتسليم لايزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين الى يوم القيامة صدق رسول الله . فجاء المجاهدون بالمغانم الجمة ، وكسروا أوثانهم وصلبانهم ، وخربوا دءورهم وقصورهم ، وأسروا اناثهم وذكورهم ، وجعلوا كنايسهم الجمع والمساجد وأظهرنا فيها شعاير الاسلام فقرأنا " الحمد لله رب العالمين " . ثم لما كان فى المملكة الارنودية تكفور مسمى بايوان المتملك بالمملكة الكثيرة من القلاع والبلدان فانه ما هو خال من مراء وغدر وعدوان ، ولم يزل يشتكى الينا من خراب بلاده وضعف رعيته ويقسم انه فى غاية

العجز عن جمع مال القطيعة ويبالغ فى سؤاله من امهال ماله قليلا٠ وكنا أولا نظن الصدق فى مقاله الى أن كشفنا أخباره ، وتحققنا كذبه وفساد نيته وتسويفه وجمعه مال القطيعه وصرفه اياه فيما أراد ، وقد بعث عزمنا بالعساكر المنصوره الى جهة تخريب بلاده وقع آثاره وهدم حويمه ودك قلاعه على رأسه ... ففتحت عنوة بعون الله تعالى على وجه السداد .. وكان ايوان اللعين متحصنا بشواهق الجبال فى أقصى مملكته فتيقن بعدم نفع الفرار فجاء مطيعا ومنقادا ، فقطع دابر الكفار فجهزنا مجلس الأمير المكرم خلاصة صناديد العالم مالك ممالك المعالى والمكارم ... بدر الدين محمود بك أدام الله معاليه ولايزال فضل الله حاميه لينوب عن المحب المخلص بافادة سنن التعزية وسنن مراسم التسلية وليملأ مسامع سلطان الاسلام والمسلمين عز نصره مسرة وابتهاجاتنا على ظهور المؤمنين ، وخلاص المظلومين من أيدى الظالمين ، الذين يخربون البلاد ، ويعذبون العباد والحمد لله رب العالمين على حصول تلك النعمة العظيمة ... وقد جهزنا بصحبته من الهدية ما تضمنته الورقة المعطوفة على ذيل هذا المسطور ليكون رسم المراسلة غير مهجور ...

... ...

الملحق رقم (٢)

رسالة السلطان محمد الفـــاتح
الى سلطان مصر الأشرف اينـــال
يخبره فيها بفتح القسطنطينيـــة (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم متيمنا بذكره القديم (اللهم مالك الملك تؤتـــى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيـــدك الخير انك على كل شيء قدير) يحمد الله ويثنى عليه عهده المستبشـــر بالمبشرات المتواردة ، اللاتى ينبئن عن استقرار القدم المقدم المقدام عـلى سرير السلطنة السامية الباهرة بالدولة العالية القاهرة الا وهو السلطان الوالى العالى العالم العامل المؤيدى المظفرى الظهيرى النصيرى العونى الغوثـى الغياثى الامامى الهمامى النظامى الذى أشرقت من أفق التوفيق شمـــس سلطنته ، وخفقت راية الاقبال من هبوب نسيم خلافته ، ويتطأطأ لها أعنـاق الجبابرة نحو سدته السنية ، ويتكأكأ أفيال الأكاسرة على عتبته العليـــة ، وبه أضحت عقود الامامة منتظمة ، وأمور السلطنة ملتئمة ، ويتفاخر بوصفـــه المآثر ويختال بذكره المفاخر ، أعنى الملكى الألطفى السلطانى الأشرفـــى

---

(١) فريدون بك ، مجموعة منشآت السلاطين ، م "١" ، ص٢٣٥ـ٢٣٨.

الأبــوى الأعطفى ضاعف الله تعالى ملكه وسلطانه ، وأفاض على العالمين بــره واحسانه ، ولا برح فى دولة لا تتهدم دارها ، ونعمة لا تنقصم آثارهـــا ، وسعادة لا تصفــر أوراقها ، وسيادة لا تتغير آفاقها ، وما انفك بنود الديــن بباهر صولته مرفوعة ، واسنة الحوادث فى نحور أعدائه مكسورة ، وجماجـــم حساده على رؤوس الاسنة منصوبة تحت الأقدام . ونقول لما تتابعت عندنــا الأخبار التى تشتمل على صعود شمس السلطنة على أوج سرير الخلافة أدامـــه الله وأعلاه وبارك فيه ، وأبقاه ببركة نبيه المجتبى ورسوله المصطفى عليـــه وعلى آله من صلة الصلوات أزكاها ، ملئنــا بهجة وسرورا وغبطة وحبـــورا ، وأنشدنا بلسان صدق بشعر :

هنيئا لمصر أنت صوت عزيـــزة ... بلوغ الأمانى وابتغاء المحامـــد
وتعتدل الأيام فيها ويقتنــــى ... صفوف البرايا منه طرف الفوائد
فمذ ظهرت فيه علايم بأسكـــم ... قد التطمت منها رسوم المفاسد

هذا أوان الولاء والمواصلة بين من تكفل بمؤنة احياء نسك الحج للعباد والعباد وبين من تحمل بمشاق تجهيز أهل الغزو والجهاد كما هو المتوارث مـــن الآباء والأجداد ، أنعمهم الله بنعمه الموعودة فى الميعاد ، فالقلب مصمـــم على تأييد تلك القديمـــة بسلوك طرائق تنسى لطائف آخريها بطيب نعيمهـــا لذايذ أوليها ، فبهذا الحبل المتين نحن ما سكون ، وعلى هذا الصـــراط المستقيم المستبين سالكون ، فشددنا وثلق صدق ذلك المقر العالى أعلاه الله

وأسماه ، وفتحنا أبواب المراسلة ، وقدمنا أسباب المواصلة ، وأهدينا طرايف التسليمات السليمات عن شوايب الرياء والرعونات ، واتحفنا لطايف التحيات المنورات بنور الاخلاص المجلاة بالولاء والاختصاص المزهوات بصدق الطوية رياضها المترعات من زلال المحبة حياضها ، ورفعنا الأدعية الصالحة المستجابة ، والاثنية الفايحة المستطابة ، والأشواق البالغة ذروة الكمال ، والأتواق المتوالية بالغدو والآصال ، وانهينا الى العلم الكريم محفوفا بما يسره الله تعالى من المطالب البهية ، والمآرب السنية ان من أحسن سنن أسلافنا رحمهم الله انهم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ونحن على تلك السنة قائمون ، وعلى تيك الأمنية دائمون وممتثلين بقوله تعالى " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله " ومتمسكين بقوله عليه السلام " من أغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار " فهممنا فى هذه العام عممه الله بالبركة والانعام معتصمين بحبل الله ذى الجلال والاكرام ، ومتمسكين بفضل الملك العلام ، الى أداء فرض الغزاة فى الاسلام مؤتمرين بأمره تعالى " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " وجهزنا عساكر الغزاة والمجاهدين من البر والبحر لفتح مدينة ملئت فجورا وكفرا ، التى بقيت وسط الممالك الاسلامية تباهى بكفرها فخرا ، شعر :

فكأنها حصف على الخد الأغر   وكأنها كلف على وجه القمر

وهى محصنة صعبة المرام ، شامخة الأركان ، راسخة البنيان ، مملوءة من المشركين الشجعان ، خذلهم الله اينما كانوا ، وهم مستكبرون على أهل

الايمان ، متناصرون بالجزاير الغربية مثل رودس وقطلان ووندبك وجنويز وغيرهم من أهل الشرك والطغيان ، وحصن محصن مسدد مشدد مشيد منسق النظام ، ما ظفر به أسلافنا العظام هؤلاء السلاطين الفخام مع انهم جاهدوا حق الجهاد ولم ينالوا بها نيلا ، وهى قلعة عظيمة مشتهرة فى ألسنة أهل الأرض باسم القسطنطينية ، ولا يبعد من أن تكون هى التى نطق بها صحاح الأحاديث النبوية والأخبار المصطفوية عليه وعلى آله أتم الصلاة والتحية " فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنايم قد علقوا سيوفهم بالزيتون " الحديث وغير هذا من الصحاح المشهور هى هذه المدينة الواقع جانب منها فى البحر وجانب منها فى البر فأعددنا لها كما أمرنا الله بقوله " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " كل أهبة يعتد بها وجميع أسلحة يعتمد عليها من البرق والرعد والمنجنيق والنقب والجحور وغيرها من جانب البر والفلك المشحون ، والجوار المنشآت فى البحر كالاعلام ، من جانب البحر ونزلنا عليها فى السادس والعشرين من ربيع الأول من شهور سنة سبع وخمسين وثمانماية . شعر :

فقلت للنفس جدى الآن فاجتهدى وساعدينى فهذا ما تمنيت

فكلما دعوا الى الحق أصروا واستكبروا ، وكانوا من الكافرين فأحطنا بها محاصرة وحاربناهم وحاربونا ، وقاتلناهم وقاتلونا ، وجرى بيننا وبينهم القتال أربعة وخمسين يوما وليلة . شعر :

اذا جاء نصر الله والفتح هين على المرء معسور الأمور وصعبها

ما فتىء طلع الصبح الصادق من يوم الثلثاء يوم العشرين من جمـــادى الأولى هجمنا مثل النجوم رجوما لجنود الشياطين ، سخرها الحكم الصديقـى ببركة العدل الفاروقى بالضرب الحيدرى ، لآل عثمان قد من الله بالفتح قبـــل أن ظهرت الشمس من مشرقها " فيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهـم والساعة أدهى وأمر " . وأول من قتل وقطع رأسه تكفورهم اللعين الكنـــود فاهلكوا كقوم عاد وثمود فخطفهم ملائكة العذاب فأوردوهم النار وبئس المـــآب ، فقتل من قتل ، وأسر من بقى ، وأغاروا على خزاينهم وأخرجوا كنوزهم ودفاينهـم موفورا فأتى عليهم حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فيومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشـــاء فلما ظفرنا على هؤلاء الأرجاس الأنجاس الحلوس ، طهرنا القوس من القســـوس وأخرجنا منه الصليب والناقوس ، وصيرنا معابد عبدة الأصنام مساجد أهـــل الاسلام ، وتشرفت تلك الخطة بشرف السكة والخطبة فوقع أمر الله وبطـــــل ما كانوا يعملون .

وبعد فكانت فى شط الشرم الذى يكون شماليا منها قلعة افرنجية جنوزيـة وهى المحصنة المدعوة بقلعة غلطة وهى جارة لها متسقة النظام مملوة مـــن المشركين اللئام ، فلما حاصرنا قسطنطينية جاءها أهل تلك القلعة وشدوا بنـــا ميثاقهم وجددوا معنا وفاقهم وقلنا لهم كونوا كما كنتم واثبتوا على ما أنتم عليـه بشرط أن لا تعينوا بها ، فقبلوا شرطنا ، وأطاعوا أمرنا . فلما وقع ما وقـــع على قسطنطينية وجد بين القتلى والأسرى من أهل غلطة وهم قد حاربونـــا

وبدا انهم نقضوا ميثاقهم وأظهروا نفاقهم ، فأردنا أن نفعل بهم ما فعلنا بالأخرى فبينما هم جاؤا مبتهلين ومتضرعين وقالوا ان لم ترحمنا لنكونن من الخاسرين ، فعفونا عنهم انه هو العفو الغفار ، ومننا عليهم المنة لله العزيز الواحد القهار ، وقررنا على ملكهم الملك لله العزيز الجبار ، ولكن جعلنا حصنهم صعيدا جرزا بحيث لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، وملكنا أرضهم وماء هم وكتبنا في جريدة الجزى أسماءهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله " . شعر :

سعد الزمان وساعد الاقبال ودنا المنى وأجابت الآمال

فلما جمع الله تعالى بفضله فى قلب عبده زين السرورين العظيمين أحدهما حفظ نظام سرير السلطنة ، وحماية البلاد والاخر قرة لعين الشرع باحياء فرض الجهاد وجه تلقاء الأرض المقدسة التى بارك الله فيها باجراء أحكام السلطنة حامل وقر الثناء وناقل ورق الدعاء فخر الأماجد ذخر المحامد أمير جلال الدين القابونى رزقت عودته بالسلامة بهدية يسيرة من الاسارى والغلمان والأقمشة ، وغيرها حسبما ذكر مفصلا فى كتاب غير هذا وان كانت نسبتها الى ما وجب علينا كنسبة للقطر الى البحر ، فالمأمول الاغضاء بحسن القبول ، فاذا يسرله الله التشريف بتقبيل بساط الخلافة زاد الله بسطه بالعدل والنصر يتأمل ويتمنى أن ينعم بالمشرفات السارة المحتوية بسلامة النفس النفيس الطيبة ، وصحة الذات المطهرة أبقاها الله فى دولته دينية ودنياوية ، وسوانح الأخبار من مهمات السلطنة كما نتشرف بالانتماء الى ذلك

المقر الشريف وتتلطف بالاعتزاء لذلك المجلس اللطيف ونحن نترقب طيبات أدعية تلك المساكن الطيبة والله مجيبها ببركة نبيه المجتبى عليه من التحيات أزكاها الحمد لله على نواله والصلوة على محمد وآله والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب .

... ...

الملحق رقم (٣)

جواب سلطان مصر الى السلطان محمد الفاتح (١)

أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالى الكبيرى العالمى العادلى المجاهدى المرابطى الغياثى المهدى المشيدى الزعيمى الظهيرى الناصرى معز الاسلام والمسلمين ، ناصر الغزاة ذخر المجاهدين ، ملجأ الفقراء والمساكين ، زعيم جيوش الموحدين ، ممهد الدول ، مشيد الممالك ، حامى الثغور الاسلامية ، غياث الملة المحمدية ، ملك الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين وهنأ بهذا الفتح الذى جاء الاطناب فى بلاغته وجيزا وابتهل كل موحد به وأعلن بسورة الفتح وتلا " وينصرك الله نصرا عزيزا " . لازالت وجوه النصر ترى فى مرآة صفاحه وثمرات النصر تجتنى من أغصان رماحه ، وفروض الجهاد بسيوفه المسنونة فى كل وقت تقام وبلاده الاسلامية محروسة بالجناب المحمدى عليه السلام ، وهمزات عوامله بصدور الكفار موصولة ، والسن سيوفه بثغور بلادهم من رشف ارحاق دمائهم مبلولة ، وهم أبطاله منتظمة فى نصرة دين الله كالعقد النظيم " وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم " ولا برحت عزماته تحلى من أعداء الاسلام المقاعد ، وتحل منهم المعاقد وتحلو عليهم

---

(١) فريدون بك ، مجموعة منشآت السلاطين ، م "١" ، ص ٢٤٠ - ٢٤٣ .

مواقف الحرب مستعرة المواقد ، وتطلع فى سماء النقع من سيوفه نجوما ، وقـــادة وتشهد على الكفار فى محضر الغزو ما يعجز وكيف وذاك المواطن محل الشهادة فهو بحمد الله ما سلك خلف الكفار برا الا قالوا " لقد لقينا من سفرنا هــذا نصبا " ولا خاض عباب بحر " الا اتخذ سبيله فى البحر عجبا ".

أصدرنا هذه المفاوضة الى المقر الكريم معربة عما نحن منطوون عليه مـــن التهانى بهذا الفتح الذى وضح على جبين الصباح بشره ، ورجح على مـــيزان الكواكب قدره ، ونخصه بسلام يتأرج عرفا ، ويتبلج وصفا ويكاد يمازج النسيم لطفا وثناء ، جلل ملابس الاكرام وأضفى وأعذب موارد الوداد ، وأصفـــى قد اتخذ نفحات المسك طليعة ، وأجمل لرداء الملك تفويفـه وتوشيحــــه ، وانتشر به بناء الحب الذى استودعه من الصدور الرسائل بحفظ الله هــذه الوديعة ، ونبدى لعلمه الكريم ورود كتابه الكريم وخطابه الذى أزرى بالــدر النظيم على يد المجلس السامى الأميرى الكبيرى الأوحدى الأكملى المؤتمـــنى المقربى الجمالى يوسف القابونى الناصرى أحسن الله وفادته ويسر الى المقـــر الكريم اعادته ، فأكرمناه حين قابلناه ورفعنا محله لما تناولناه ، واستنشقنـــا المسك لما فضضناه ، وابتهجنا ابتهاج الظمآن بوروده ونظرنا منه الى أحســن من برود الروض اذا حل الندى ازرار وروده ، فشممنا مخايل النصر من سطوره ، ونزهنا النواظر فى رياض منظومه ومنثوره ، وتلمحنا من خطه وخطابه ما هـــو أزهى من زهر الخمايل عند مر النسيم ، ووجدناه مشتملا على أنواع البراعـــة محاوش الرقيم ، محتويا على بديع الألفاظ التى سحبت ذيل البلاغة علـــى

سبحان فى الزمن القديم ، متضمنا بما من الله به ويسره على المقر الكريم من هذه النصرة على أهل الكفر والعناد ، وبلوغه من ارغام أعداء الله ورسوله بنى الأصفر أقصى المراد ، وانتهينا الى ما أشار اليه من مسيره على القسطنطينية العظمى بعساكره الاسلامية وجنوده المحمدية ، وانهم أحد قوابها فكانوا لها أصفادا ، وزلزلوا أرضها بجياد خيل وقفت صابرة فكانت أوتادا ، وانه أرسل التيهانى فى البحر جوارى كالاعلام ، ومدنا فى اللج سوائر كأنها معلقة بالايام ، ورملها بفرسان من البر وأقدم على منازلها بمن أطاع الله وسره ، وخطبها بكرا فتمنعت وأطالت فى التجنى فترفعت ، فلما تحققت عظم أمرها فى النفوس ورأت كثرة ما ألقى اليها من نثار الرؤس ، ضجت الى الأحضان بعد النشوز ، وعلمت أن الامتناع من قبول الاحسان لا يجوز فأمكنت زمامها من يد خاطبها وامتعته على رغم أنف مراقبها وأنشد لسان الحال ، شعر :

خطبتها بكرا وما أمهرتها — الا قنا وقواضبا وفوارسا
من كانت السمر العوالى مهره — جليت له بيض الحصون عرايسا
الله أكبر ما جنيت ثمارها — الا وكان أبوك قبلك غارسا

هذه كلها بعزايم لم يشبها فى الحرب نكول ولا تقصير ، فكان بحمد الله جمعه جمع سلامة ، وجمع الاعداء جمع تكسير ، فأخذ هم أخذ القوى وهى ظالمة ، وأعلمهم أن السيوف الاسلامية لم تترك لهم بقوة الله يدا فى الحروب مبسوطة ولا رجلا فى المواقف قائمة ، فزلزل بعون الله أقدامهم ونكس أعلامهم ، وقابل العدو بصدره وقاتل حتى أفنى جديد بيضه وسمره ، وهبت نسمات النصر

على جيوشه فقيل ياخيل الله اركبى وبأيد النصر اكتبى ، وقامت الحرب على ساق وأضحى كل من الاعداء الى حتفه يساق ، وهجرت سيوفهم الاغماد ، وأقسمت انها لا تقر الا فى الرؤس ،والاسنة أسرعت وآلت انها لا تروى ظمأها الا من دماء النفوس ،والسهام ، قد التزمت انها لا تلج كنايتها الا من النحور ولا تحوص عن حنايا القسى بخبايا الاضلع الا لترفعها لا تحل الا فى الصدور والدروع ، قد لزمت الأبطال قائلة لا تفارق الأبدان حتى تتلى سورة الفتح المبين ، والجياد حرمت وطء الأرض وقالت لفرسانها لا نطأ الا جثث القتلى ورؤس الملحدين ، فعند ذلك أثبت سيفه الناصر الحق لأنه القاضى فى ذلك المجال ، ونفذت سهامه لأجل تصميمه فلم تمهل حتى أخذت دين الآجال وهو حال . شعر :

الله أكبر هذا النصر والظفر ... هذا هو الفتح لا مايزعم البشر

فظهر الله منهم تلك الديار وسلموا عندما ايقنوا بالدمار ، وصارت بحمد الله نجوم الضلال آفلة ومواطن الكفر بالاسلام آهلة ، وعن الآذان يعرب حيث كان الناقوس يضرب ، وأصوات حماتكم الاسلامية بالتكبير والتوحيد بها عالية فقد فهمنا ذلك وحمدنا الله تعالى .

وقابلنا هذه البشارة بتكرار الشكر لله الذى جعل جيوش الاسلام حيث سلكت ملكت ، وأين حجت من بلاد أسرت وفتحت ، لله الحمد الذى أيدكم بنصره وجعل مهابة جيوشكم فى قلوب الكفرة تقوم مقام هزيمة العدو وحصره ،

وظفركم على حزب المشركين الذين زعزع هيبتكم دانيهم وقاصيهم ، وأنـــزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وسدد سهم رأيكم الذى دل على هلاك العدى سرعة نفاذه ، ووعدكم مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هـــذه وحكمكم فى بلاد العدى لتنشروا بها المهابة وتطؤها ، وأورثكم أرضهــــم وديارهم وأرضا لم تطؤها ، ولقد أيدتم هذا الدين المحمدى الذى وضح به طريق النجاة ، واستثار عزتم بقوله عليه الصلوة والسلام " ما اغبرت قدمـا عبد فى سبيل الله فتمسه النار " وقوله صلى الله عليه وسلم " ان الجنة مائـــة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السمـــاء والأرض " رواه البخارى ومسلم رضى الله عنهما ، فلله الحمد على ما أنعـــم به عليكم من الغـــزاوت التى سطرت أجورها فى صحايفكم وصحايف أسلافكـــم الكرام ، وصار خبرها غرة فى جبهة الدهر وحسنة فى صحيفة الأيام ولقد أنشـــد شاعر حضرتنا :

كذا فليكن فى الله جل العزايـم ... والا فلا تجفو الجفون الصـوارم
كتائبك البحر الخضم جيادهـــا ... اذا ما تهادت موجه المتلاطم
تحيط بمنصور اللواء مظفـــــر ... له النصر والتأييد عبد وخادم
فيا ناصر الاسلام يامن بغـــزوه ... على الكفر أيام الزمان مواســـم
تهن بفتح سار فى الأرض ذكـــره ... سرى الغيث يحدوه الصبا والنمايم

فعند ذلك أمرنا باعلان البشاير واظهار الزينة والسرور بممالكنا الشريفـة لما من الله به من هذه النصرة وأمددناكم بصالح الدعاء مع تضاعف المســـرة ،

وأضحى المسلمون مستبشرين بهذه النعمة التى تسربل كل واحد منها بأبهى لبلس ، وتلا كل منهم ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، وجهزنا أميركم مفخر الحجاج والزوار زين الدين حاجى محمد الزيتونى زاد الله تقواه ويسر مناه مع الافلوريات المسكوكة بالسكة الجيدة الجديدة السلطانية المنبعثة الى شريف مكة المكرمة وفقراء الحرمين الشريفين مع القافلة المصرية فالمرجو من الله عز وجل أن يصل الى المقصود بالخير سيعود ان شاء الله تعالى .

وأما ما أشار اليه الكريم من سروره وابتهاجه بجلوسنا على سرير ملكنا الشريف ، واذعان جميع الرعايا لطاعتنا وأمرنا المنيف من المشروف والشريف ، وانه أخذ بالحظ الوافر من هذه البشرى التى خصت الاسلام وعمت أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وانه أمدنا بدعائه ان الله يشد أزر سلطاننا ويشيده ويجعل ألوية ملكنا الشريف مسبلة على مقامنا ، ويخلده وما أشار اليه من أنه عاقبة هذه الغزوة الشريفة عن المكاتبة والابتداء بالمخاطبة لتحقق بخواطرنا الشريفة تأكيد أسباب الوداد وتصحيح علل الاتحاد ، فقد فهمنا ذلك ونتحقق ان المحبة لنا من هذا البيت الكريم مستديمة ، والمودة بيننا وبينه كالاسلاف الكرام مستقيمة ، وقد تواردت الخواطر منا ومنكم على عقود المحبة بجميل الاعتقاد ، وتأكد المودة بعزيز الخلوص والوداد . وأما الهدية التى شرفنا بارسالها فقد وصلت وبالاقبال قوبلت ، وشكرنا صدق محبة مهديها ، وأثنينا على جميل موالاته التى لم تزل فى ملأ ملكنا نبديها . وقد أعدنا المجلس السامى الجمالى قاصدكم المشار اليه بعد أن عومل بمزيد الاكرام

ووافر الاحسان وغرر الاحترام ، وأرسلنا معه أحد أمرائنا وأعز أخصائنا المجلس السامى الاميرى الكبيرى الذخرى المؤتمنى الأخصى الأكملى المقربى الأوحدى السيفى برونديق الأشرفى أدام الله سعادته وكتب سلامته بما على يده من كتابنا الشريف وخطابنا المنيف والهدايا والتحف التى تؤكد أسباب الوداد ، وجميل المصافاة والاتحاد ، وحملناه من السلام للمقر الكريم ما يبتسم ثغر الدهر عند أدائه ، ويسفر وجه البشر عند ابدائه ، وسيحيط علمكم الوسيع بما تحملناه من ذلك ، فنتحف بتجهيز رسله وأخباره السارة من هناك والله تعالى يمده بأعوانه وأنصاره ، ويخلد نعمه عليه بدوام ليله ونهاره ، بمنه وكرمه . كتب فى أواخر شهر ذى القعدة الحرام سنة سبع وخمسين وثمانمائة من الهجرة النبوية على واضعها السلام .

... ...

الملحق رقم (٤)

رسالة السلطان محمد الفاتح الى شريف مكة (١)
(وقد أرسلها اليه عن طريق سلطان مصر)

—

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ادام الله علو المقر الكريم السيدى السندى الشريفى الأشرفى الأكرمى الأعلمى الأورعى الامامى الهمامى الأوحدى الأمجدى العالمى العاملى الأعظمى الاولوى الأعلوى العلوى المشيدى المؤيدى النصيرى الظهيرى الظاهرى الطاهرى ، معلى قواعد الموسم والحرمين ، حامى مشاهد البقاع الشريفة والمروتين ، مؤسس مواسم العظمة والجلال ، مؤكد معاقد المقاصد والآمال ، مطلع لوامع العز والتمكين ، مظهر مآثر الملك والدين ، فلذة أكباد الرسول زبدة أحفاد البتول أمير المسلمين وولى المؤمنين خلاصة أولاد شفيع المذنبين وهو السيد الشريف والقرم المنيف ، سلطان بيت الله تعالى ، شرفه الله وحواليه علاء الدولة والملة والدين السيد الأحسنى العجلانى الحسنى زاده الله تعالى سعادته ، وأدام سيادته ولا خلا فى دولة لا ينهدم دارها ونعمة لا ينفصم آثارها ، ولازالت أسباب مودته ومحبته مؤكدة ، وعقود موالاته

---

(١) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، م "١" ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

وهمته منتظمة منضده مدى الدهور والأعوام ، بحرمة سيد الأولين والآخرين وآله وصحبه أجمعين الطيبين الطاهرين عليه أفضل الصلاة والسلام .

وبعد فقد أرسلنا هذا الكتاب مبشرا بما رزق الله لنا فى هذه السنة من الفتوح التى لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وهى تسخير البلدة المشهورة بقسطنطينية الملاصقة بمرج البحرين وفى مقابلتها مدينة أخرى موسومة بغلطة ، وفى جانبها الشرقى بلدة أخرى معلمة باسكدار . أما الأولى فكأنها ثعبان له سبع رؤوس من قللها المشتهرة وتلك القلل سبع رواسى شامخات حصينة رفيعة ، مهيأة بأمر الله عز وجل لمقرا لخلافة الاسلامية ومرزوقة لنا بتقدير الحكم السبحانية ولاشك أنها سلطان البلاد ، والأخريان من جنبيها يمينا وشمالا كخادمين فى طرفى السلطان . فلما توجهنا وعزمنا عليها ، هجم علينا الكفار المملوة فيها خارجا وداخلا ، وحاربوا معنا ، فقام المحاربة بيننا وبينهم قريب شهرين بعد ابائهم عن اعطاء الجزية الشرعية ، ثم عجزوا عن القتال ، وهربوا من الجدال فازدحم أهل الاسلام ، وجاهد كل من المجاهدين عن البر والبحر حق الجهاد ، فقربوا من السور وصعد جم كثير من الكماة الموحدين فوق منافذ جدرانها المندرسة من المنجنيق والعرادة ، فدخلوا فى نفس هذه البلدة المتبركة المنورة بقدوم الموحدين بالتكبير والتهليل ، يوم الثلثا والعشرين من شهر جمادى الأولى ، فقطع فى مبدأ الأول رأس رئيس هذه الملاعين ، أعنى التكفور اللعين ولحق بجنبهم مع سائر المقتولين ، وأسروا ذراريهم وصبيانهم وجعلوا معابدهم القسيسية

مساجد الأمة المحمدية وجمع الملة الأحمدية ، وطهر تلك المواضع عن الأرجاس الرهبانية والانجاس النصرانية " فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين " . وأما بقية السيوف فعفونا عنهم وقطعنا عليهم الجزية السنوية سحيا لبيت المال . فلما تشرف منابر الخطب بشرف القابنا الباهرة وتزين وجوه الدراهم والدنانير المسكوكة بزينة أسمائنا الجلية الطاهرة ، جهزنا الى خدمتكم الشريفة فخر المقربين وزين حجاج الحرمين خواجه حاجى محمد الزيتونى حفظه الله فى الذهاب والاياب ، ورزقه الوصول والمعاودة بالخير والصواب ، لتبليغ الرسالة وترسيل البشارة فالمأمول من مقر عزكم الشريفة أن يبشر بقدوم هذه المسرة العظمى والموهبة الكبرى مع سكان الحرمين الشريفين والعلماء والسادات والمهتدين والزهاد والعباد والصالحين والمشايخ والأمجاد الواصلين ، والأئمة الأخيار المتقين والصغار والكبار أجمعين المتمسكين بأذيال سرادقات بيت الله الحرام التى كالعروة الوثقى لا انفصام ، والمشرفين بزمزم والمقام ، والمعتكفين فى قرب جوار رسول الله عليه التحية والسلام ، داعيين لدوام دولتنا فى العرفات ، متضرعين من الله نصرتنا أفاض الله علينا بركاتهم ، ورفع درجاتهم بالنبى النبيه وآله وذويه . وبعثنا مع المشار اليه هديه اليكم خاصة ألفى أفلورى من الذهب الخالص التام الوزن والعيار ، المأخوذ من تلك الغنيمة وسبعة آلاف افلورى آخر للفقراء منها ألفان للسادات والنقباء والألف للخدام المخصوصة بالحرمين والباقى للمتمكنين المحتاجين فى المكة المعظمة والمدينة المكرمة زادهما الله شرفا ، فالمرجو منكم التقسيم بينهم بمقتضى

احتياجهم وفقرهم واشعار كيفية السير الينا ، وتحصيل الدعاء منهم لنا دائما باللطف والاحسان ان شاء الله تعالى ، والله يحفظكم ويبقيكم بالسعادة الأبدية والسيادة السرمدية الى يوم الدين آمين يارب العالمين وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه أجمعين .

... ...

الملحق رقم (٥)

جواب شريف مكة الى السلطان محمد الفاتح (١)

يقبل الأرض فى حضرة السلطانى المخدومى المظفرى المنصورى المجاهدى المرابطى الأعظمى المؤيدى المشيدى المنوى الغوثى النصيرى الناصرى محيى الاسلام والمسلمين ، سلطان الملوك والسلاطين ، نور عيون المجاهدين نور حدايق لطف الله فى الارضين ، قهرمان الماء والطين ، محيى الشريعة المحمدية ، منجى الملة الاحمدية ، الفايق على أسلافه فى الغزو والجهاد ، المباهى بين أقرانه بالفتوح وتسخير البلاد الذى يفتخر بعهده الشريف السوابق واللواحق من آل عثمان المشرف بتشريف " ان الله يأمر بالعدل والاحسان . لازالت أولياؤه منصورة ، وأعداؤه مقهورة ، وحصون الخصماء بصلابته مفتوحة ، ونواحى بلدانهم وديارهم بمهابته مضبوطة ، وما برحت نواحى أحياء دولته فى غداة غزواته مبيضة ، وشفاههم ضاحكة مستبشرة ، ووجوه المشركين عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ، وعساكره المنصورة مؤيدة من عند الله العزيز المجيب ، وأعلام نصره منتشرة بكتاتيب (نصر من الله وفتح قريب) ما قرت الغبراء قرارها ،

---

(١) فريدون بك ، منشآت السلاطين ، م "١" ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

ودارت الخضراء أدوارها بالنبى النبيــه وآله وذويه ٠

وبعد يبدى لعلمه العالى أعلاه الله وأدامه بالدولة الأبدية والسعادة السرمدية أن مشرفتكم الشريفة ومبشرتكم المنيفـة وردت الى مخلصه الداعـى بالاخلاص ومحبة المباهى بالاختصاص على يد فخر الزوار وزين الحجاج خواجه حاجى محمد الزيتونى زاد الله تقواه ، وجعل أخراه خيرا من أولاه ٠ فـى أحسن الأوقات وأطيب الساعات ، فاستقبلناه بالتعظيم وقبلناه بالاجـــلال والتكريم ، وفتحناها بكمال الادب وقرأناها مقابل الكعبة المعظمة بـــين أهل الحجاز وأبناء العرب ، فرأينا فيها من القرآن ما هو شفاء ورحمـة للمؤمنين ، وشاهدنا من فحاويها ظهور معجزة رسول الله خاتم النبيـــين وما هى الا فتح القسطنطينية العظمى وتوابعهـــا التى متانة حصنها مشهورة بين الأنام وحصانة سورها معروفة عند الخواص والعوام ، وحمدنا اللـــــه تعالى بتيسير ذلك الأمر العسير وتحصيل ذلك المهم الخطير حمدا يوافـى نعمه وشكرا يكافى كرمه على أن أداءها فريضة مشكلة واحصاءها خارج عـــن الطاقة البشرية ، مقريـــن بالعذر راجين الاعانة منه فى طاعته انه على ذلـك قدير حسب ما ورد فى الأخبار من الأحبار ان اعتراف العبد بقصور خدمتـــه لمولاه عند الغفلة سهوا أو من عدم الاقتدار سعيا معدود من أحســـــــــن العبادات والقبول موقوف على رضائه حال التضرع فى الخلوات اللهم يــا رب الكعبة والعرفات ويانور الأرض والسموات أنصر من نصر الدين واحفظ مـــن حفظ المسلمين ، واكتب السلامة على كافة الغزاة وعامة المجاهديــــــن

والحجاج والمسافرين فى برك وبحرك يارب العالمين • وفرحنا بها نهاية الميسرة وبششنا بذلك غاية البشاشة ، وابتهجنا من احياء مراسم آبائكم العظام ، والسلوك بمسلك أجدادكم الكرام روّح الله أرواحهم وجعل أعلى غرف الجنان مكانهم فى اظهار المحبة لسكان الأراضى المقدسة من الفرق الاسلامية ، عملا بمدلول والحب يتوارث واهدائكم لنا ولسائرالسادات والفقراء والصلحاء والعلماء المسرورين بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خيار أمتى قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا خوف عذاب ربهم بالغداة والعشى فى البيوت الطيبة ، يدعون بألسنتهم رغبا ورهبا ويسألون بأيديهم خفضا ورفعا مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم كثيرة " • الحديث ، تسعة آلاف افلوريات الجديدة بالسكة المحمدية من انفال تلك البلدة العظيمة المعينة تقسيمها فى مراسلتكم اللطيفة • فعملنا بحسب الاشارة الشريفة فقبض كل واحد من المستحقين كل القبض ، وقال الناظرون عليها النرجس الأصفر خير من الأبيض ، وامتلأت أكف الفقراء من الذهب الأصفر فصاروا كطالبى الاكسير الواصلين الى الكبريت الأحمر داعين لكم بخلوص الجنان راجين قبوله من الله الملك المنان كما قال عليه السلام " دعاء المحسن اليه للمحسن لا يرد " حامدين الله على أنعمه فى الأيام وساعاتها عملا بما قال عليه السلام " الحمد على النعمة أمان من زوالها والمسؤل من فضل الله الكامل أن ينالكم خير الدارين العاجل والآجل كما نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم " جنة عدن فى السماء العليا لا يدخلها الا نبى أو صديق أو امام عادل " الى آخر الحديث • والملتمس من جنابكم السامى أن يحيط علمكم على أحوال فقراء هذه الديار

بالأصل والفـرع ، ويزيد لطفكم على الضعفاء للمتمكنين بواد غير ذى زرع ابتغاء لمرضاة الله يوم معاده كما قال عليه السلام " خصلتان ليس فوقهما شيء مـن الخير الايمان بالله والنفع لعباده ". وبعثنا مع الحاجى زين الديـن المشار اليه قدوة الصلحاء والمتورعين مولانا نجم الدين السيوطى زاد اللـه تقواه لينوب منابنا فى تقبيل سدتكم السنية وتلثيم عتبتكم العلية ، وأتحفنـا لخدمتكم برقع باب الكعبة المعظمة ، والأقمشة الهندية المتنوعة سبـع طقوزات وعشرين شاشة المبلولة بماء زمزم ورأس رمكة معلمة طائرة فى الهـوى كحمامة الحرم فالمرجو من نواب أبوابكم العالية الانعام بالقبول والعـذر عند كرام الناس مقبول أدامكم الله وأيدكم بالدولة القاهرة والسلطنة الباهـرة الى يوم الدين آمـين .

... ...

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

ـ ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨م) :
الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء ، القاهرة ١٣٠٣ هـ .

ـ ابن اياس الحنفى (محمد بن أحمد ، ت ٩٢٨ هـ/ ١٥٢٥ م) :
بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، الجزء الأول ، القسم الثانى ، فيسبان ، القاهرة سنة ١٩٧٤م .

ـ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف ، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الثالث عشر والجزء السادس عشر ، تحقيق جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت ، القاهرة ، سنة ١٣٩٢ هـ / سنة ١٩٧٢م .

ـ ابن حجر العسقلانى (الحافظ شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على ، ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) :
أنباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق حسن حبشى ، ثلاث أجزاء ، القاهرة سنة ١٩٦٩ ـ سنة ١٩٧٢ م .

ـ ابن عربشاه (الحنبلى ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠م) :
تاريخ تيمور ، مخطوط بمكتبة محمد حفيد أفندى باستانبول رقم ٦٠٧ ، خط عربى .

ـ البكرى (محمد بن أبى السرور ، ت ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣م) :
المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، رقم ١٦٢٣ .

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) :
تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الخامس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة سنة ١٩٦٤م.

- العصامي (عبد الملك بن حسين المالكي ، ت ١٠٤٩ هـ / ١١١١ هـ) :
سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، ج ٤ ، ط القاهرة ، سنة ١٩٧٣م.

- فريدون بك (مجموعة منشآت السلاطين) المجلد الأول ، بمكتبة السليمانية باستانبول رقم ٣٢٦٩.

- مجهول : (سلوك سبيل الرشاد للسلطان مراد ، (يشتمل على تاريخ سلاطين آل عثمان) مخطوط بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة ، رقم ٣١٢ / ١٠٢٤.

- مجهول : (تاريخ آل عثمان) مخطوط بالمكتبة السليمانية باستانبول رقم ٨٣٢.

- مسلم : (الامام أبو الحسن مسلم بن الحجاج نيسابوري ، ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م) :
صحيح مسلم ، الجزء الثامن ، القاهرة سنة ١٩٦٢م.

ـ المقدسى الحنبلى (زين الدين مرعى يوسف بن أبى بكر الكرمى ، ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٣م) :
قلائد العقيان فى فضائل آل عثمان ، مخطوط مصور على ميكروفيلم ، مصور عن مكتبة شستربتى تحت رقم ٥٢٩٨ ، موجود بمركز البحث العلمى ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة .

ـ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الرابع فى ثلاثة أقسام تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٢م.

ثانيا : المراجع العربية والمترجمة :

ـ ابراهيم عبد القادر المازنى
تاريخ الدولة العلية ، ط القاهرة .

ـ ابن زينى دحلان : السيد أحمد بن السيد
الفتوحات الاسلامية ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ / سنة ١٩٠٥م.

ـ أبو الحسن الندوى
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الطبعة العاشرة ، القاهرة سنة ١٣٩٤ هـ / سنة ١٩٧٤م.

— أحمد راسم وسلى

خريطة لى عثمانلى تاريخى ، الجزء الأول ، ط استانبول .

— أحمد شلبى

دراسة تحليلية شاملة للتاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ / سنة ١٩٦٩م.

— ادوارد جيبون

اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، الجزء الثالث ، ترجمة محمد سليم سالم ، القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ / سنة ١٩٦٩م

— اسماعيل سرهنك

حقائق الأخبار عن دول البحار ، الجزء الأول ، القاهرة سنة ١٣١٢ هـ / سنة ١٨٩٤م.

— أنور الجندى

الاسلام وحركة التاريخ ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥م.

— أومان

الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، القاهرة سنة ١٣٧٣ هـ / سنة ١٩٥٣م.

— بروكلمان (كارل)

تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكى ، بيروت سنة ١٩٥٥م.

ـ توماس أرنولد

الدعوة الى الاسلام ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٠م.

ـ جودت باشا

تاريخ جودت باشا ، الجزء الأول ، ط استانبول .

ـ دائرة المعارف الاسلامية .

[illegible]

ـ رنسمان ستيفن

تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العرينى ، الجزء الأول ، بيروت سنة ١٩٦٧م.

ـ ساطع الحصرى

البلاد العربية والدولة العثمانية ، الطبعة الثانية ، بيروت سنة ١٩٦٠م.

ـ سالم الرشيدى

محمد الفاتح ، الطبعة الثانية ، بيروت سنة ١٩٦٩م.

ـ سعيد عبد الفتاح عاشور

* الحركة الصليبية ، جزءان ، القاهرة سنة ١٩٦٣م.
* أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، القاهرة سنة ١٩٦٦م

– شاكر الحنبلى

التاريخ العثمانى ، ط دمشق ، سنة ١٩١٢م.

– شكيب أرسلان

حاضر العالم الاسلامى ، جزءان ، بيروت سنة ١٩٧٣م.

– عبد الباسط الفاخورى

تحفة الأنام مختصر تاريخ الاسلام ، بيروت سنة ١٩٠٩م.

– عبد العزيز الشناوى

أوربا فى مطلع العصور الحديثة ، الجزء الأول ، القاهرة ، سنة ١٩٦٩م.

– عبد العزيز نوار

الشعوب الاسلامية ، بيروت سنة ١٩٧٣م.

– عزيز سوريال عطية

العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة فيليب صابر يوسف ، القاهرة ، سنة ١٩٧٢م.

- عبد القادر أحمد اليوسف
الامبراطورية البيزنطية ، بيروت ، سنة ١٩٦٦م.

- على سفيم ويشار يوجل
الأتراك والاسلام ، سلسلة كتب شهرية تصدر بالكويت .

- فائق الصواف
العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨م.

- فتحى عثمان
الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ، الجزئين الثانى والثالث ، القاهرة سنة ١٩٧٢م.

- فيشر
تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة وآخرين ، القسم الثانى ، الطبعة الثانية ، القاهرة سنة١٩٥٧م

- فيليب حتى
خمسة آلاف سنة فى تاريخ الشرق الأدنى ، المجلد الثانى ، بيروت ، سنة ١٩٧٥م.

- محمد جميل بيهم
فلسفة التاريخ العثمانى ، الجزء الثانى ، بيروت سنة ١٩٢٥م.

- محمد عبد المنعم السيد الراقد
الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي ، القاهـــرة سنة ١٩٦٨م.

- محمد فريد بك
تاريخ الدولة العلية العثمانية ، الطبعة الأولى ، القاهـــرة ، سنة ١٨٩٦م.

- محمد فؤاد كوبريلى
قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، القاهرة سنة ١٩٦٧م.

- محمد كمال الدسوقى
الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة سنة ١٩٧٦م.

- محمود شيت خطاب
محمد الفاتح ، مجلة رابطة العالم الاسلامى ، العدد التاسع ، السنة الخامسة عشرة ، رمضان سنة ١٣٩٧هـ/سنة ١٩٧٧م.

- محمود محمد زيادة
دراسات فى التاريخ الاسلامى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٨م.

- نبيه عاقل
الامبراطورية البيزنطية ، دمشق سنة ١٩٦٩م.

- نورمان بينز
الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس وآخرون ، القاهرة ، سنة ١٩٥٠م .

- هامرتن جون
تاريخ العالم ، المجلد الخامس ، ط القاهرة .

- هسى
العالم البيزنطى ، ترجمة رأفت عبد المجيد ، القاهرة سنة ١٩٦٩م .

- يوسف آصاف
سلاطين آل عثمان ، ط القاهرة .



ثالثا : المراجع الأوربية :

Ashour and Rabie, Fifty documents in Medieval History, Cairo, 1971.

Alderson (S.D.): The structure of the Ottoman Dynasty, Oxford, 1959.

Atiya (A.S.): The Crusade in the later Middle Ages, London, 1938.

Cahun (L.): L'introduction a l'historie de l'Asie, Paris, 1896.

Creasy (E.S.): History of the Ottoman Turkes, Beirut, 1961.

Diehl (C.): History of the Byzantine Empire, Princeton, 1925.

Diehl (C), Marcais (G): Le Mond Oriental de 395a 1081, Paris, 1936.

Fisher (S.N.): The Middle East History, London, 1971.

Gibb (H.A.R.): The Damascus Chronicle of the Crusades, London, 1932.

Gibb (H.A.R.) and Harold Bowen: Islamic Society and the West. Vol.I, London, 1950.

Gibbon (E.): The History of the Decline and fall of the Roman Empire Vol.&7, Oxford, 1929.

Gibbons (H.A.): The Foundation of the Ottoman Empire, Oxford, 1916.

Hidden (A.W.): The Ottoman Dynasty, New York, 1912.

Hogarth: The Balkans, Paris, 1915.

Inalcik (H.): The Ottoman Empire, London, 1973.

Jones (A.H.M.): The Decline and fall of the Roman Empire, London, 1955.

Jouanin, Vangover: L'univers Turquie. Paris 1950.

Lane - Pool (S.): Turkey, London, 1888.

Lodge (R.): The Close of the Middle Ages, London, 1922.

Marriott (J.A.R.): History of Europe, London, 1937.

Mijattovich (C.): The last Emperor of the Greeks, London, 1892.

Miller (W.): The Balkans, London, 1908.

Orton (C.W.P.): Outines of Medieval History, Cambridge, 1924.

Ostrogorsky (C.): History of the Byzantine State, Oxford, 1956.

Peter (C.): Economic Factors in the Decline of the Byzantine Empire, (Journal of Economic History, No. 13, 1953. P.412 - 424).

Paul (W.): The Rise of the Ottoman Empire, London, 1938.

Shaw (S.I.): History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol.I. Cambridge, 1976.

Stavrianos (L.S.): The Balkans Since 1453, New York, 1953.

Stephenson (C.): Mediaeval History, New York, 1943.

Thompson (J.W.): The Middle Ages, Vol. 2, London, 1931.

Tout (T.F.): The Empire and the Papacy, London, 1924.

Vasiliev (A.A.): History of the Byzantine Empire, Modison Wise, 1952.
Histarire de L'Empire Byzantine, Tome 2, Paris, 1932,

Vryonis (S.J R): Byzantium: The Social Basis of Decline in the Eleventh Century. (Greek, Roman and Byzantine Studeis, Vol.II, 1959.

Workman(H.B.): The Evolution of the Manastic Ideal, London, 1957.

The Cambridge History of Islam I, The Central Islamic Lands, Cambridge, 1970.

The Cambridge Mediveal History 8 Vols, Cambridge, 1963.

.. .. ..

الفهرس

الفهـــرس